Bókmenntasjóður
The Icelandic Literature Fund

Publishing & Distribution L.L.C

قشعريرة

Vetrarborgin (Arctic Chill)

أرنالدور أندريداسون
Arnaldur Indridason

رواية

قشعريرة

Vetrarborgin (Arctic Chill)

رواية

أرنالدور أندريداسون

Arnaldur Indriđason

ترجمة

حسان البستاني

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

THAQAFA ثقافة
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة رواية
Chill Arctic
تأليف IndriÛason Arnaldur
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من:
Iceland .k ¡ Reykjav ,7 raborgarstig ¯ð ‘ Br , ¯ð Forlagi
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،
ش.م.ل.
Vetrarborgin :edition Icelandic original the of Title
,Publishing Forlagid with agreement by Published
www.randomhouse.co.uk
2005 , Indridason Arnaldur by © Copyright
All rights reserved
Arabic Copyright © 2014 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
This books has been published with a financial support of
Bokmenntasjó ð ur/Icelandic Literature Fund

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ISBN: 978-614-02-2212-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أبوظبي هاتف: (2–971+) 6345404 فاكس: (2–971+) 6345407

دبي هاتف: (+971–4) 2651623 فاكس: (+971–4) 2653661
بيروت هاتف: (+961–1) 786233 فاكس: (+961–1) 786230

إن دار ثقافة للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء وأفكار المؤلف. وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب
عن آراء المؤلف وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء الدار.

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

1

لقد تمكنوا من تقدير سنّه، ولكنهم واجهوا صعوبة في تحديد البلد الذي أتى منه.

إنه في العاشرة من العمر – كما توقعوا – يرتدي معطفاً رمادياً مفكوك الزمام ومزوَّداً بقلنسوة، وسروالاً مموَّهاً وفقاً للطراز العسكري، حقيبتُه المدرسية على ظهره، وإحدى جزمتَيه مفقودة، وفي جَوربه ثقب تنتأ منه إصبع قدمه. لم يكن الفتى يرتدي زوجاً من القفّازات أو يعتمر قبّعة، وكان شعره متجعداً. كان مستلقياً على معدته، وتمكنوا من رؤية أحد خديه، فرأوا عينَيه المُنهكتين تحدّقان إلى الأرض المتجمِّدة. كانت بِركة الدم تحته قد بدأت بالتجمّد.

ركعت إيلينبورغ بجانب الجثة.

«ماذا حدث بحق الله؟!».

مدّت يدها كما لو أنها تريد لمس الجثة. كان الفتى يبدو كما لو أنه مستلقٍ ليستريح. لذا، وجدت صعوبة في السيطرة على نفسها، ولم تشأ تصديق ما تراه عيناها.

قال إرلندور الذي كان يقف بجانب الجثة مع سيغوردور أولي بهدوء: «لا تحركيه».

تمتمت إيلينبورغ ساحبةً يدها، وواقفةً على قدمَيها ببطء: «لا بد من أن يكون قد فقد وعيه».

إنه منتصف كانون الثاني. وفي العادة، يكون الشتاء مقبولاً حتى تحل السنة الجديدة؛ فعندها تنخفض درجة الحرارة بحدّة، وتتغطى الأرض بطبقة صلبة من الجليد، وتعصف الريح الشمالية وتصفر حول مجمَّعات الشقق السكنية، وتندفع سحب متماوجة من الثلج بخفة ورشاقة على الأرض، متجمّعةً هنا وهناك في أكوام، ويلسع الهواء القادم من القطب الشمالي مباشَرةً الوجوه ويخترق الملابس وصولاً إلى العظام. دسّ إرلندور يدَيه عميقاً في جَيبَي معطفه مرتعداً. كانت السماء ملبَّدة بالغيوم ويسود الظلام؛ عِلماً أن الساعة بلغت الرابعة للتوّ.

سأل: «لماذا يصنعون سراويل عسكرية مماثلة للصغار؟».

ووقف الثلاثة مُنحَنين فوق جثة الفتى، والأضواء الوامضة الزرقاء لسيارات الشرطة تنعكس على المنازل المحيطة ومجمَّعات الشقق السكنية. كان عدد قليل من المارّة قد تجمّعوا بجانب السيارات، ووصل أول

المراسلين، وكان عناصر جمع الأدلة الجنائية يلتقطون صوراً فوتوغرافية لمسرح الجريمة؛ مكان استلقاء الفتى والمحيط المباشَر - ومصابيحُهم الوامضة تتنافس مع الأضواء الزرقاء. كان التحقيق الجنائي في مراحله الأولى.

أجابته إيلينبورغ: «هذه السراويل تلائم الموضة».

سأل سيغوردور أولي: «هل تعتقدان أن هناك خَطْباً ما في ذلك؟ أعني الصغار الذين يرتدون سراويل مماثلة».

أجابه إرلندور: «لا أعرف، إنني أرى الأمر غريباً».

نظر إرلندور باتجاه مجمَّع الشقق السكنية. كان هنالك أناس في الخارج على الشرفات يتابعون ما يجري بالرغم من البَرْد، في حين بقي آخرون في الداخل مكتفين بالمتابعة من خلف النوافذ. ولكن غالبية الناس كانوا لا يزالون في أعمالهم، ومنازلهم مُظلمة. سيتوجب على ضبّاط الشرطة التوجّه إلى كل الشقق للتحدث إلى السكان. قال الشاهد الذي عثر على الفتى إنه يُقيم هناك. ربما كان بمفرده ووقع عن الشرفة، وفي هذه الحالة يُعتبر الأمر حادثاً عَرَضياً. لقد فضّل إرلندور هذه النظرية على فكرة تعرّض الفتى للقتل. لم يكن باستطاعته تقبُّل تلك الفكرة.

تفحّص المحيط. لم تكن الحديقة وراء الشقق تلقى عناية تامة كما يبدو. ففي وسطها مساحة خالية مغطاة بالحصى تصلح لأن تكون ملعباً صغيراً؛ فيها أُرجوحتان إحداهما محطَّمة، ويتدلّى مقعدها إلى مستوى الأرض ويدور مع الريح، بالإضافة إلى زُحلوقة قديمة طُليت في الأصل بلون أحمر، ولكنها باتت الآن مبقَّعة وصدِئة، ونَوّاسة [1] بمقعدَين صغيرَين مصنوعَين من الخشب استقر أحد طرفَيها على الأرض، في حين ارتفع طرفها الآخر في الهواء كماسورة بندقية كبيرة.

قال سيغوردور أولي: «علينا العثور على جزمته».

ونظروا جميعاً إلى الجَورب المثقوب.

تنهّدت إيلينبورغ قائلة: «لا يمكن لهذا الأمر أن يحدث».

بحث المحقِّقون عن آثار أقدام في الحديقة، ولكن الظلام كان قد بدأ يسيطر على المكان، ولم يتمكنوا من رؤية الكثير على الأرض المتجمّدة. فالحديقة مكسوّة بطبقة من الجليد الزَّلِق الذي تنبثق منه لفائف متفرّقة من العشب. كان الطبيب الشرعي في المقاطعة قد أثبتَ الوفاة، ويقف حيث اعتقد أنه في منأى عن الريح العاصفة، محاولاً إشعال سيجارة. لم يكن واثقاً من وقت الوفاة؛ في وقت ما من الساعة الماضية، قال لنفسه. لقد شرح أن الأخصائي الجنائي في عِلم الأمراض سيحتسب الوقت الصحيح

للوفاة من خلال مقارنة درجات الصقيع مع درجة حرارة الجسم. ووفقاً للانطباع الأول الذي تكوّن لديه، لم يتمكن من تحديد سبب الوفاة. قال وهو ينظر إلى المجمّع السكني المظلم: «يرجح أن تكون الوفاة ناجمة عن سقوطه من مكان مرتفع».

لم تُحرك الجثة. كان الأخصائي في عِلم الأمراض في طريقه إلى الموقع، إذ يفضّل زيارة مسرح الجريمة، وتفحّص المحيط مع رجال الشرطة. لقد شعر إرلندور بالقلق بسبب التزايد المطّرد لحجم الحشد عند زاوية المجمَّع السكني، ولم يكن باستطاعته رؤية الجثة إلا لدى وَميض آلات التصوير. كانت السيارات تسير ببطء أمام موقع الحادث الذي استحوذ على انتباه الركّاب. لقد ثُبِّت نور كشّاف صغير لكي يتمكنوا من تفحّص الموقع بدقة أكبر. وطلب إرلندور من شرطي ضربَ طوق حول المنطقة.

إنه مجمَّع شقق سكنية كبير وفقاً للمعايير الأيسلندية، مكوَّن من ست طبَقات وأربعة بيوت سلالم. كان في حالة رديئة؛ «الدرابزين» الحديدي حول الشرفات صدِئ، والطلاء باهت ومتقشِّر عن الإسمنت في بعض الأماكن. ومن حيث يقف إرلندور، يمكن رؤية نافذتَي غرفة جلوس مع صَدع كبير في كل منهما. لم يتكبّد أحد عناء استبدالهما.

سأل سيغوردور أولي ناظراً إلى جثة الفتى: «هل تفترض أن للحادث دافعاً عنصرياً؟».

أجابه إرلندور: «لا أعتقد أنه يُفترض بنا القفز إلى استنتاجات باكراً».

سألت إيلينبورغ وهي تنظر إلى المجمَّع السكني: «هل يمكن أن يكون قد تسلّق الجدار؟».

علّق سيغوردور أولي: «غالباً ما يقوم الصغار بأمور لا يمكن توقعها».

ذكر إرلندور: «علينا التأكد من فرضية تنقله بين الشرفات».

تساءل سيغوردور أولي: «ما هي جنسيته يا ترى؟».

أجابت إيلينبورغ: «يبدو لي آسيوياً».

ردد سيغوردور أولي من دون توقّف: «يمكن أن يكون تايلاندياً، أو فيليبينياً، أو فييتنامياً، أو كورياً، أو يابانياً، أو صينياً».

سألهما إرلندور: «ألا يُفترض بنا القول إنه أيسلندي حتى يثبت العكس؟».

وقفوا بصمت يراقبون الثلج يتكدّس حول الفتى. ونظر إرلندور إلى الحشد عند الزاوية حيث رُكنت سيارات الشرطة، وخلع مِعطفه وغطى به الجثة.

سألت إيلينبورغ، ملقيةً نظرة سريعة في اتجاه فريق الأدلة الجنائية: «هل يفترض بنا الوقوف هنا؟». فوفقاً للإجراءات، لم يكن يُفترض بهم الوقوف قرب الجثة حتى يمنحهم عناصر الأدلة الجنائية الإذن.

أجابها إرلندور: «لا أعرف».

بدوره قال سيغوردور أولي: «من المؤكد أننا لا نقوم بعمل محترف».

سأل إرلندور: «ألم يُبلِّغ أحد عن فقدان الفتى؟ ألا توجد تساؤلات عن فتى مفقود في سنّه؟».

ردت إيلينبورغ عليه قائلة: «تحققتُ من ذلك في طريقي إلى هنا، لم يتم إبلاغ الشرطة عن أي فتى مفقود».

ألقى إرلندور نظرة سريعة على مِعطفه - كان يشعر بالبَرْد - وسأل: «أين الشخص الذي عثر عليه؟».

رد سيغوردور أولي على سؤال إرلندور: «نُبقيه في أحد بيوت السلالم، كان ينتظرنا. لقد اتصل بنا من هاتفه المحمول. كل صغير يحمل هاتفاً محمولاً في هذه الأيام. قال إنه كان يسلك طريقاً مختصَرة عبر الحديقة في طريقه من المدرسة إلى المنزل عندما تعثّر بالجثة».

قال إرلندور: «أود التحدث معه. تحقَّق من قدرتهم على العثور على آثار أقدامٍ للفتى في الحديقة. إذا كان ينزف، فربما يكون قد ترك أثراً. ربما لم يقع».

تمتم سيغوردور أولي: «ألا يُفترض بعناصر الأدلة الجنائية القيام بهذا الأمر؟».

بدورها قالت إيلينبورغ:»لا يبدو أنه تعرّض لهجوم هنا في الحديقة».

تابع إرلندور أثناء ابتعاده: «وحبّاً بالله، حاول العثور على جزمته».

استهلّ سيغوردور أولي: «الفتى الذي عثر عليه...».

قال إرلندور ملتفتاً إلى الوراء: «أجل؟».

وتردد سيغوردور أولي: «هو أيضاً...».

«ماذا؟».

تابع سيغوردور أولي: «فتى مهاجِر».

كان الفتى جالساً على درَجة أحد بيوت السلالم في مجمَّع الشقق السكنية وبجانبه شرطي، وكانت أدواته الرياضية موضوعة في حقيبة بلاستيكية صفراء. نظر إلى إرلندور بارتياب. لم يرغبوا في وضعه في سيارة شرطة؛ إذ كان هذا الأمر سيحمل الناس على الاستنتاج أنه متورط في مصرع الفتى، ولذلك اقترح أحدهم أن ينتظر في بيت السلّم بدلاً من

ذلك.

كان الممر قذراً، وتتخلل الهواءَ رائحةٌ غير صحّيّة ممتزجة بدخان السجائر وروائح الطهو المنبثقة من الشقق. كما كانت الأرضيةُ مكسوّةً بلينوليوم بالٍ، وتبدو الخربشات الجدرانية غير مقروءة بالنسبة إلى إرلندور. كان والدا الفتى لا يزالان في العمل، وقد تمّ إبلاغهما بما حصل. كان الفتى الماثل أمامه قاتم البشَرة، شعره كهرمانيّ اللون غير متجعّد ولا يزال مبلَّلاً بعد الاستحمام، وأسنانه كبيرة بيضاء، يرتدي معطفاً وسروال جينز، ويحمل قبّعة صوفية بيدَيه.

قال إرلندور فاركاً يدَيه: «الطقس بارد جداً».

لزم الفتى الصمت.

جلس إرلندور بجانبه، وقال الفتى إن اسمه ستيفان، وهو في الثالثة عشرة من العمر، ويُقيم في مجمَّع الشقق السكنية المجاور لهذا المجمَّع، ولا يذكر أنه أقام في مكان آخر، ووالدته من الفيليبين.

قال إرلندور بعد صمت مطوَّل: «لا بد أنك أُصبتَ بصدمة عندما عثرتَ عليه».

«أجل».

«هل عرفتَه؟ أقصد، هل كنت تعرفه؟».

لقد أطلع ستيفان الشرطة على اسم الفتى ومكان إقامته. كان يقيم في هذا المجمَّع، ولكن للوصول إلى مسكنه ينبغي عبور بيت سلّم آخر، وتحاول الشرطة حالياً تحديد مكان تواجد والدَيه. فكل ما يعرفه ستيفان عن الفتى هو أن والدته تُعِدّ الشوكولاته ولديه شقيق واحد. قال إنه لم يكن يعرفه جيداً بشكل خاص، أو يعرف شقيقه؛ فقد انتقلوا مؤخراً إلى المنطقة.

قال الفتى: «يدعونه إيلي، اسمه إلياس».

«هل كان ميتاً عندما عثرتَ عليه؟».

«أعتقد ذلك. لقد هززته ولكن شيئاً لم يحدث».

قال إرلندور وهو يشعر أنه ينبغي عليه إبهاج الفتى: «واتصلتَ بنا عبر الهاتف فوراً. أحسنتَ عملاً. لقد قمتَ بالعمل الصائب تماماً. ماذا كنت تعني بقولك إن والدته تُعِدّ الشوكولاته؟».

«إنها تعمل في مصنع شوكولاته».

«برأيك، ما الذي أودى بحياة إيلي؟».

«لا أعرف».

«هل تعرف أيّاً من أصدقائه؟».

«ليس حقاً».

«ماذا فعلتَ بعد أن هززتَه؟».

«لا شيء. اتصلتُ بالشرطة فحسب».

«هل تعرف رقم هاتف الشرطة؟».

«أجل. أعود من المدرسة إلى المنزل بمفردي، وتحب أمي أن تكون مطمئنّة البال عليّ باستمرار، وتطلب...».

«ماذا تطلب؟».

«تطلب مني باستمرار الاتصال بالشرطة على الفور إذا...».

«إذا ماذا؟».

«إذا حدث خطب ما».

«برأيك، ماذا حدث لإيلي؟».

«لا أعرف».

«هل وُلدتَ في أيسلندا؟».

«نعم».

«وهل ولد إيلي في أيسلندا أيضاً؟».

كان الفتى يحدّق طوال الوقت بالليونوليوم على أرضية بيت السلّم، ولكنه نظر حينئذٍ إلى وجه إرلندور.

«نعم».

فُتح الباب، ودُفعت إيلينبورغ إلى الداخل. كان لوح زجاجي رقيق يفصل بيت السلّم عن المدخل، ورآها إرلندور تحمل مِعطفه، فابتسم وقال للفتى إنه قد يتحدث إليه مجدداً في وقت لاحق، ومن ثم وقف وسار نحو إيلينبورغ.

«أنت تعلم أنه لا يجب عليك استجواب الصغار إلا بحضور فرد من الأهل، أو وَصيّ، أو عاملة اجتماعية من وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال». قالت ذلك بحدّة وهي تسلّمه مِعطفه.

خاطبها إرلندور: «لم أكن أستجوبه، كنت أستوضح بعض الأمور العامة». ونظر إلى مِعطفه. «هل نُقلت الجثّة؟».

«إنها في طريقها إلى المشرحة. لم يقع من المبنى. لقد عثروا على آثار».

فتجهّم وجه إرلندور.

أوضحت إيلينبورغ: «دخل الفتى الحديقة من الجهة الغربية، يوجد

درب هناك. من المفترض أن يكون مُضاءً، ولكن أحد السكان قال لنا إن هناك عمود إنارة واحداً فقط، واللمبات تتحطم باستمرار. دخل الحديقة متسلقاً السياج، فقد وجدنا دماء عليه. لقد فقد جزمته هناك عندما كان يتسلّقه على الأرجح».

أخذت إيلينبورغ نفَساً عميقاً، وتابعت: «قام أحدهم بطعنه، ربما يكون قد مات بسبب طعنة سكين في المعدة. هناك بِركة دم تحته تجمّدت على الفور تقريباً بعد أن تشكّلت».

لزمت إيلينبورغ الصمت لبرهة قبل أن تختم حديثها قائلة: «كان عائداً إلى المنزل على الأرجح».

«هل يمكننا اقتفاء أثر المكان الذي طُعن فيه؟».

«إننا نعمل على ذلك».

«هل تمّ الاتصال بوالدَيه؟».

«والدته في طريقها إلى هنا. تدعى سوني. إنها تايلاندية. لم نُطلعها بعد على ما جرى. سيكون الأمر رهيباً».

قال إرلندور: «ابقَي معها. ماذا عن الوالد؟».

«لا أعرف. هناك ثلاثة أسماء على «الأنترفون». أحدها نيران كما بدا لي».

قال إرلندور: «عرفتُ أن لديه شقيقاً».

وفتح لها الباب وخرجا إلى مهبّ الريح الشمالية العاصفة. انتظرت إيلينبورغ الوالدة لترافقها إلى المشرحة، فيما اصطحب شرطي ستيفان إلى المنزل؛ إذ كانوا سيأخذون إفادته هناك. عاد إرلندور إلى الحديقة، وارتدى مِعطفه. كان العشب قاتماً حيث كان الفتى مستلقياً.

أسقطُ على الأرض صَريعاً.

لقد تبادر بيت شعري صغير إلى ذِهن إرلندور أثناء وقوفه صامتاً ومستغرقاً في التفكير، وناظراً إلى المكان حيث كان الفتى مستلقياً. ألقى نظرة سريعة أخيرة على امتداد مجمَّع الشقق السكنية المُظلم، ومن ثم سار بحذر على الأرض الجليدية في اتجاه الملعب، حيث وضع يده على الفولاذ البارد للزُّحلوقة، فشعر بالبَرْد القارس يزحف إلى ذراعه.

أسقطُ على الأرض صريعاً

متجمِّداً ولا أستطيع خلاصاً...

2

رافقت إيلينبورغ والدة الفتى إلى المشرحة في بارونستيغور. إنها امرأة قصيرة القامة، هيفاء، في أواسط العقد الرابع من العمر، مُتعَبة بعد يوم عمل طويل، شعرها داكن وكثيف ومربوط على شكل ذَيل حصان، ووجهها مستدير وودود. كانت الشرطة قد عرفت مكان عملها، وأُرسل رجلان لإحضارها. لقد تطلّب منهما الأمر بعض الوقت ليشرحا لها ما حدث ويطلبا منها مرافقتهما. توجّهوا بالسيارة إلى مجمّع الشقق حيث انضمّت إليهم إيلينبورغ. أدركت إيلينبورغ أنهم بحاجة إلى مترجِم، فاتصل أحد رجال الشرطة بالمركز المتعدد الثقافات الذي أرسل امرأة للقائهم في المشرحة.

لم تكن المترجمة قد حضرت بعد عندما وصلت إيلينبورغ مع الوالدة. فرافقت إيلينبورغ المرأة إلى داخل المشرحة مباشَرةً حيث كان الأخصائي في عِلم الأمراض بانتظارهما. وعندما رأت الوالدة ابنها، أطلقت صرخة مفجوعة، وانهارت بين ذراعَي إيلينبورغ. لقد زعقت شيئاً ما بلغتها الأم. في تلك اللحظة، دخلت المترجمة - وهي امرأة أيسلندية - وحاولت مع إيلينبورغ مواساتها. كان الانطباع الذي تكوّن لدى إيلينبورغ أن المرأتَين تعرفان بعضهما. فقد حاولت المترجمة التحدث إلى الوالدة بلهجة مهدِّئة، ولكن الوالدة أفلتت من بين يدَيها فاقدةً صوابها، ومجروحة الفؤاد، وغير متمالكةٍ نفسها، وارتمت على الفتى وصرخت بأعلى صوتها.

في النهاية، تمكنتا من إخراجها من المشرحة، وركبن جميعاً سيارة الشرطة التي أقلّتهن إلى المنزل مباشَرةً. أخبرت إيلينبورغ المترجمة أنه ينبغي على الوالدة أن تطلب من فرد من عائلتها، أو من صديقة، ملازمتَها أثناء هذه المحنة المؤلمة؛ أي من شخصٍ مقرَّب إليها، شخص تثق به. فنقلت المترجمة الرسالة، ولكن الوالدة لم تُبدِ أي رد فعل.

شرحت إيلينبورغ للمترجمة كيف تم العثور على إلياس مستلقياً في الحديقة وراء مجمَّع الشقق السكنية، ووصفت التحقيق الذي تُجريه الشرطة، وطلبت منها إبلاغ الوالدة بذلك.

قالت المترجمة: «لديها شقيق في أيسلندا، سأتصل به».

«هل تعرفين هذه المرأة؟». سألتها إيلينبورغ.

فأومأت المترجمة برأسها.

«هل أقمتِ في تايلاندا؟».

أجابتها المترجمة: «أجل، طوال عدة سنوات. ذهبتُ إلى هناك أولاً

كطالبة تبادلية».

قالت إن اسمها غودني. بدت نحيلة، وقصيرة القامة، وداكنة الشعر. كانت تضع نظارة كبيرة، وترتدي كنزة صوفية سميكة وسروال جينز تحت مِعطف أسود، وعلى كتفَيها لِفاع صوفي أبيض.

عندما وصلن إلى مجمّع الشقق، طلبت المرأة رؤية المكان حيث عُثر على ابنها، فاصطحبتاها إلى الحديقة. كان الظلام دامساً، ولكن فريق الأدلة الجنائية كان قد ثبّت أضواءً وضرب طوقاً حول المنطقة. لا بد أن يكون نبأ الجريمة قد انتشر بسرعة؛ لأن إيلينبورغ لاحظت وجود باقتَي أزهار مُسندتَين إلى جدار مجمَّع الشقق السكنية حيث يتجمع حشد متزايد من الناس بجانب سيارات الشرطة.

عبرت المرأة الطوق الذي ضربته الشرطة، فتوقف تقنيّو الأدلة الجنائية الذين يرتدون ثياب العمل البيضاء عن العمل وراقبوها. وسرعان ما وجدت نفسها بمفردها في المكان حيث عُثر على ابنها مَيتاً، وبجانبها المترجمة. فركعت، ووضعت راحة يدها على الأرض، وبكت.

انبثق إرلندور من الظُّلمة وراقبها، ثم خاطب إيلينبورغ: «ينبغي علينا الصعود إلى شقتها». فأومأت له.

وقفا في البَرْد لبعض الوقت، منتظرَين عودة المرأتين. أخيراً، تبعهما المحقّقان إلى خارج الحديقة، ومن ثم إلى داخل بيت السلّم المؤدّي إلى مكان إقامة الوالدة. فعرّفتها إيلينبورغ بإرلندور بوصفه المحقِّق الذي سيشارك في التحقيق بوفاة ابنها.

خاطبها إرلندور بود قائلاً: «ربما تفضّلين التحدث إلينا في وقت لاحق. ولكن، كلما أسرعنا بجمع المعلومات كان الأمر أفضل، وكلما مرّ الوقت بعد الحادث ازدادت صعوبة العثور على الفاعل».

توقف إرلندور عن الكلام ليتيح للمترجمة ترجمة ما قاله. كان على وشك المتابعة عندما نظرت الوالدة إليه وقالت شيئاً ما بالتايلاندية.

سألت المترجمة نقلاً عن الأم: «من قتله؟».

أجابها إرلندور: «إننا لانعرف الآن، ولكننا سنعرف».

التفتت الوالدة إلى المترجمة وتكلمت ثانيةً، وعلى وجهها نظرة قلق حادّ.

ترجمت المترجمة ما قالته الأم قائلة: «لديها ابن آخر وهي قلقة عليه».

سألها إرلندور: «هل لديها أية فكرة عن المكان الذي يمكن أن يكون

فيه؟».

أجابته المترجمة نقلاً عن الأم: « لا تملك أي فكرة. ولكن، يفترض به أن يكون قد غادر المدرسة في الوقت نفسه الذي غادر به شقيقه».

«هل هو أكبر منه؟».

أجابته المترجمة: «بخمس سنوات».

«إنه في...».

«الخامسة عشرة».

صعدت الوالدة السلَّم بسرعة أمامهم حتى بلغوا الطابق الرابع. لقد تفاجأ إرلندور بعدم وجود مصعد في هذا المبنى.

فتحت سوني قفل باب الشقة صارخةً بشيء ما حتى قبل فتح الباب. فتوقع إرلندور أنه اسم ابنها الآخر. ركضت في أنحاء الشقة باحثة عنه، ولكن عندما تحققت من عدم وجود أحد في المنزل، وقفت عاجزة ووحيدة أمامهم، إلى أن وضعت المترجمة ذراعها حولها، واصطحبتها إلى غرفة الجلوس، وجلست على الأريكة معها. وتبعهما إرلندور وإيلينبورغ، وانضمّ إليهم رجل نحيل صعد السلّم رَكضاً وعرّف بنفسه على أنه رجل الدين المحلي وناصحٌ متمرّس في أمور الصدمات العاطفية.

قالت إيلينبورغ: «علينا العثور على شقيقه، لِنأمل ألا يكون قد أصابه مكروه».

ردّ إرلندور عليها: «لنأمل ألا يكون هو الفاعل».

فنظرت إيلينبورغ إليه مذهولة.

«يا للأمور التي تفكر فيها!».

نظرت حولها متأمّلة. كانت سوني تعيش في شقة صغيرة تحتوي على غرفتَي نوم، ويفتح الباب الأمامي مباشَرةً على غرفة الجلوس التي يوجد في أحد جانبَيها ممر صغير يؤدّي إلى الحمّام وغرفتَي النوم. والمطبخ بجانب غرفة الجلوس. كانت رائحة زكية وقوية لتوابل شرقية ومأكولات أجنبية تملأ الشقة المرتَّبة والمزيَّنة بزخارف تايلاندية. وعلى الجدران والطاولات صور فوتوغرافية تصوّرت إيلينبورغ أنها تُظهر أنسباء الوالدة في الجانب الآخر من الكرة الأرضية.

كان إرلندور واقفاً تحت مِظلّة صغيرة ورقية حمراء تحمل صورة تنّين أصفر، وتصلح كظُلّة مِصباح. وعندما قالت المترجمة إنها ذاهبة لإعداد الشاي، تبعتها إيلينبورغ إلى المطبخ، فيما بقيت سوني جالسة على الأريكة، وجلس رجل الدين بجانبها. لم يقل إرلندور أي شيء، وانتظر عودة المترجمة.

كانت غودني تعرف القليل عن خلفيّة سوني، فأعادت سرد ما تعرفه لإيلينبورغ في المطبخ بهَمس إلى حدٍّ ما. إنها من قرية تبعد نحو مئتَي كيلومتر عن بانكوك، ورُبِّيت في عائلة عاش فيها ثلاثة أجيال معاً في أزمة مالية شديدة. كان هناك عدة أبناء، فانتقلت سوني إلى العاصمة مع اثنَين من أشقائها عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها. لقد قامت بأعمال يدوية، ولا سيما في المصابغ، وعاشت في ضِيق وفَقر مع شقيقَيها حتى بلغت العشرين من العمر. بعد ذلك، أقامت بمفردها وعملت في معمل نسيج ضخم يصنّع ملابس رخيصة للأسواق الغربية. هناك، كان العمّال من النساء فقط، والأجور متدنّية جداً. في تلك المرحلة، التقت رجلاً من بلد بعيد – أيسلندياً - في مقهى في بانكوك. كان يكبرها سنّاً. ولم تكن قد سمعت عن أيسلندا وقتها.

أثناء إخبار المترجمة إيلينبورغ بهذه القصة، وقيام رجل الدين بمواساة سوني، تنقّل إرلندور في أنحاء غرفة الجلوس. كان هناك سِحر شرقي في الشقة: مَذبح صغير عند منتصف الجدار مع أزهار، وبَخور وطاسة ماء، وصورة جميلة من الريف التايلندي. وتمعّن بالزخارف الرخيصة، والتذكارات، والصور الفوتوغرافية المؤطَّرة التي يظهر في بعضها فتيان في سنَّين مختلفتين. فافترض إرلندور أنهما الفتى وشقيقه. والتقط عن الطاولة ما اعتبرها صورة فوتوغرافية للفتى البِكر، وسأل سوني عما إذا كان هو بالتحديد، فأومأت برأسها. طلب منها استعارتها، فأخذها إلى الباب الأمامي حيث أعطاها للشرطي الواقف هناك، طالباً منه نسخها وتوزيعها في مركز الشرطة، والشروع بالبحث عن الفتى.

كان إرلندور يحمل هاتفه عندما بدأ يرنّ. إنه سيغوردور أولي.

كان قد اقتفى آثار الفتى من الحديقة إلى درب ضيّق، ووصولاً إلى طريق هادئ تقوم على جانبَيه منازل وحدائق، وينتهي تحت جدارِ مِرفَقٍ صغير للكهرباء - أو محطة فرعية لتوزيع الطاقة الكهربائية - مكسوٍّ بخربشات جدرانية. وتبعد المحطة الفرعية عن منزل الفتى مسافة خمسمئة متر، وليست بعيدة عن المدرسة المحلية. في الانطباع الأول الذي تكوّن لديه، لم يتمكن سيغوردور أولي من رؤية أية دلالات على حدوث صِدام. وصل المزيد من رجال الشرطة إلى المكان، وشرعوا بالبحث بالاعتماد على مصابيح محمولة عن أداة الجريمة في الحدائق المجاورة، وعلى الدروب، وفي الشوراع، وفي باحة المدرسة.

قال إرلندور: «أَبقِني على اطّلاع. هل قلت إنها غير بعيدة عن هذا

المكان والمدرسة؟».

«في الواقع هي مجاورة. ولكن ذلك لا يعني أن الفتى طُعن هنا؛ حتى لو كان هذا هو المكان الذي تتوقف فيه الآثار».

ردّ إرلندور عليه: «أعرف، تحدّثْ إلى أشخاص في المدرسة؛ كالمدير، وهيئة الموظفين. علينا مقابلة مدرّسي الفتى، وزملائه في الصف، وأصدقائه في الحيّ أيضاً؛ أي كل من عرفه أو كل من يمكنه إخبارنا أي شيء عنه».

تمتم سيغوردور أولي: «إنها مدرستي القديمة».

سأله إرلندور: «حقاً؟». نادراً ما كان سيغوردور أولي يتكلم عن نفسه. «هل أنت من هذه الناحية من المدينة؟».

قال سيغوردور أولي: «لم أَزُر المنطقة مذاك الحين، أقمنا هنا لمدة عامَين، ومن ثم انتقلنا مجدداً».

«وماذا بعد؟».

«لا شيء».

«هل تعتقد أنهم سيتذكرونك؟ أقصد مدرّسيك القدامى».

قال سيغوردور أولي: «آمل ألا يتذكروني. في أي صف كان الفتى؟».

دخل إرلندور إلى المطبخ، وقال للمترجمة: «نحتاج إلى معرفة الصف الذي كان الفتى يرتاده».

دخلت غودني غرفة الجلوس، وتحدّثت إلى سوني، ثم عادت مع المعلومات.

عاجلها إرلندور بسؤاله: «هل حدثت أية صِدامات عِرقية في هذه المنطقة؟».

«لم يصل أي شيء إلى مكتبنا في المركز المتعدد الثقافات».

«ماذا عن التعصّب العِرقي؟ هل أُطلعتِ على أمر مماثل؟».

«لا أعتقد ذلك. لا شيء يفوق العادة».

قال إرلندور لسيغوردور أولي عبر الهاتف بعد تزويده بالتفاصيل المتعلقة بصف إلياس: «علينا إمعان النظر في أي عنف إثنيّ في هذا الجزء من المدينة، ومعرفة ما إذا كانت هناك أية صِدامات، وأماكن حدوثها أيضاً في مقاطعات أخرى. أذكر حدوث اضطراب منذ مدة غير طويلة، فقد شهَر أحدهم سكيناً. علينا التحقق من ذلك».

أصبح الشاي جاهزاً، فدخلت إيلينبورغ والمترجمة غرفة الجلوس مع إرلندور. غادر رجل الدين، فجلست غودني بجانب سوني. كانت إيلينبورغ قد أحضرت معها كرسيّاً من المطبخ. تحدّثت غودني إلى سوني التي أومأت لها،

فأمل إرلندور أن تكون قد أخبرت الوالدة أنه كلما تلقّت الشرطة معلومات دقيقة في وقت مبكِّر عن تحركات الفتى في ذلك اليوم، كان الأمر أفضل للتحقيق.

كان إرلندور لا يزال يحمل هاتفه ويهمّ بوضعه في جَيبه، ولكنه تردد وحدّق إليه. لقد توجّهت أفكاره إلى الشاهد الفَتيّ الذي يحمل هاتفاً بسبب قلق والدته عليه لأنه سيكون بمفرده بعد المدرسة.

سأل المترجمة: «هل كان ابنها يملك هاتفاً محمولاً؟».

فترجمت ما قاله.

«لا».

«ماذا عن شقيقه؟».

قالت غودني: «لا أحد في هذه العائلة يملك هاتفاً محمولاً. فهي لا تستطيع تحمّل تكلفة شراء هاتف واحد. لا يستطيع الجميع تحمّل تكلفة شراء تلك الهواتف». وشعر إرلندور بأنها تعبّر عن أفكارها الخاصة.

سألها إرلندور: «ألا يذهب إلى المدرسة قرب المجمَّع السكني هنا؟».

«بلى. ولداها يرتادان تلك المدرسة».

«متى أنهى إلياس يومه المدرسي؟».

أجابته المترجمة: «جدول حصصه موجود على باب الثلاجة، ينهي حصصه نحو الساعة الثانية أيام الثلاثاء»، وتابعت مُلقيةً نظرة سريعة على ساعتها، « مضت ثلاث ساعات على مغادرته المدرسة».

«ماذا يفعل بعد المدرسة بصورة عامة؟ هل يعود إلى المنزل مباشَرةً؟».

قالت المترجمة بعد التشاور مع سوني: «لا تعرف بالتحديد. أحياناً، يلعب كرة القدم في ملعب المدرسة. ومن ثم، وبصورة عامة، يعود إلى المنزل بمفرده».

«ماذا عن والد الفتى؟».

«إنه نجّار ويعيش هنا في ريكيافيك. لقد انفصلا العام الماضي».

سألها إرلندور: «يُدعى أودين، أليس كذلك؟». فهو يعلم أن الشرطة تحاول الاتصال بوالد إلياس الذي لم يبلغه بعد نبأ مصرع الفتى.

«لا اتصالات كثيرة بينه وبين سوني في هذه الأيام. يبقى إلياس معه أحياناً في عطلة نهاية الأسبوع».

«هل هناك زوج أمّ؟».

قالت المترجمة: «لا، تعيش سوني بمفردها مع ابنَيها».

سألها إرلندور: «هل يعود الابن البِكر في العادة في مثل هذا الوقت

من اليوم؟».

نقلت المترجمة عن سوني: «يتفاوت موعد قدومهما إلى المنزل».

سألت إيلينبورغ: «أليس هناك وقت محدد؟».

فالتفتت غودني إلى سوني وتحدّثتا معاً لبعض الوقت. لاحظ إرلندور الدعم الكبير الذي تقدّمه لها المترجمة. كانت غودني قد أخبرت المحقِّقين بأن سوني تفهم معظم ما يقال لها بالأيسلندية، وباستطاعتها التعبير عما يجول في خاطرها بشكل جيد، ولكنها دقيقة جداً، لذلك عندما تشعر بالحاجة إلى المساعدة تستدعي غودني.

أخيراً قالت المترجمة ملتفتةً إلى إرلندور وإيلينبورغ: «ليست واثقة تماماً من المكان الذي يقصدانه أثناء النهار، فكل منهما يملك مفتاحاً للشقة. فعندما يكون لديها عمل إضافي، فهي لا تُنهي عملها في معمل الشوكولاته قبل الساعة السادسة، وبعد ذلك يتعيّن عليها العودة إلى المنزل، أو الذهاب للتسوّق في أغلب الأحيان. وتتسنّى لها أحياناً فرصة القيام بعمل إضافي أكثر من المعتاد، ولذلك تعود إلى المنزل في وقت متأخر جداً. عليها العمل قَدْر ما تستطيع. إنها المُعيلة الوحيدة».

سألتها إيلينبورغ: «ألا يُفترض بهما إطلاعها على المكان الذي يقصدانه بعد المدرسة؟ ألا يُفترض بهما إبلاغها في العمل؟».

أجابتها المترجمة بعد التشاور مع سوني: «لا يمكنها استخدام الهاتف طوال الوقت في العمل».

استوضح إرلندور: «هي لا تعرف مكان وجودهما بعد انتهاء دوام المدرسة، أليس كذلك؟».

«إنها تعرف ما يفعلانه، فهما يخبرانها دائماً؛ ولكن بعد أن يلتقوا في المساء».

«هل يلعبان كرة القدم أو يمارسان أية رياضات أخرى؟ هل يتدربان أو يحضران صفوفاً في أي شيء؟».

أجابته المترجمة: «يلعب إلياس كرة القدم، ولكن لا تدريب لديه اليوم». وأضافت تعليقاً شخصياً: «أنتما تدركان بالتأكيد مدى عُسر هذا الأمر عليها، أقصد أن تكون والدة عزباء مع فتيَين».

أومأ إرلندور وعلّق: «قلتِ إن لديها شقيقاً يقيم في أيسلندا».

«أجل، لقد اتصلتُ به وهو في طريقه إلى هنا».

«هل هناك أي أنسباء آخرين أو أقارب يمكن لسوني التحدث إليهم؟ ومن جهة والد الفتى أيضاً؟ هل يمكن أن يكون الفتى البِكر معهم؟ هل

جدّاه لجهة الوالد على قيد الحياة؟ وكذلك لجهة الوالدة؟».

«يرى إلياس جدّته أحياناً، وجدّه الأيسلندي متوقّ. سوني على اتصال وثيق بالجدة. فهي تُقيم هنا في المدينة. ينبغي عليكم إبلاغها. تدعى سيغريدور».

سألت المترجمة سوني عن رقم هاتفها، وأعطت إيلينبورغ التي أخرجت هاتفها إيّاه.

سألت المترجمة: «ألا يُفترض بالجدة القدوم لتكون معها؟».

أصغت سوني إلى المترجمة وأومأت.

ثم قالت المترجمة: «سنطلب منها القدوم».

ظهر رجل عند المدخل، فقفزت سوني على قدمَيها وركضت نحوه. لقد تبيّن أنه شقيقها. فتعانقا، وحاول الشقيق مواساة سوني التي انهارت بين ذراعَيه، ذارفةً الدمع. كان يدعى «فيروت»، ويصغر سوني بعدة سنوات. تبادل إرلندور وإيلينبورغ نظرات سريعة أثناء مراقبة الأسى الذي يعتري الشقيق والشقيقة. وفي هذه الأثناء، صعد مُراسلٌ السلّم لاهثاً، ولكن إيلينبورغ صرفته ورافقته إلى الخارج. وحده إرلندور وغودني بقيا في الشقة مع الشقيقة والشقيق. وساعدت المترجمة والشقيق سوني على العودة إلى الأريكة، وجلسا بجانبها.

دخل إرلندور الممر الصغير المؤدي إلى غرفتَي النوم. فلاحظ أن إحداهما أكبر حجماً، ومن الواضح أن الوالدة تستخدمها، في حين تحتوي الأخرى على سريرَين طبقيَّين. كان الفَتَيان ينامان هناك. لقد استقبله مُلصق إعلاني كبير يُظهر فريق كرة قدم إنكليزياً عرفه من الصحف. وهناك مُلصق إعلاني أصغر حجماً لمغنّية أيسلندية جميلة. ويوجد جهاز كمبيوتر «أبل» قديم على طاولة صغيرة. وعلى الأرض كتب مدرسية، وألعاب كمبيوترية، وألعاب أخرى مبعثَرة، إضافةً إلى بنادق وديناصورات وسيوف. لم يكن السريران الطبقيان مرتّبَين، وكانت ملابس الفَتيَين القذرة مُلقاة على كرسي.

إنها غرفة فتيان نموذجية، فكر إرلندور، محرّكاً جَوراباً بقدمه. وظهرت المترجمة عند الباب.

سألها إرلندور: «أي نوع من الناس هم؟».

هزّت غودني كتفَيها قائلة: «إنهم أشخاص عاديون جداً، أشخاص مثلك ومثلي. أشخاص فقراء».

«هل يمكنك أن تخبريني عما إذا كانوا قد شعروا يوماً أنهم ضحايا عنصرية ما؟».

«لا أعتقد أن هذا النوع من الأمور يحدث بكثرة. في الواقع، لست واثقة تماماً من نيران، ولكن سوني استقرّت في الحيّ، وتأقلمت بشكل جيد. المواقف العنصرية موجودة على الدوام، ومن الواضح أنهم يَعونها. تُظهر الخبرة أن أكثر المواقف عنصرية تصدر عن أولئك الذين يفتقرون إلى الثقة بالنفس وسيئي التربية، والذين خبروا الإهمال وعدم الاكتراث».

«ماذا عن شقيقها؟ هل أقام هنا لمدة طويلة؟».

«أجل، بضع سنوات. إنه عامل. كان يعمل في الشمال، في أكوريري، ولكنه عاد إلى ريكيافيك مؤخراً».

«هل علاقته مع سوني جيدة؟».

«أجل، جداً. هما مقرّبان من بعضهما إلى حدٍّ بعيد».

«ماذا يمكنك أن تخبريني عن سوني؟».

قالت غودني: «قدمت إلى أيسلندا منذ عشر سنوات تقريباً، إنها تحب المكان حقاً».

لقد أخبرتها سوني ذات مرة أنها تكاد لا تصدّق كم كان البلد موحِشاً وبارداً عندما استقلت الحافلة من مطار كيفلافيك إلى ريكيافيك. كان الطقس ماطراً والسماء ملبّدة بالغيوم، وكل ما أمكنها رؤيته عبر نافذة الحافلة حقول مسطَّحة وجبال زرقاء بعيدة. لم يكن ينبت أي شيء هناك، لا أشجار ولا حتى سماء زرقاء. وعندما نزلت من الطائرة وسلكت الممر، شعرت بلسعة الهواء القُطبي كما لو أنها تخترق جداراً بارداً. لقد أُصيبت بالقُشَعريرة. كانت درجة الحرارة ثلاث بمقياس سلسيوس. حدث ذلك في منتصف أيلول/سبتمبر. فيما كانت درجة الحرارة ثلاثين بمقياس سلسيوس في وطنها عندما غادرت.

كانت قد تزوجت بالأيسلندي الذي التقته في بانكوك بعد أن تودد إليها، ودعاها تكراراً للخروج، وتصرف بتهذيب، وأخبرها عن أيسلندا بالانكليزية التي لم تكن تُجيدها وتفهمها جيداً بصفة خاصة. لقد بدا أنه ذو مال وفير، واشترى لها أشياء صغيرة من ملابس وحِلى.

عاد إلى أيسلندا بعد التقائهما، ولكنهما قررا البقاء على تواصل. فكتبت له صديقتها التي تجيد الإنكليزية بشكل أفضل بضعة سطور. عاد إلى تايلاندا بعد ستة أشهر، وقضى ثلاثة أسابيع هناك، ولازما بعضهما طوال الوقت. لقد ترك أثراً جيداً في نفسها، وأخبرها بكل شيء عن أيسلندا؛ فبالرغم من كونها صغيرة ونائية وباردة، وسكانها قليلو العدد، فهي إحدى الدول الأكثر ثراء في العالم. وأخبرها عن الأجور التي تُعتبر ضخمة مقارنةً

بالمعيار في بانكوك. فإذا انتقلت إلى هناك وعملت بكدّ، يمكنها بسهولة توفير الدعم المالي لعائلتها في تايلاندا.

نقلها إلى عتبة باب منزلهما، وهي شقة من غرفة نوم واحدة يملكها في سنورابروت. كانا قد سارا من محطة النقل إلى فندق لوفتليدير، وعبرا طريقاً ناشطة اكتشفت في وقت لاحق أنها تدعى ميكلابروت، وسارا إلى سنورابروت في مواجهة ريح شمالية جليدية، فيما كانت مرتديةً ملابس تايلاندية صيفية هي كناية عن سروال حريري كان قد اشتراه لها، وكنزة جميلة، وسترة صيفية خفيفة، ومنتعلة خفَّين بلاستيكيَّين. لم يُعِدّها زوجها بأية طريقة لوصولها إلى أيسلندا.

بدت الشقة جميلة بعد أن رتّبتها. وحصلت على وظيفة في معمل للشوكولاته. لقد سارت علاقتهما بشكل جيد في بادئ الأمر، ولكن ثبُت في النهاية أنهما كذبا على بعضهما بعضاً.

سألها إرلندور: «كيف؟ ما الذي كذبا في شأنه؟».

أجابته غودني: «سبق له أن قام بالأمر، مرة واحدة».

«ما الأمر الذي سبق له أن قام به؟».

«الذهاب إلى تايلاندا للحصول على زوجة».

«هل سبق له أن قام بذلك؟».

«قام بعض الرجال بهذا الأمر عدة مرات».

«وهل هذا... قانوني؟».

«لا شيء يحول دون حدوثه».

«ولكن، ماذا عن سوني؟ أية أكاذيب أخبرته بها؟».

«بعد أن مكثا معاً لبعض الوقت، أرسلت في طلب ابنها».

فحدّق إرلندور إلى المترجمة.

«تبيّن أن لديها ابناً في تايلاندا لم تخبره عنه قطّ».

«هل هو نيران؟».

«أجل، نيران. لديه اسم تايلاندي أيضاً، ولكنه يدعو نفسه نيران، وهكذا الجميع يدعونه بهذا الاسم».

«إذاً، هو...».

«أخ إلياس غير الشقيق. إنه تايلاندي بكل ما للكلمة من معنى، ووجد صعوبة بالتأقلم في أيسلندا على غرار فتيان آخرين يواجهون الوضع نفسه».

«ماذا عن زوجها؟».

قالت غودني: «حصلا على الطلاق في النهاية».

«نيران»، قال إرلندور لنفسه كما لو أنه يختبر وقع الاسم على مسمعيه. «هل لهذا الاسم أي معنى؟».

أجابته المترجمة: «يعني «خالد»؟».

«خالد؟».

«للأسماء التايلاندية معانٍ بسيطة على غرار الأسماء الأيسلندية».

«وسوني؟ ماذا يعني ذلك؟».

«شيء ما جيد»، قالت غودني.

«هل لإلياس اسم تايلاندي؟».

«أجل، آران. لست واثقة تماماً من معناه. يجب أن أسأل سوني».

«هل هناك تقليد ما وراء هذه الأسماء؟».

«يستخدم التايلانديون ألقاباً لإرباك الأرواح الشريرة. إنه أحد معتقداتهم الخرافية. يُنادى الأطفال بأسمائهم الحقيقية، ولكن الألقاب تُستخدم لتضليل الأرواح الشريرة التي قد تُلحق الأذى بالأطفال حسب معتقداتهم؛ إذ لا يجب عليها اكتشاف الاسم الحقيقي».

صدرت موسيقى من غرفة الجلوس، فعاد إرلندور والمترجمة من غرفة النوم إلى هناك. كان شقيق سوني قد وضع موسيقى تايلاندية لطيفة على مشغِّل أقراص مضغوطة. كانت سوني على الأريكة وقد شرعت بالتحدث إلى نفسها هَمْساً.

فنظر إرلندور إلى المترجمة.

«هي تتكلم عن ابنها الآخر، نيران».

قال إرلندور: «نحن نبحث عنه، سنعثر عليه. أَخبريها بذلك. سنعثر عليه».

هزت سوني رأسها وحدّقت إلى الفراغ.

قالت المترجمة: «إنها تعتقد أنه لاقى حتفه أيضاً».

3

أسرع سيغوردور أولي في اتجاه المدرسة، وانتشر ثلاثة رجال شرطة كانوا برِفقته في فناء المدرسة والجوار بَحثاً عن أداة الجريمة. كان التدريس قد توقف، والمبنى مظلماً وبلا حياة في ظُلمة الشتاء. كانت الأنوار تُضاء عند الحاجة، ولكن المدخل الرئيس مُقفَل. قرع سيغوردور أولي الباب. كان المبنى ضخماً من ثلاث طبقات مع مبانٍ مُلحَقة تأوي بِركة سباحة داخلية صغيرة وورشة عمل للنِّجارة. وعادت إلى سيغوردور أولي ذكريات صباحات الشتاء الباردة: التلاميذ الواقفون في صفَّين متوازيَين في الباحة، متشاجرين ومتمازحين، فيما تندلع أحياناً صِدامات يقوم المدرّسون بوضع حد لها. مطر وثلج وظُلمة في معظم فصل الخريف وطوال فصل الشتاء حتى حلول الربيع عندما تغدو الأيام أكثر إشراقاً، ويتحسن الطقس، وتبدأ الشمس بالشروق. نظر سيغوردور أولي عبر الملعب المعبَّد، وباحة كرة السلة، وملعب كرة القدم، وتمكن تقريباً من سماع صيحات التلاميذ القديمة.

وشرع بركل الباب، فظهرت القيِّمة في النهاية، وهي امرأة تناهز الخمسين من العمر. ففتحت الباب، وسألت عن سبب كل هذا الصخَب. عرّف سيغوردور أولي بنفسه، وسأل عما إذا كانت مدرّسة الصف 5 دال لا تزال في المدرسة.

«ماذا يجري؟». سألت المرأة.

«لا شيء». قال سيغوردور أولي وتابع: «المدرّسة؟ هل تعرفين إذا كانت لا تزال هنا؟».

«الصف 5 دال؟ إنها الغرفة 304 . هي موجودة في الطابق الثاني. لا أعرف إذا كانت أَغنِس قد غادرت، سأتحقق من الأمر».

انطلق سيغوردور أولي في طريقه، فقد كان يعرف مكان السلّم، وصعد الدرَجات مجموعات مجموعات. كان الصف الخامس في ما مضى في الطابق الثاني أيضاً، إذا لم تَخُنه الذاكرة. ربما يكون الترتيب المعتمَد الآن هو ذلك الذي كان مُتَّبَعاً في أواخر السبعينيات من القرن الماضي؛ عندما كان تلميذاً. وشعر بأنه أكبر سنّاً بعشر سنوات عندما تبادرت تلك الجملة اللعينة إلى ذهنه - القرن الماضي.

كانت كل غرف الصفوف في الطابق مُقفَلة، فنزل السلّم قَفزاً. وفي غضون ذلك، وصلت القيّمة إلى غرفة الهيئة التعليمية، وكانت بانتظاره في الممر لإخباره أن مدرّسة الصف 5 دال قد ذهبت إلى المنزل.

«أَغنِس؟ هل هذا هو اسمها؟».

«أجل»، أجابته المرأة.

«هل المدير موجود؟».

«أجل. إنه في مكتبه».

كاد سيغوردور أولي يصطدم بالقيّمة عندما اندفع بخطى واسعة في اتجاه غرفة الهيئة التعليمية التي تؤدّي إلى مكتب المدير، كما كان الحال في زمنه. وجد الباب مفتوحاً، فدخل على الفَور في عَجَلة شديدة. لقد لاحظ أن مديره القديم لا يزال في المدرسة، وكان يستعدّ للذهاب إلى المنزل، رابطاً شالاً حول عُنُقه، عندما أزعجه سيغوردور أولي.

«ماذا تريد؟». سأل المدير مُجفَلاً بسبب التطفُّل.

فتردد سيغوردور أولي للحظات، غير واثق مما إذا كان المدير قد عرفه أم لا.

سأله المدير: «هل يمكنني مساعدتك؟».

أجابه سيغوردور أولي: «يتعلق الأمر بالصف 5 دال».

«ماذا هناك؟».

«حدث خطب ما».

«هل لديك ابن في ذلك الصف؟».

«لا. أنا شرطي. عُثر على تلميذ من الصف 5 دال مقتولاً خارج منزله. لقد طُعن وتُوفّي من جراء الطعنة. نحتاج إلى التحدث إلى كل المدرّسين، ولا سيما إلى أولئك الذين يمكنهم تزويدنا بشيء ما عن هذا الفتى، نحتاج إلى...».

«ماذا قـ...؟». وشهق المدير، ورآه سيغوردور أولي يَشحُب.

«... التحدث إلى رفاق صفه، والهيئة التعليمية في المدرسة، وأشخاص آخرين يعرفونه. نعتقد أنه قُتل نتيجة طعنة في المعدة».

كانت القيّمة قد تبعت سيغوردور أولي إلى المكتب، فوقفت عند مدخل الباب شاهقةً ومغطيةً فمها بشكل فطري، ومحدّقةً بالمحقِّق كما لو أنها عاجزة عن تصديق ما تسمعه.

سأل سيغوردور أولي: «الفتى نصف تايلاندي، هل هناك العديد منهم في هذه المدرسة؟».

أجابه المدير بطريقة خالية من التعبير، وهو يغوص ببطء في كرسيّه: «العديد منهم...». كان في السبعين من عمره تقريباً، وقضى حياته في التدريس، ولكنه يتطلّع إلى التقاعد. لم يتمكن من استيعاب ما حدث،

وظهرت على وجهه نظرة عدم تصديق.

سألت القيّمة وراء سيغوردور أولي: «من الذي قتل؟».

فاستدار سيغوردور أولي، وأجابها أثناء إغلاق الباب: «آسف، ربما يمكننا التحدث إليك في وقت لاحق».

قال مخاطباً المدير: «أحتاج إلى سجلات أسماء الأهالي وعناوينهم. أحتاج إلى لائحة بأسماء كل مدرّسي الفتى، كما أنني أحتاج إلى تفاصيل حول أي صِدام حصل داخل المدرسة، وحول العصابات إذا كانت موجودة، وأمور ذات علاقة بالعرق؛ أي شيء يمكنه شرح ما حدث. هل هناك أي شيء يتبادر إلى ذهنك؟».

«لا... لا أستطيع التفكير في أي شيء، هل يمكن لأمر مماثل أن يحدث؟».

«لسوء الحظ. علينا العمل بسرعة».

«من الفتى؟». قاطعه المدير.

فأخبره سيغوردور أولي أنه يدعى إلياس. استدار المدير نحو جهاز الكمبيوتر، ودخل شبكة المعلومات المتعلقة بالمدرسة، وعثر على الصف وصورة فوتوغرافية للفتى.

«سابقاً، كنت أعرف كل التلاميذ بأسمائهم. الآن، هناك عدد كبير منهم. هذا هو، أليس كذلك؟».

رد سيغوردور أولي محدّقاً بالصورة: «أجل، إنه هو». وأخبر المدير عن شقيق إلياس، وعثرا على صف نيران وصورة فوتوغرافية له. لم يكن الشقيقان غير متشابهَين؛ فكلاهما يملكان شعراً أسود كهرمانيّ يصل إلى حدود الحاجبين، وبشرة داكنة، وعينين بنّيتين. أرسلا صورة نيران إلى الشرطة بالبريد الإلكتروني، واتصل سيغوردور أولي بمركز الشرطة ليشرح الأمر، وتمّ توزيعها في الحال مع الصورة التي وفّرها إرلندور.

سأل سيغوردور أولي عندما أنهى اتصاله الهاتفي: «هل حدثت أي صدامات بين عصابات في المدرسة؟».

«هل تعتقد أن للمدرسة علاقة بما جرى؟». سأل المدير وعيناه مسمَّرتان على شاشة الكمبيوتر حيث تملأ صورة إلياس الفوتوغرافية الشاشة، مبتسماً لهما. كانت ابتسامة خجولة، وبدلاً من النظر إلى آلة التصوير مباشَرةً، كان ينظر فوقها كما لو أن المصوّر طلب منه النظر إلى الأعلى، أم أن شيئاً ما أفقده التركيز. لديه معالم وجه متماثلة مع جبين عالٍ، وعينين صريحتين.

أجابه سيغوردور أولي: «نحقق في كل الاحتمالات، لا يمكنني قول المزيد».

«هل للأمر علاقة بالعنصرية؟ ماذا كنتَ تقول؟».

«لا، باستثناء أن والدة الفتى من تايلاندا». قال سيغوردور أولي، ثم تابع: «لا شيء آخر. لا نعرف ما حدث».

شعر سيغوردور أولي بالارتياح لأن المدير لم يتذكّر أنه كان تلميذاً في المدرسة. إذ لم يشأ الدخول في محادثة عن الأيام الغابرة والمدرّسين القدامى، وما حدث لصفّه وكل ذلك الهراء.

قال المدير: «لم يتم إبلاغي بأي شيء. أو على الأقل، لم يتمّ إبلاغي بأي شيء جدّي، ومن المُحال أن يكون ذلك قد أدّى إلى هذه المأساة. لا أستطيع تصديق ما حدث!».

قال سيغوردور أولي: «من الأفضل أن تصدق».

أعدّ المدير لائحة مطبوعة برفاق إلياس في الصف تتضمّن عناوين الأهالي أو الأوصياء، وأرقام هواتفهم، وأسماءهم. وسلّم القائمة لسيغوردور أولي.

«بدآ بارتياد المدرسة هذا الخريف، الشقيقان. ألا يُفترض بي إرسالها بالبريد الإلكتروني إلى العنوان الذي أعطيتني إياه أيضاً؟ إنه أمر رهيب». وأنّ محدِّقاً بطاولته كما لو أنه أُصيب بالشلل.

«لا رَيب في ذلك. أنا بحاجة أيضاً إلى عنوان مدرّسته ورقم هاتفها. ماذا حدث؟».

فنظر إليه المدير.

«ماذا تعني؟».

«تكلّمتَ عن أمر ما لم يكن جدّيّاً، ومن المُحال أن يكون قد أدّى إلى هذه المأساة. ما هو هذا الأمر؟».

فتردد المدير.

«ما هو؟». كرّر سيغوردور أولي.

«أعرب أحد المدرّسين هنا عن كُرهه القويّ للهجرة».

«أتقصد هجرة النساء من تايلاندا؟».

«أولئك أيضاً، وليس هن فقط بل أيضاً هجرة أشخاص من آسيا، ومن الفيليبين، وفييتنام؛ من تلك الأماكن. لديه وجهات نظر متطرّفة حيال المسألة. ولكنها مجرّد آراء بالطبع، وما كان ليقوم بأمر مماثل، أبداً مطلقاً».

«ولكنه تبادر إلى ذهنك. ما اسمه؟».

«سيكون الأمر سخيفاً!».

«نحتاج إلى التحدث إليه». قال سيغوردور أولي.

«هو يستحوذ على انتباه التلاميذ». قال المدير. «هكذا هو. إنه وقح وفظّ ولكنه يوصل إلى التلاميذ فكرته».

«هل درّس إلياس؟».

«في إحدى المراحل. في العادة هو يدرّس اللغة الأيسلندية، ولكن كثيراً ما يكون مدرّساً بديلاً، وقد درّس كل التلاميذ تقريباً في المدرسة».

وأطلعه المدير على اسم المدرّس، فدوّنه سيغوردور أولي.

«لقد حذّرتُه ذات مرة. فنحن لا نقبل أي تحامل عِرقي في هذه المدرسة». قال المدير بحزم. «ولا نتساهل مع الأمر. يناقش الناس مسائل عِرقية هنا كما هو الحال في كل مكان آخر، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بالمهاجرين. توجد مساواة مُطلَقة هنا، والمدرسون أو التلاميذ لا يتحمّلون أي وضع آخر».

لاحظ سيغوردور أولي أن المدير لا يزال يكتم أمراً ما فسأله: «ماذا حدث؟».

«دخلا في صِدام تقريباً». قال المدير، «هو ومدرّس آخر يدعى فينور في غرفة الهيئة التعليمية، واستدعى الأمر فصلهما من العمل. لقد أبدى بعض الملاحظات التي أزعجت فينور. وتحوّل الأمر إلى ما يشبه مصارعة الديوك».

«أي ملاحظات؟».

«لم يَقُل فينور».

«هل هناك من نحتاج إلى التحدث إليه أيضاً؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا يمكنني الإبلاغ عن أشخاص بسبب وجهات نظرهم ليس إلا».

«أنت لا تبلِّغ عن أشخاص»، قال سيغوردور أولي. «لقد تعرّض الفتى لاعتداء، ولا يتعلق الأمر بآراء أشخاص، بل إنه تحقيق تُجريه الشرطة، ونحتاج إلى معلومات. نحتاج إلى مكالمة أشخاص، ونحتاج إلى معرفة ما جرى بالتفصيل. ولا علاقة للأمر بوجهات نظر الناس».

«إغيل مدرّس النِّجارة دخل في جدال هنا منذ بضعة أيام. كان نقاشاً حول تعددية الثقافات أو ما شابه، لا أعلم. هو سريع الغضب، ويُبقي نفسه على اطّلاع بشكل جيد. ربما ينبغي عليك التحدث إليه».

«كم عدد التلاميذ الذين هم من أصل أجنبي في هذه المدرسة؟». سأل سيغوردور أولي أثناء تدوينه اسم مدرّس النِّجارة.

«أفترض وجود أكثر من ثلاثين تلميذاً في الإجمال. إنها مدرسة كبيرة».

«ألم تنشأ مشاكل معيَّنة بسبب هذا الأمر؟».

«نحن واعون للحوادث التي تقع، ولكن أيّاً منها ليس خطيراً».

«إذاً، ما الذي نتحدث عنه؟».

«ألقاب، شجارات. لم يتم إبلاغي بأي شيء، ولكن المدرّسين يتحدثون عن ذلك. فهم بالطبع يراقبون عن كثب ما يجري ويتدخلون. فنحن لا نريد أي نوع من التمييز في هذه المدرسة، ويعرف التلاميذ هذا الأمر. إنهم يَعون ذلك جداً، ويبلغوننا على الفور، ومن ثم نتدخل».

«هناك مشاكل في كل المدارس كما أتخيّل». قال سيغوردور أولي. فالفتيان والفتيات المثيرون للمتاعب لا يتسببون إلا بالإزعاج».

«هناك تلاميذ مماثلون في كل المدارس».

وحدّق المدير بسيغوردور أولي مستغرقاً في التفكير.

«لديّ شعور بأنني أعرفك». قال فجأةً. «ما اسمك مجدداً؟».

فأطلق سيغوردور أولي أنيناً صامتاً. يا له من بلد صغير، سكانه قليلو العدد!

«سيغوردور أولي».

«سيغوردور أولي». كرّر المدير مفكِّراً مليّاً. «سيغوردور أولي؟ هل ارتدتَ هذه المدرسة؟».

«منذ مدة طويلة، قبل العام 1980 ، ولفترة وجيزة».

شاهد سيغوردور أولي المديرَ وهو يحاول أن يتذكّره، وتيقّن من أنه سيتذكّره قريباً. لذلك، همّ بالمغادرة. سيعود رجال الشرطة إلى المدرسة للتحدث إلى التلاميذ والمدرّسين وأفراد آخرين من الهيئة الإدارية. كان قد بلغ الباب عندما بدأ المدير يتذكّر أخيراً.

«ألم تشارك في أعمال الشغب في السبعينيات...».

لم يسمع سيغوردور أولي نهاية السؤال، وخرج من غرفة الهيئة التعليمية بخطى واسعة من دون أن يجيب عن السؤال. لم يرَ القيّمة. كان المبنى مُقفِراً في هذا الوقت المتأخر من اليوم. وعندما كان على وشك الخروج إلى البَرْد، توقف فجأةً، ورفع نظره في اتجاه السقف، وتردّد للحظات، ومن ثم عاد إلى السلّم، وبلغ الطابق الثاني قبل أن يُدرك ذلك. كانت هناك على الجدران صور فوتوغرافية قديمة لتلاميذ الصفوف تحمل أسماء الشُّعَب والعام. عثر على الصورة التي كان يبحث عنها، ووقف أمامها، ونظر إلى نفسه حين كان تلميذاً في الثانية عشرة من العمر. كان

التلاميذ مصطفين في ثلاثة صفوف، وكان يقف في الصف الخَلفي محدِّقاً بآلة التصوير مباشَرةً، رزيناً ومرتدياً قميصاً رقيقاً ذا ياقة عريضة تحمل نَقشاً غريباً، وشعره مقصوص وفقاً لقصّة الديسكو الرائجة في ذلك الوقت.

نظر سيغوردور أولي إلى الصورة مطوَّلاً.

«كم الأمر مُحزن». قال متنهّداً.

4

رنّ هاتف إرلندور المحمول بلا توقّف. لقد زوّده سيغوردور أولي بتقرير عن لقائه بالمدير، وقال إنه في طريقه للقاء مدرّسة الفتى وفرد آخر من الهيئة التعليمية عبّر عن رأيه بحرّيّة ضد الهِجرة. واتصلت به إيلينبورغ لتخبره أن شاهدة تُقيم في قسم المبنى نفسه الذي تُقيم فيه سوني تعتقد أنها رأت الشقيق البِكر في وقت مبكّر من ذلك اليوم. ونقل رئيس فريق الأدلّة الجنائية عن الأخصائي في عِلم الأمراض قولَه إن الفتى طُعن مرة واحدة بأداة حادّة نوعاً ما على الأرجح، وربما تكون سكيناً.

«أي نوع من السكاكين؟». سأل إرلندور.

«النَّصل عريض، لا بل إنه سميك أيضاً، ولكنه حادّ بصفة خاصة». قال رئيس فريق الأدلة الجنائية. «لم يتطلّب الطعن جهداً كبيراً. وربما كان الفتى مستلقياً على الأرض عندما طُعن. فمعطفه قذِر من الظهر، وممزّق أيضاً. يبدو جديداً نوعاً ما، ربما تورّط في صِدام، وحاول الدفاع عن نفسه، كما هو متوقَّع، ولكن الجرح الوحيد تسبّب به سكين اخترق كَبِده وفقاً للأخصائي في عِلم الأمراض، ومات بسبب فقدان الدم».

«أتعني أن دخول السكين بهذا العُمق لم يتطلّب قوة كبيرة؟».

«هذا ما أمكن تصوّره».

«هل يستطيع طفل أو شاب القيام بذلك على سبيل المثال؟ أو شخص ما في سنّه؟».

«يصعب الجزم، ولكن يبدو الأمر كما لو أن الطعنة تسبّبت بها أداة حادّة».

«ووقت الوفاة؟».

«استناداً إلى درجة الحرارة، مات قبل ساعة تقريباً من العثور عليه. يمكنك مناقشة الأمر مع الأخصائي في عِلم الأمراض».

«يبدو أنه كان عائداً من المدرسة إلى المنزل مباشَرةً».

«هكذا يبدو الأمر».

جلس إرلندور على كرسيّه في مواجهة الشقيق والشقيقة من تايلاندا. وجلست غودني المترجمة على الأريكة أيضاً، وترجمت المعلومات التي تلقاها إرلندور، وأصغت سوني بصمت. كانت قد توقفت عن البكاء. فقاطع الشقيق الحديث وتحدّثا معاً بهمس نوعاً ما للحظات.

«ماذا يقولان؟». سأل إرلندور.

«لم يكن معطفه ممزَّقاً عندما غادر المنزل هذا الصباح»، قالت المترجمة. «لم يكن جديداً ولكنه كان في حالة جيدة».

«من الواضح أن شجاراً قد حدث»، قال إرلندور. «لا يمكن تأكيد ما إذا كان الهجوم الذي تعرّض له إلياس ذا دافع عِرقي. استنتجتُ أن هناك ثلاثين تلميذاً من أصل أجنبي في تلك المدرسة. علينا التحدث إلى أصدقائه والأشخاص الذين كانوا على صِلة به. ينطبق الأمر نفسه على شقيقه. أعرف أن الأمر صعب، ولكن إذا أعطتنا سوني قائمة بالأسماء، فإن ذلك سيساعدنا. وإذا لم يكن باستطاعتها تذكّر الأسماء، فبإمكانها أن تزوّدنا ببعض التفاصيل عن أصدقائه؛ أعمارهم وما شابه، وأماكن إقامتهم. الوقت عنصر أساسي، ونأمل أن تُدرك ذلك».

«هل تملك أية فكرة عن شعورها؟». سألت المترجمة ببرودة.

«أُقدر حالتها»، قال إرلندور.

á á á

قرعت إيلينبورغ الباب. كانت في مدخل الطابق الأول على مَقرُبة من بيت السلّم. ففُتح الباب، واستقبلها شرطيّ ببِذلة رسمية. كانت شاهدة جديدة قد تحدّثت إليه، وها هي تنتظر إيلينبورغ في غرفة الجلوس. فاني أرملة في الخامسة والستين من العمر، لديها ثلاثة أبناء بالغين، وكانت قد أعدّت القهوة للشرطي الذي غادر حالما ظهرت إيلينبورغ. فجلست المرأتان وبيد كل منهما كوب.

«يا لَفظاعة الأمر!»، قالت المرأة متنهّدة. «يحدث هذا الأمر في شققنا! لا أعرف ما الذي يُصيب العالم».

كانت الشقة مُظلمة، باستثناء ضوء في المطبخ ومصباح صغير في غرفة الجلوس. إنها صورة معكوسة لشقة سوني، مع سجادة سميكة على الأرض، وورق جدران أخضر في الممر وغرفة الجلوس.

«هل تعرفين الفتيَين؟». سألت إيلينبورغ. «أعني الشقيقين».

كان يتعيّن عليها الإسراع للحصول على معلومات حيوية، ومواصلة مهمتها؛ الاستعجال من دون إغفال أي شيء.

«أجل، قليلاً»، قالت فاني. «كان إلياس فتى محبَّباً إلى النفس. لقد تطلب مني الأمر مدة أطول للتعرّف إلى شقيقه، ولكنه فتى صالح أيضاً».

«قلتِ إنك رأيته في وقت سابق من هذا اليوم». قالت إيلينبورغ محاولةً ألا تبدو مُتعَبة. فابنتها في المنزل مريضة؛ وهي تتقيّأ ومُصابة بالحمّى، لذا لم تنَم إيلينبورغ إلا قليلاً في الليلة السابقة. كانت قد قرّرت

المرور إلى العمل بشكل خاطف، ولكن ذلك تغيّر عندما وصل التقرير حول الفتى.

«أحياناً، أتبادل أطراف الحديث مع سوني في الممر»، قالت فاني، كما لو أنها لم تسمع تعليق إيلينبورغ. «لم يُقيموا هنا منذ مدة طويلة. من الصعب عليها بالتأكيد أن تكون بمفردها على هذا النحو. إذ يتعيّن على سوني العمل بأصابعها باستمرار؛ والأجور ليست مرتفعة جداً لعمّال المصنع».

«أين كان نيران عندما رأيته في المرة الأخيرة؟». سألت إيلينبورغ.

«وراء الصيدلية».

«كم كان الوقت؟ وهل كان بمفرده؟ هل دخل الصيدلية؟».

«كنت أترجّل من الحافلة القادمة من المدينة نحو الساعة الثانية؛ فأنا أمرّ على الدوام بجانب الصيدلية، وعندئذٍ رأيته. لم يكن بمفرده، ولم يكن داخلاً إلى الصيدلية. كان مع بعض الأصدقاء، رفاق في المدرسة كما أفترض».

«وماذا كانوا يفعلون؟».

«لا شيء. كانوا يتسكّعون وراء الصيدلية فحسب».

«وراءها؟».

«أجل، يمكنك رؤية الباحة عندما تنعطفين عند الزاوية هناك».

«كم كان عددهم؟».

«خمسة أو ستة. لا أعرف من كانوا. لم يسبق لي أن رأيت أيّاً منهم من قَبل».

«هل أنت واثقة؟».

«نعم». قالت فاني واضعةً الكوب الفارغ من يدها.

«هل كانوا في مثل سنّ نيران؟».

«أجل، أفترض أنهم في مثل سنّه تقريباً. كانوا ملوَّني البشرة».

«ولكنك لم تعرفيهم، أليس كذلك؟».

«لا».

«قلتِ إنك تتبادلين أطراف الحديث مع سوني».

«أجل».

«هل تحدثتِ إليها مؤخراً؟».

«أجل، منذ أيام قليلة. التقيتُها في الخارج. كانت قادمة إلى المنزل من العمل ومُنهَكة القوى. لقد أخبرتني الكثير عن تايلاندا بلغتها الأيسلندية المكسَّرة. هي تتكلم ببساطة. هذا جيد».

«عن أي نوع من الأمور أخبرتك؟».

«سألتُها ذات مرة عن أصعب ما واجهها في إقامتها في أيسلندا أو لدى انتقالها من تايلاندا إلى أيسلندا، فتحدثت عن تحفّظ الأيسلنديين قليلاً مقارنةً بالتايلانديين. قالت إن العلاقات هناك أكثر انفتاحاً؛ فالكل يكلّم الكل، ويناقش الأجانب كل شيء بسعادة تامة. إذا كنتِ تجلسين على الرصيف في الخارج وتتناولين وجبة طعام، فإن طلبك من أحد المارّة الانضمام إليك لن يُشعرك بأي خجل».

«والطقس ليس مماثلاً». قالت إيلينبورغ.

«لا. يبقى الناس في الخارج عندما يكون الطقس جيداً بالطبع. فيما نحن نقضي معظم السنة في الداخل، وكل شخص يعيش في عالمه الخاص. تصادفين أبواباً مُغلَقة في كل مكان. انظري إلى هذا الممر على سبيل المثال. لا أقول إن الأمر أفضل أو أسوأ، ولكنه مختلف. إنهما عالمان مختلفان. عندما تتعرّفين بسوني، ينتابك شعور بأن الحياة في تايلاندا أكثر هدوءاً واسترخاءً. هل تعتقدين أنه بإمكاني زيارتها؟».

«ربما يُفترض بك الانتظار يوماً واحداً أو يومين لأنها مُجهَدة كثيراً».

«يا للمرأة المسكينة! لم تَعُد سانوك سانوك».

«ماذا تعنين؟».

«حاولت أن تعلّمني بضع كلمات باللغة التايلاندية، مثل سانوك سانوك. قالت إنها تليق بكل التايلانديين، وتعني ببساطةٍ الاستمتاعَ بالحياة، والقيام بأمر جيد ومُسلٍّ. استمتعي بالحياة! وعلّمتني بِيْ نِيْ. إنها التحية المعتادة باللغة التايلاندية، كما نقول مرحباً. ولكنها تعني أمراً مختلفاً تماماً. بِيْ نِيْ تعني أين تذهبين؟ إنها بمثابة سؤال ودود وترحيب في آن وتعبّر عن الاحترام. للتايلانديين احترام كبير للفرد».

«أنتما صديقتان مقرَّبتان؟».

«باستطاعتك قول ذلك. ولكنها لا تُخبرني بكل شيء، عزيزتي تلك».

«حقاً؟!».

«لا يُفترض بي نشر شائعات كهذه، ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«كان لديها زائر بلا ريب».

«كلنا نستقبل زوّاراً». قالت إيلينبورغ.

«بالطبع. لا، لقد خطر ببالي أنه ربما يكون عشيقاً أو ما شابه. تملّكني هذا الشعور نوعاً ما».

«هل رأيتِه؟».

«لا، ولكنني بدأت بالاشتباه بالأمر في الصيف، ومرةً أخرى هذا الشتاء. كان هناك فقط صوت أشخاص يتحركون في أرجاء المكان؛ في وقت متأخر من الليل».

«ولا شيء آخر؟».

«لا، هذا كل ما في الأمر. لم أسألها مطلقاً».

«إذاً، أنتِ لا تتحدثين عن زوجها السابق، أليس كذلك؟».

«لا، فهو يحضر في أوقات مختلفة».

شكرتها إيلينبورغ على المساعدة التي قدمتها لها، واستأذنتها بالانصراف. واتصلت برقم على هاتفها المحمول، وكانت في الممر خارجاً عندما أجاب سيغوردور أولي على الاتصال، فأخبرته عن مجموعة الفتيان قرب الصيدلية.

«ربما يكونون رفاقه في المدرسة». قالت إيلينبورغ أثناء نزولها الدرَج بعَجَلة. «ربما قصد المنزل مع أحدهم. يبدو أنهم في مثل سنّه تقريباً».

«أعتقد أن إرلندور يُعدّ قائمة بأصدقاء الفتيَين»، قال سيغوردور أولي. «أنا ذاهب للقاء مدرّسة إلياس، أَغنِس. سأسألها عن الصيدلية. تكمن المسألة في ما إذا كان ينبغي علينا الاتصال بالصيدلية أيضاً ومعرفة ما إذا كان الفتيان يتسكعون هناك».

«ربما تكون لا تزال مفتوحة». قالت إيلينبورغ. «سأتحقق من ذلك».

á á á

أنهى سيغوردور أولي المكالمة الهاتفية، وصعد الدرَجات رَكضاً إلى منزل مكوَّن من ثلاثة طوابق في جِوار المدرسة. كانت مدرّسة إلياس تُقيم في الطابق الأول، فنزلت إلى الطابق السُّفلي لفتح الباب. لقد عرفها من إحدى الصور الفوتوغرافية التي رآها في المدرسة. ألقت المدرّسة نظرة واحدة على سيغوردور أولي بشعره القصير المقصوص بشكل دقيق، وربطة عُنُقه المعقودة بترتيب، وقميصه الأبيض، ومِعطفه الأسود فوق البذلة قاتمة اللون، وقاطعته قبل أن يتمكن من التعريف بنفسه.

«لا شكراً». وابتسمت.

ومن ثم أغلقت الباب في وجهه.

وقف سيغوردور أولي مفكِّراً للحظات، ومن ثم رنّ الجرس ثانيةً.

«لم يَبلغك الخبر، أليس كذلك؟». قال بلهجة جدّيّة عندما فتحت المرأة الباب ثانيةً.

«أي خبر؟».

«أنا من الشرطة. عُثر على أحد تلامذتك مَيتاً قرب منزله. يبدو الأمر

كما لو أنه قد طُعن بسكين».

فتحوّلت تعابير وجه المرأة إلى علامة استفهام كبيرة.

«ماذا؟!». أنّت. «مَيتاً؟ مَن هو؟».

«إلياس». قال سيغوردور أولي.

«إلياس؟».

فأومأ سيغوردور أولي برأسه.

«لا أصدّقك! كيف؟ لماذا؟ ما... ماذا تقول؟».

«هل تسمحين لي بالدخول؟». قال سيغوردور أولي. «نحتاج إلى معلومات عن صفّه، وأصدقائه، ومن يرافقهم. هل كان يواجه مشاكل في المدرسة؟ هل كان لديه أعداء؟ سيكون من الجيد أن تقدّمي لنا المساعدة. الوقت ينفد منا. وكلما أسرعنا في جمع المعلومات، كان ذلك أفضل. من الرهيب أن نُضطر للاتصال بالأشخاص على هذا النحو، ولكن...».

«لقد... لقد ظننتُ أنك من إحدى الشِّيع الدينية تلك». تنهّدت أَغنِس.

«هل يمكنني الدخول والجلوس معك للحظات؟».

«آسفة». قالت أَغنِس. «تفضّل رجاءً».

أثناء دخول سيغوردور أولي المنزل عبْر مدخل صغير فيه مرآة، تمكن من رؤية أفراد عائلة المدرّسة يتناولون العشاء في المطبخ. لقد نظر إليه ثلاثة أطفال؛ فتَيان وفتاة بفُضول، ووقف والدهم لمصافحته. فأخذت أَغنِس زوجها جانباً، وشرحت له بصوت منخفض سبب الزيارة غير المتوقَّعة، ومن ثم رافقت سيغوردور أولي.

«ماذا حدث؟». سألته حالما أغلقت الباب. «هل تعرّض الفتى لاعتداء؟».

«هكذا يبدو الأمر».

«يا الله! هذا... يا للفتى المسكين! من يمكنه القيام بأمر مماثل؟».

«هل يمكن أن يكون شخص ما في المدرسة أو في صفه راغباً في إلحاق الأذى به؟».

«لا، البتة». قالت أَغنِس. «إلياس فتى لطيف جداً، وهو يحاول على الدوام إسعاد الجميع. وكان تلميذاً جيداً. لماذا تريد ربط هذا الأمر بالمدرسة؟ هل لديك أي دليل ملموس؟».

«لا، لا شيء». قال سيغوردور أولي بثبات. «علينا البدء من مكان ما. ألم تلاحظي تعرّضه للمشاحنة بصفة خاصة؟ هل هناك حادث يمكن ربطه بالاعتداء؟ أو شيء ما أقلقك؟».

«لا شيء». قالت أَغنِس. «بقَدْر ما أملك من معلومات، لم يحدث أي شيء في المدرسة يمكن أن ينتهي على هذا النحو. لا شيء».

وتأوهت بعمق.

«هل لديك معلومات عن مجموعة الفتيان الذين يتسكعون قرب الصيدلية المحلية؟ أصدقاء الشقيقَين ربّما، أو مجموعة من المهاجرين؟».

«لا، لا أعرف شيئاً عن هذه المجموعة. كيف تتقبّل والدته الأمر، تلك المرأة المسكينة؟ عليّ القيام بزيارتها؛ عِلماً أنني لا أعرف ما يجب أن أقوله لها».

«أعتقد أنها تتحمّل مُصابها بالرغم من الظروف». قال سيغوردور أولي. «هل تعرفينها جيّداً بأية حال؟».

«لا يمكنني القول إنني أعرفها». أجابت أَغنِس. «كانت تواجه مشكلة في تكلّم الأيسلندية، لذلك تمّ تعيين مشرفة للشقيقَين، وهي كناية عن صِلة وصل بين العائلة والمدرسة. إنها امرأة ودودة تدعى غودني. ليس الأمر غير مألوف عندما نريد إقامة صِلة وثيقة بالتلاميذ وأهاليهم. فبعضهم قادم من كرواتيا، وآخرون من فييتنام، أو الفيليبين، أو بولندا. هناك كاثوليك، وبوذيّون، ومسلمون. لقد التقيتُ والدة إلياس مرات قليلة، وبدت لطيفة جداً. لا بد من أن تكون الأمور صعبة عليها، لا سيّما وأنها عزباء بهذه الطريقة».

«كيف ينظر المهاجرون إلى وضعهم؟». قال سيغوردور أولي. «إلى أي مدى ينسجمون مع المحيط؟».

«في الواقع، نحاول في هذه الأيام التحدث عن الأقليات». قالت أَغنِس. «فالبعض يحتاجون إلى مدة أطول للتكيّف. والأكثر نجاحاً في التكيّف مع محيطهم هم أولئك الذين يتكلمون الأيسلندية ويفهمونها، والذين وُلدوا هنا ويكونون بالطبع أيسلنديين أيضاً، مثل إلياس. أما نيران فمسألة مختلفة. هل تعرف أنهما أخوان غير شقيقَين؟».

«أجل». قال سيغوردور أولي. كان إرلندور قد أخبره عن حديثه مع المترجمة. «ماذا عن نيران؟».

«في الواقع، يُفترض بك التحدث إلى مدرّسته عن هذا الأمر». قالت أَغنِس. «يواجه المعلمون أحياناً صعوبة عندما يكون الفتيان والفتيات القادمون إلى هنا كباراً ولا يعرفون أي شيء من اللغة».

«وهل نيران من أولئك الفتيان؟». قال سيغوردور أولي.

«حسناً، لا يُفترض بي في الواقع التحدث عن التلاميذ فرداً فرداً، ولكنها

حالة خاصة بالطبع. فهو لا يبدو مهتماً بتعلُّم اللغة، ويكاد لا يُجيد قراءة الأيسلندية، ولا يفهمها جيداً. يكون الأمر صعباً على أولئك الفتيان المساكين عندما تكون اللغات مختلفة جداً. فهم يتكلّمون لغة نَغَمية يتبدّل معنى الكلمات فيها مع تبدّل طبقة الصوت. اللغة الأيسلندية مختلفة تماماً، بالطبع».

«أتقولين إن إلياس كان تلميذاً جيداً؟». قال سيغوردور أولي.

«كان كذلك. من الواضح أن والدته تعرف ما تريده. فهي تريد حصول ابنَيها على التعليم، وهما حادّا الذكاء بالرغم من اختلافهما بطرق شتّى».

«كيف هما مختلفان؟».

«أعرف إلياس أكثر من شقيقه، ولكنني علّمت شقيقه قليلاً أيضاً. إلياس أخّاذ ويحاول إسعاد الجميع، وهو مبتسم وودود على الدوام؛ عِلماً أنني لا أشعر بأن لديه أصدقاء كثراً؛ ذاك الفتى المسكين».

«لقد انتقلوا للتوّ إلى هذا الحيّ». قال سيغوردور أولي.

«شقيقه مختلف تماماً». قالت أَغنِس.

«كيف؟».

«لا أعرفه جيداً كما قلتُ، ولكن انطباعي عنه هو أنه أكثر صلابة، ولا يخشى الدفاع عن نفسه، ويفتخر بأصوله وبكونه تايلاندياً. لا تجد هذه الميزة لدى الصغار في غالب الأحيان، ولا تجدها لدى أيٍّ منهم في الواقع؛ بل يبدو أنهم يعرفون القليل القليل عن أصولهم. لاحظتُ ذلك في شخصيته ذات مرة عندما كان يتحدث عن والد جدّه. فنيران يكنّ احتراماً كبيراً له، ولأنسبائه الآخرين في تايلاندا».

كان جار سوني في الشقة المجاورة في السبعين من عمره تقريباً ويعيش بمفرده. ولم يكن قد بلغه النبأ بعد، وقال إنه صُدِم لدى رؤيته سيارات الشرطة تندفع حول مجمَّعات الشقق السكنية عندما عاد إلى المنزل. لقد تشاجر مع ضبّاط الشرطة عند المدخل عندما أرادوا أن يعرفوا اسمه وأين يُقيم، لأنه لم يحبّ هذا النوع من الاستجواب. لم تطلعه الشرطة على ما حدث، لذلك شعر بالاضطراب عندما حيّاه إرلندور على فسحة الدرَج تحت الطابق العُلوي، وعرّف بنفسه قائلاً إنه محقِّق من دائرة التحقيقات الجنائية في ريكيافيك.

«ماذا يجري هنا؟». سأل الرجل لاهثاً بسبب صعوده السلّم، وفي يده كيس من النايلون. كان متوسط الطول، ويرتدي بذلة رثّة تحت معطف

أخضر، ويضع ربطة عُنُق غير ملائمة. لقد اعتبر إرلندور أنه هزيل على غرار الأشخاص الوحيدين العديدين الذين يصادفهم. فالرجل نحيل، مع حدّ شَعر متراجع، وعينَين كبيرتَين نوعاً ما وناتئتَين، وحاجبَين نحيفَين تحت جبين عريض يشير إلى الذكاء.

فشرح له إرلندور الوضع، ولاحظ أن الخبر أزعجه.

«إلياس!». أنّ وهو ينظر إلى باب شقة سوني. «ماذا تقول؟ يا للصغير المسكين! من قتله؟ هل عثرتم على الشخص الذي قتله؟».

فهز إرلندور رأسه. «هل تعرف العائلة؟». سأل.

«لا أصدّق الأمر. كل سيارات الشرطة تلك... لأجل إلياس. كيف حال والدته، تلك المرأة المسكينة؟ لا بد من أن تكون منهارة».

«هم جيرانك في المنزل المجاور، أليس كذلك؟». استهلّ إرلندور.

«من يمكنه القيام بأمر مماثل؟».

«لا بد من أنك تعرفهم». قال إرلندور.

«ماذا؟ آه، أجل، أنا أعرفهم. يقصد إلياس المتجر أحياناً لشراء حاجيات لي، ذاك الفتى العزيز. هو يصعد وينزل هذه الدرَجات بسرعة البَرق. لا أستطيع تصديق الأمر».

«أنا بحاجة إلى طرح بضعة أسئلة عليك إذا لم يكن لديك مانع؛ نظراً إلى كونهم جيرانك».

«أنا؟!».

«لن يدوم الأمر أكثر من لحظات».

«ادخل إذاً». قال الرجل مُخرِجاً حُزمة مفاتيح، وأضاء النور داخل الشقة. لاحظ إرلندور وجود خزانة كتب كبيرة، وطقم أثاث من ثلاث قطع، وسجّادة بالية. كان جداران من غرفة الجلوس مزيّنَين بورق جدران أبيض ممزَّق ومنتفخ في بعض الأماكن، وقد بدأ يتحوّل إلى لون أصفر. وأغلق الرجلُ الذي يُدعى جِستور وفقاً للّوحة النحاسية الصغيرة المثبَّتة في الخارج البابَ وراءهما، وعرض على إرلندور الجلوس على الأريكة، فجلس على الكرسيّ المقابل. خلع جِستور معطفه الأخضر، ووضع الكيس في المطبخ، وشغّل أداة صنع القهوة.

«ماذا يمكنك أن تخبرني عن سوني وفتيَيها؟». سأل إرلندور.

«ليس لديّ ما أقوله عنهم إلا كل أمر جيد. هي تعمل بكدّ، أعني والدتهما، إذ عليها القيام بذلك نظراً إلى كونها بمفردها على هذا النحو. كان الفتَيان مهذَّبَين معي؛ فإلياس يساعدني في شراء حاجياتي، ونيران... أين

نيران؟ كيف يتقبّل الأمر؟». سأل جِستور بقلق ظاهر.

وتردد إرلندور.

«لم يتعرّض لاعتداء أيضاً، أليس كذلك؟». تأوّه جِستور.

«لا». قال إرلندور، «ولكننا لا نعرف مكان وجوده. هل لديك أية أفكار؟».

«عن المكان الذي يمكن أن يكون فيه؟! لا، لا أملك أية فكرة».

شعر إرلندور بقلق كبير حيال شقيق الضحية، ولكنه أمل في أن يعود إلى المنزل، أو يتم العثور عليه في أسرع وقت ممكن. لقد شعر أنه من السابق لأوانه نشر صورته الفوتوغرافية على التلفاز.

«لِنأمَل أنه يتسكع في مكان ما. ما نوع العلاقة التي تربط الشقيقَين؟».

«كان يحترم نيران في الواقع. أعني، إلياس. أعتقد أنه كان يحترم شقيقه بسبب تحدّثه عنه على الدوام؛ كان يخبرني باستمرار عما يقوله نيران ويفعله: فوز نيران بألعاب الكمبيوتر، ومدى براعته في كرة القدم، وكيف يصطحبه إلى السينما مع أصدقائه بالرغم من كونهم أكبر منه سنّاً. فنيران يعرف كل شيء، وباستطاعته القيام بأي شيء برأي إلياس. كانا مختلفَين، كما هو حال الأشقاء. فإلياس سريع في اتخاذ أصدقاء له، ولكن نيران أكثر بطئاً في اتخاذ أصدقاء له، وأكثر حذَراً من الناس. إنه حادّ الذكاء، ومتنبّه، وسريع التعلّم. غير أنه لا يثق بكل ما يراه ويسمعه، ويتصرّف بحذَر».

«يبدو أنك تعرفهما جيداً».

«ذاك الفتى المسكين كان يفضّل العيش حيث كانوا من قَبل. فغالباً ما تعود والدتهم من العمل إلى المنزل في وقت متأخر، وتجد إلياس في الممرّ بمفرده أو في غرف التخزين في الأسفل، وفي الممرات في الطابق السُّفلي».

«ماذا عن سوني؟».

«ينبغي أن يكون هناك المزيد من الناس الذين يكدّون في العمل على غرارها. سوني تُعيل نفسها وابنَيها من خلال عمل شاقّ بَحت. أنا أقدّرها كثيراً».

«هل هي بمفردها تماماً؟».

«بقَدْر ما أملك من معلومات، أدركتُ أن لا علاقة تربطها بزوجها السابق».

«هل كان إلياس على صِلة بشخص ما في هذا الجزء من المبنى؟».

«لا أعتقد ذلك. لا صِلة كبيرة بين المستأجرين. كلها شقق مستأجَرة، ولا بد أنك تعرف نوع الناس الذين يلجأون إلى الاستئجار. فهم يأتون ويغادرون باستمرار؛ أفراد وأزواج وأمهات عازبات مثل سوني، لا بل آباء عازبون أيضاً، وطلاب. يتمّ طرد بعضهم، ويدفع آخرون إيجارهم في الوقت المحدد».

«إذاً، هل يملك شخص ما المجمَّع السكني بأكمله؟».

«كل الشقق في هذا الطابق على الأقل ملك لمُضارِب ما كما أتصوّر. لم يسبق لي أن رأيته. عندما انتقلتُ إلى هنا، سلّمتني امرأة من وكالة التأجير الأوراق، وأعطتني رقم حساب. وإذا طرأ أي شيء أتصل بالوكالة».

«والإيجار، هل هو مرتفع؟».

«باستطاعتي أن أتصوّره كذلك بالنسبة إلى سوني، ما لم تكن قد حصلت على صفقة مختلفة عن صفقتي».

وقف إرلندور. لم تكن القهوة قد مُسَّت بعد في أداة صنع القهوة في المطبخ، والرائحة الزكية تملأ الشقة بأكملها. ووقف جِستور أيضاً. لم يتسنَّ له تقديم القهوة لإرلندور الذي حدّق بالمدخل المُعتم. كان هناك ثُقب في الباب يُسترَق منه النظر فوق اللوحة التي تحمل الاسم. ناظراً عبره، تمكن إرلندور من رؤية المدخل الخارجي المؤدّي إلى شقة سوني والفتى. فنظر إرلندور إلى جستور مباشرة وشكره.

5

رنّ هاتف إرلندور المحمول ثانيةً. لم يتعرّف إلى الرقم، ولكنه عرف على الفور هويّة المتصل عندما سمع الصوت.

«هل أتصل في وقت سيئ؟». سألت إيفا ليند.

«لا». قال إرلندور الذي لم يبلغه أي شيء عن ابنته منذ بعض الوقت.

قالت إيفا: «رأيت ما جرى لذلك الفتى على التلفاز. هل تحقق في تلك القضية؟».

«أجل، أنا وأشخاص آخرون. جميعنا، كما أعتقد».

«هل تعرف ما حدث؟».

«لا. نعرف القليل القليل».

«إنه... إنه أمر مروِّع».

«أجل».

وكفّت إيفا عن الكلام قليلاً.

«هل أنتِ بخير؟». سألها إرلندور بعد لحظات.

«أريد أن أراك».

«موافق. تعالَي إلى المنزل».

وكفّت إيفا عن الكلام ثانيةً.

«ألا تُقيم هناك باستمرار؟».

«من؟».

«تلك المرأة التي تكون معها».

«فالجيردر؟ لا. أحياناً».

«لا أريد مقاطعة أي شيء».

«لن تقاطعي أي شيء».

«هل أنتما معاً؟».

«نحن صديقان مقرَّبان».

«هل هي جيدة؟».

«فالجيردر...». فتردد إرلندور. «ماذا تعنين بكلمة «جيدة»؟».

«هل هي بسوء أمي؟».

«أعتقد...».

«لا يمكن أن تكون سيّئة بمقدار سوء أمي التي لن تتكبد عناء

الإقامة معها. وليست سيئة مثلي قَطعاً».

«ليست أفضل من أي شخص آخر». قال إرلندور. «أنا لا أقارن بينكنّ، ولا يُفترض بك القيام بذلك».

«أليست المرأة الأولى التي تقيم علاقة معها منذ مغادرتك لنا؟ لا بد من أن تكون مميَّزة».

«ينبغي عليك مقابلتها».

«أريد أن أراك».

«في هذه الحالة، موافق».

«إلى اللقاء».

أنهت إيفا المكالمة الهاتفية، فوضع إرلندور هاتفه المحمول في جَيبه.

لقد رأى فالجيردر منذ يومَين. كانت قد قدِمت إلى شقته في المساء عندما انتهت نوبة عملها، وأخبرته أنها تقدّمت بطلب رسمي للانفصال عن زوجها الطبيب، وأَوكلت محامياً.

فالجيردر أخصائية في التكنولوجيا الحيوية في المستشفى الوطني التقاها إرلندور مصادَفةً أثناء تحقيقه في جريمة قتل، واكتشف أنها تعاني من مشاكل في حياتها الخاصة. كانت متزوجة ولكن زوجها يخونها تكراراً، وتعيّن عليها الانفصال عنه في النهاية. وقررت وإرلندور عدم التسرّع بعلاقتهما. لم يكونا يقيمان معاً، وأرادت فالجيردر العيش بمفردها لبعض الوقت بعد زواج طويل، ولم يكن إرلندور قد أقام مع امرأة منذ عقود. لم يكن هناك أي استعجال من الطرفين؛ فإرلندور يحب العيش بمفرده، وهي تتصل به أحياناً لتقوم بزيارته، ويخرجان أحياناً أخرى لتناول وجبة طعام. لقد نجحت ذات مرة بجرّه إلى المسرح لمشاهدة إيبسِن، ولكنه أحنى رأسه نُعاساً لمدة خمس عشرة دقيقة أثناء المسرحية، وحاولت عبَثاً وَكْزه لإيقاظه، ولكنه نام معظم الوقت حتى الاستراحة؛ عندما قررا العودة إلى المنزل. وقال آنذاك بطريقة اعتذارية: «كل تلك الدراما المصطنعة لا تعني لي شيئاً».

«المسرح واقع أيضاً». اعترضتْ.

«ليس كهذا». قال مسلّماً إيّاها الكتاب الثاني لقصص سُعاة البريد الريفيين.

كان إرلندور قد أقرضها بعض كتبه التي تصف المِحن في البرّيّة وكيفية تجمّد الناس في الخارج حتى الموت في أيسلندا في الأيام الغابرة، فيما يصف بعضها الآخر الموت والدمار اللذين تتسبب بهما الانهيارات الثلجية. وبالرغم من تخوّفها في بادئ الأمر، فقد كانت تجد نفسها مُثارَة

الاهتمام كلما قرأت المزيد من القصص. ولم يكن بالإمكان إخماد اهتمام إرلندور بالموضوع.

«يعتقد المحامي أنه بإمكاننا اقتسام كل شيء بالتساوي تقريباً»، قالت، مرتشفةً شرابها.

«جيد». قال إرلندور. كان يعرف أنهم عاشوا في منزل كبير قرب مستشفى الأطفال القديم، وتساءل عمّن ستؤول ملكية المنزل إليه؛ هي أم زوجها. وسأل إذا كان الأمر هاماً بالنسبة إليها.

«لا. كان على الدوام أكثر وَلَعاً بالمنزل. لقد وجد لنفسه امرأة جديدة كما يبدو».

«حقاً؟!».

«امرأة من المستشفى. إنها ممرضة شابة».

«هل تعتقدين أنه باستطاعة أي ثنائيّ إقامة علاقة جيدة عندما يكون الطرفان غير مُخلِصَين؟». سأل مفكّراً في قضية شخص مفقود يحقق فيها. «هل تعتقدين أنه باستطاعة أي ثنائيّ إقامة علاقة جيدة ومتينة إذا كان الطرفان يخونان شريكَيهما السابقَين من قَبْل؟».

«لم أخُنه». قالت فالجيردر. «كان يخونني تكراراً مع أية امرأة متى سنحت له الفرصة».

«أنا لا أتكلم عنك، ولكن عن قضية أتعاطى معها».

«المرأة المفقودة؟».

«أجل».

«هل تعتقد أن كلاًّ منهما كان يخون شريكه قبل أن يرتبطا؟».

فأومأ إرلندور برأسه. نادراً ما كان يناقش القضايا التي يتولّى التحقيق فيها مع أي شخص. ولكن فالجيردر استثناءً؛ على غرار إيفا.

«لا أعرف. من الواضح أن الأمر صعب إذا انفصل الطرفان عن شريكَيهما في ظروف مماثلة. ستكون هناك انعكاسات بالتأكيد».

«هل هناك ما قد يحول دون تكرار الأمر برأيك؟». سأل إرلندور.

«ولكن، لا يُفترض بك أن تنسى عامل الحب».

«الحب!».

«لا يُفترض بك الاستهانة بالحب. في بعض الأحيان، يكون شخصان مستعدَّين للتضحية بكل شيء من أجل علاقة جديدة. ربما يكون ذلك حبّاً حقيقياً».

«أجل، ولكن ماذا لو كان أحدهما يشعر بهذا الحب الحقيقي في

فواصل زمنية منتظمة؟». قال إرلندور.

«هل غادرتْ بسبب خيانته؟ هل كان قد شرع بخيانتها مجدداً؟».

«لا أعرف». قال إرلندور.

«هل كنت تخون قبل أن تحصل على الطلاق؟».

فابتسم، متفاجئاً بالسؤال.

«لا»، قال. «لا فكرة لديّ عن كيفية معالجة ذلك النوع من الأمور. في أيسلندا، نتحدث عن الخيانة على غرار أية هواية أو رياضة».

«إذاً، أنت تتساءل عما إذا كان الرجل قد خان ثقة زوجته؟».

فهز إرلندور كتفَيه.

«لماذا اختفت؟».

«هذا هو السؤال المطروح».

«ألا توجد معلومات إضافية لديك؟».

«لا، في الواقع».

وكفّت فالجيردر عن الكلام قليلاً.

«كيف تستطيع احتساء هذا النوع من الشراب؟!». سألت بتجهُّم.

«صادف أنه أعجبني». وابتسم إرلندور.

عندما عاد إرلندور إلى شقة سوني، كانت حماتها السابقة قد وصلت، وهي امرأة عاطفية ونحيلة نوعاً ما تناهز الستين من العمر. لقد صعدت السلّم على عَجَل، وعانقت سوني التي كانت بانتظارها على فسحة الدرَج. بدت سوني مرتاحة بسبب وجود جدة إلياس معها. وشعر إرلندور بأن علاقتهما ودودة. لم يكونوا قد تمكنوا بعد من الاتصال بوالد إلياس الذي لم يكن في المنزل وهاتفه المحمول مُطفَأ. تعتقد سوني أنه انتقل مؤخراً إلى وظيفة جديدة، ولم تكن تعرف اسم الشركة التي يعمل فيها.

كانت الجدة تتحدث إلى سوني بهَمس نوعاً ما، وشقيقها والمترجمة يقفان جانباً لتوفير الخصوصية لهما. فرفع إرلندور نظره إلى ظُلّة المصباح الحمراء التي تحمل صورة تنّين أصفر ملتفّ حول كلب صغير كما يبدو، ولكنه لم يتمكن من معرفة ما إذا كان يحميه أو يلعنه.

«يا لهذه المأساة المروّعة!». تنهّدت المرأة ونظرت إلى المترجمة التي عرفتها كما يبدو. «من يمكنه القيام بأمر كهذا!».

فقالت سوني شيئاً ما لشقيقها، ودخلا المطبخ مع غودني.

ونظرت الجدّة ولاحظت إرلندور.

«ومن تكون؟». سألت.

شرح إرلندور دوره في القضية، وعرّفت المرأة بنفسها، قائلةً إن اسمها سيغريدور. وطلبت من إرلندور أن يطلعها على ما جرى بالتحديد، وما تقوم به الشرطة، والفرَضيات الموضوعة، وما إذا كان قد تمّ العثور على أية إلماعات. فأجابها إرلندور قَدْر المستطاع، عِلماً أن المعلومات الملموسة المتوافرة لديه قليلة. لقد أزعجها الأمر كما يبدو بسبب إخفائه تفاصيل عنها، وأخبرته بذلك، فأكد لها أن الأمر ليس كما تعتقد، وأن التحقيق قد انطلق للتوّ، وأنهم لا يملكون بعد مُعطيات كثيرة يمكنهم الاعتماد عليها.

«لا تملكون مُعطيات كثيرة يمكنكم الاعتماد عليها! فتى في العاشرة من العمر طُعن وتدّعون أنكم لا تملكون مُعطيات كثيرة؟!».

«تعازيّ الحارّة لكم بسبب فقدانكم الفتى». قال إرلندور. «نحن نبذل قُصارى جهدنا بالطبع لاكتشاف ما حدث والعثور على المُذنب».

لقد سبق له أن كان في مثل هذا الموقف من قَبل؛ واقفاً في منازل أشخاص شُلّت حركتهم بسبب الحزن على أمر غير مفهوم ولا يُحتمَل. هو يعرف الرفض والغضب. فالحادث مؤلم جداً لدرجة استحالة مواجهته، ويتمسك العقل بأي شيء لتخفيف الألم كما لو أن بالإمكان تصحيح الوضع.

وإرلندور يعرف هذا الشعور الذي انتابه مذ كان في العاشرة من عمره؛ عندما ضاع وشقيقه بِرغور في العاصفة. كان هناك أمل حقيقي بالعثور على شقيقه حيّاً على غرار إرلندور، وهذا الأمل هو ما دفع الناس للبحث عنه بعد مدة طويلة من تَقرُّر مصير شقيقه. لم يتم العثور على الجثة مطلقاً. وعندما بدأ الأمل يتضاءل يوماً بعد يوم، ومن ثم تلاشى أسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، استُبدل بشعورٍ بالخَدَر تجاه الحياة. وتمكّن بعض الأشخاص من التخلّص من هذا الشعور، في حين غذّاه آخرون، مثل إرلندور، وجعلوا الألم رفيقهم مدى الحياة.

كان يعلم أن العثور على نيران، الأخ غير الشقيق لإلياس، أمر بالغ الأهمية، وأمِل في عودة الفتى إلى المنزل في أسرع وقت ممكن، والتمكن من تسليط الضوء على ما حدث. فكلما انقضى المزيد من الوقت من دون عودته، ازداد شعور إرلندور بأن اختفاءه مرتبط بطريقة ما بموت الفتى. ففي أسوأ الحالات، يمكن لنيران أن يكون قد تعرّض لشيء ما أيضاً، ولكنه لم يشأ اتّباع حَبل الأفكار ذاك.

«هل يمكنني مساعدتك بأي شيء؟». سألت سيغريدور.

«هل بلغك أي شيء من شقيقه؟». سأل إرلندور.

«نيران؟ لا، سوني قلقة عليه جداً».

«نبذل قُصارى جهدنا». قال إرلندور.

«هل حدث له شيء ما أيضاً برأيك؟». سألت سيغريدور مذعورة.

«أشك في ذلك». قال إرلندور.

«يجب أن يعود إلى المنزل». قالت سيغريدور. «يجب على سوني إعادته إلى المنزل».

«سيعود». قال إرلندور بهدوء. «هل يمكنك تصوُّر أين يمكن أن يكون؟ كان يُفترض به العودة من المدرسة منذ مدة طويلة. قالت والدته إنه يُفترض به متابعة دورات دراسية إضافية، أو ممارسة رياضة كرة القدم، أو ما شابه».

«لا أملك أدنى فكرة عن المكان الذي يمكن أن يكون موجوداً فيه». قالت سيغريدور. «لا صِلة لي به».

«ماذا عن أصدقائهما القدامى حيث كانا يعيشان في سنورابروت؟». سأل إرلندور. «هل يمكن أن يكون معهم؟».

«لا فكرة لديّ».

«لم تمرّ مدة طويلة على إقامة الفتيَين هنا، أليس كذلك؟».

«لا. انتقلوا من سنورابروت في الربيع. لقد تعيّن على الفتيَين تغيير المدرسة في هذا الخريف. أعتقد أن الأمر كان صعباً جداً عليهما. أولاً الطلاق، ومن ثم الانتقال إلى ناحية جديدة من المدينة والبدء في مدرسة جديدة».

«أحتاج إلى مكالمة ابنك». قال إرلندور.

«أنا أيضاً». قالت سيغريدور. «هو يعمل لصالح شركة مقاوِلين جديدة ولا أعرف اسمها».

«علمت أن سوني لم تكن زوجته الأجنبية الأولى».

«لا أستطيع فهم ذاك الرجل». قالت سيغريدور. «لم أتمكن من فهمه مطلقاً. وأنت مُحِقّ؛ كانت سوني زوجته الثانية من تايلاندا».

«هل كان الشقيقان متفقَين؟». سأل إرلندور بحذر، وشعرت بتردده.

«أتسألني إن كانا متفقين؟! بالطبع. ماذا تعني؟ بالطبع، كانا متفقَين».

وتقدّمت خطوة واحدة في اتجاه إرلندور.

«تعتقد أنه الفاعل، أليس كذلك؟». همست. «أتعتقد أن نيران اعتدى على شقيقه؟ هل أنت مجنون؟».

«لا، البتة». قال إرلندور.

«أليس هذا حلاًّ سهلاً؟». قالت سيغريدور بتهكّم.

«يجب عليك ألاّ تسيئي فهمي». قال إرلندور.

«أسيء فهمك؟! أنا لا أسيء فهم أي شيء». هسهست سيغريدور، وهي تكزّ على أسنانها. «تعتقد أنها مجرد قضية لتايلانديين يقتلون أحدهم الآخر، أليس كذلك؟ ألن يكون ذلك ملائماً لك ولبقيّتنا؟ هما مجرّد تايلانديين! لا علاقة لنا بالأمر. هل هذا ما تقوله؟».

فتردد إرلندور. ربما من المبكّر جداً توجيه أسئلة للأنسباء المقرَّبين حول العلاقة بين الفتيَين. لا يُفترض به زرع الشك بأسئلته، متسبباً بالمزيد من الغضب والتشوّش.

«آسف إذا كنت قد لمّحت إلى أي شيء من هذا القَبيل». قال إرلندور بهدوء. «ولكن، علينا البحث عن معلومات مهما كان الأمر غير مُريح. لم يخطر ببالي مطلقاً أن للفتى البِكر علاقة بهذا الأمر، ولكنني أعتقد أننا كلّما أسرعنا في العثور عليه، كان ذلك أفضل لكل المعنيّين».

«سيعود نيران إلى المنزل قريباً». قالت سيغريدور.

«هل من الممكن أن يكون قد ذهب لرؤية زوج والدته؟ أودين؟».

«أشك في ذلك. هما لا يتفقان. فابني...».

وحان دور سيغريدور للتردد، وانتظر إرلندور بصبر.

«آه، لا أعرف». وتنهّدت.

شرحت سيغريدور أنها أقامت في الريف حتى الفترة الأخيرة، ولم تكن تقصد ريكيافيك سوى مرتَين في العام في زيارات قصيرة. كانت تزور عائلة ابنها، وتبقى أحياناً معها، بالرغم من صِغَر الشقة في سنورابروت. لقد تكوّن لديها الانطباع بأن ابنها غير سعيد بصفة خاصة، ولاحظت أن زواجهما لا يسير بشكل جيد؛ عِلماً أن سوني لم تتذمّر مطلقاً. لقد تزامن ذلك مع قيام سوني بإخباره أن لديها ابناً آخر في تايلاندا، وأنها تريد الإرسال في طلبه.

لم يُخبر أودين والدته عن سوني عندما التقاها. كانت لديه امرأة أخرى من تايلاندا قبل ظهور سوني، وقد تخلّت عنه بعد ثلاث سنوات من زواجهما. وعندما أرسل في طلبها، لم يرَها مطلقاً وجهاً لوجه بل في الصورة الفوتوغرافية فقط. لقد مُنحت تأشيرة دخول إلى أيسلندا لمدة شهر واحد، وتزوّجا بعد أسبوعَين من وصولها. كانت قد أحضرت معها من تايلاندا كل الأوراق الضرورية لجعل زواجها قانونياً.

«انتقلت إلى الدانمرك في وقت لاحق». قالت سيغريدور. «ربما جاءت إلى هنا للحصول على جواز سفر أيسلندي».

والأمر الثاني الذي عرفته سيغريدور هو التقاء أودين وسوني وزواجه بها. لقد انسجمت المرأتان على الفور. كانت سيغريدور متخوّفة من لقاء كنّتها بسبب ما حدث من قَبل، وشعرت بالقلق حيال العلاقة الجديدة. لقد حاولت عدم إظهار أي تعصّب، وشعرت بالارتياح عندما صافحت سوني؛ إنها شخص مميَّز. وأول ما لاحظتْه هو كيفية تحويل سوني الشقة القذرة في سنورابروت إلى منزل جميل ومرتَّب يكتنفه جوّ آسيوي. كانت قد أحضرت معها - أو أرسلت في طلب – أغراضاً من تايلاندا لتزيين المنزل؛ كتماثيل بوذا، وصور وزخارف جميلة ومتنوعة.

بالرغم من قيامها بزيارة ريكيافيك بتقطّع في ذلك الوقت، حاولت سيغريدور جعل الحياة في أيسلندا أكثر سهولة على سوني. فكنّتها لم تكن تفهم اللغة، وكانت تواجه صعوبة كبيرة في إجادتها. كانت تتكلم الإنكليزية قليلاً، وتعلم سيغريدور بأية حال أن ابنها لم يكن مُحِبّاً للاختلاط بالآخرين مطلقاً، وقلّة هم أصدقاؤه الذين يمكنهم مساعدة سوني على التكيّف مع أسلوب جديد للحياة ومجتمع مختلف تماماً. تعرّفت سوني تدريجياً بنساء تايلانديات أخريات ساعدنَها للوقوف على قدمَيها، ولكن لم تكن لديها أية صديقات أيسلنديات باستثناء حماتها.

لقد أُعجبت سيغريدور باستعداد سوني لتقبّل ظُلمة محيطها الجديد والغريب والبرد فيه. «أرتدي ملابس سميكة فحسب». كانت سوني تقول مبتسمة وإيجابية. لم يكن أودين سعيداً على الدوام بتدخل والدته. لقد تجادلا عندما اكتشفت أنه تضايق عندما تكلّمت سوني اللغة التايلاندية مع الفتى. في ذلك الوقت، كانت قد تعلّمت التكلّم باللغة الأيسلندية قليلاً. «لا أعرف ما الذي تقوله للفتى». تذمّر أودين لوالدته. «يُفترض به تكلّم الأيسلندية. إنه أيسلندي! فذلك لصالحه، لمستقبله».

وصفت سيغريدور كيف أنها اكتشفت في وقت لاحق أن ابنها ليس الوحيد في امتلاك ذلك الرأي. ففي بعض الحالات، يمنع أزواج أيسلنديون زوجاتهم الآسيويات من التكلّم مع الأولاد بلغاتهنّ الأم لأنهم لا يفهمونها. ولكن، عندما تتكلّم الوالدة اللغة الأيسلندية بشكل رديء، أو لا تجيدها البتة، يُعيق هذا الأمر التطور اللغوي للطفل؛ مما ينعكس سلباً على كل مراحل تعليمه. كان ذلك صحيحاً إلى حد ما بالنسبة إلى إلياس الذي برَع في الرياضيات وأظهر ضُعفاً في مواضيع الإنشاء باللغة الأيسلندية والتهجئة.

رفض أودين مناقشة طلاقهما، ولم يُصغِ إلى والدته عندما أشارت إلى واجباته.

«كان زواجنا خطأً. ما كان يُفترض بي أن أتزوّج بها مطلقاً!».

انتقلت سيغريدور إلى ريكيافيك، وبقيت على اتصال وثيق بسوني وإلياس اللذَين اعتبرتهما فردَين من العائلة. حتى إن نيران الذي لم يكن سعيداً بنصيبه حافظ على علاقة جيدة معها. لقد حاولت حمل ابنها على دفع ما يَدين به لسوني بعد الطلاق، بما في ذلك حصّتها في الشقة، ولكنه رفض الأمر بشكل مُطلَق لأنه امتلك الشقة قبل زواجه بسوني. كان إلياس يزور جدّته أحياناً ويبقى معها؛ كان فتى صالحاً ولطيفاً يقدّم لها يد العون.

كان نيران على خلاف مع زوج والدته منذ البداية، ووجد صعوبة في التكيّف مع المجتمع الأيسلندي. كان في التاسعة من العمر عندما وصل إلى البلد برفقة شقيق سوني الأصغر فيروت. بقي فيروت في أيسلندا، وعثر على وظيفة في مصنع للأسماك، وحَلَم بافتتاح مطعم تايلاندي.

«لم يعتبر نيران أودين والداً له مطلقاً؛ وهذا أمر مفهوم». قالت سيغريدور. «إذ لم يكن هناك أي قاسم مشترك بينهما».

«من هو والد نيران؟». تدخّل إرلندور.

هزّت سيغريدور كتفَيها وأجابت: «لم أسأل عن ذلك يوماً».

«لا بد من أن يكون قدوم فتى مثله إلى هذا البلد، في تلك السنّ، وفي تلك الظروف، أمراً عسيراً».

«من الطبيعي أن يكون أمراً شديد الصعوبة، ولا يزال. نيران لا يُبلي بلاءً حسناً في المدرسة، وهو أشبه بغريب في المجتمع».

«هناك أشخاص مثله، وهم يساندون بعضهم، ولديهم خلفيّة مشتركة. جرت صِدامات بينهم وبين الفتيان الأيسلنديين، ولكن عددها قليل ولم تكن جدّيّة كذلك؛ عِلماً أننا ربما نرى أسلحة أكثر من السابق. بُرجُميات، سكاكين».

«نيران ليس فتى سيّئاً». قالت سيغريدور. «ولكنني أعرف أن سوني قلقة عليه. هو يعامل شقيقه بلطف على الدوام. كانت علاقتهما مميَّزة نوعاً ما. فهما يتّفقان معاً بشكل جيد كما أعتقد؛ نظراً إلى الظروف، وسوني واثقة من ذلك».

عادت غودني من المطبخ.

«تريد سوني الخروج والبحث عن نيران. سأرافقها».

«بالطبع». قال إرلندور. «ولكنني أعتقد أنه من الأفضل الانتظار هنا لبعض الوقت علّه يعود».

«سأبقى هنا»، قالت سيغريدور.

«لا تستطيع سوني الجلوس هنا والانتظار فحسب». قالت المترجمة. «عليها الخروج. عليها القيام بشيء ما».

«يمكنني فهم ذلك تماماً». قال إرلندور.

كانت سوني تقف في المدخل وترتدي معطفها، وكان باب غرفة الفتيَين مفتوحاً. فنظرت إلى داخلها، وتوجهت إلى الباب وشرعت بالتكلم. ودنت منها المترجمة وإرلندور.

«كان يحلم بشيء ما». قالت المترجمة. «عندما استيقظ إلياس هذا الصباح، أخبرها عن حُلْم رآه في الليلة الماضية. جاء إليه عصفور صغير، فصنع له إلياس بيتاً، وباتا صديقَين؛ إلياس والعصفور».

وقفت سوني عند باب غرفة الفتيَين وتحدّثت إلى المترجمة.

«كان منزعجاً قليلاً من والدته». قالت المترجمة.

ونظرت سوني إلى إرلندور، وتابعت قصتها.

«شعر بالسعادة في الحُلْم، فقد اتخذ له صديقاً». قالت المترجمة. «وانزعج لأنها أيقظته. كان إلياس يفضّل البقاء في الحُلْم لمدة أطول».

وتذكرت سوني إلياس في ذلك الصباح الأخير. كان مستلقياً على السرير، محاولاً التمسك بحُلْم العصفور، ومستكنّاً تحت لحافه الطريّ الصغير ببيجامته الصغيرة، وقدماه تنتآن خارج اللحاف. كان مستلقياً على جَنبه، ومحدّقاً بالجدار، ولكنه مدّ يده في اتجاه المفتاح الكهربائي وأطفأ النور ثانيةً. كان شقيقه قد استيقظ، وتأخرت سوني على عملها، ولم تتمكن من العثور على حقيبة يدها. لقد نادت إلياس لينهض من السرير. كانت تعرف أنه يحب الاستلقاء تحت اللحاف الطريّ الدافئ، ولا سيما في الصباحات الباردة والمُظلمة عندما ينتظره يوم طويل في المدرسة.

«علينا التحدث إلى أصدقائه». قال إرلندور عندما أنهت المترجمة نقل كلمات سوني.

نظرت سوني مجدداً إلى داخل غرفة الفتيَين.

«هل لديه عدة أصدقاء؟». سأل إرلندور، وكررت المترجمة كلماته بالتايلاندية.

«لا أعتقد أن لديه عدة أصدقاء في هذه الناحية الجديدة من المدينة». قالت سوني.

«هذا ما كان يحلم به». قال إرلندور.

«لقد حَلَم باتخاذ صديق صالح». قالت سوني فيما نقلت المترجمة

قولها. «لقد أيقظتُه واستلقى على السرير لمدة طويلة قبل أن يخرج إلى المطبخ. كنت أركض إلى الخارج عندما ظهر أخيراً، فناديتُه ليُسرع. كان نيران قد تناول الفطور وينتظره. فهما يذهبان معاً إلى المدرسة بصورة عامة. بعد ذلك، لم يكن بالإمكان إزعاج نيران لمواصلة الانتظار، وتعيّن عليّ المغادرة».

وحاولت سوني أن تسيطر على مشاعرها.

«حتى إنني لم أتمكن من إلقاء تحية الوداع عليه بالشكل الملائم. هذا آخر ما سمعتُه يقوله».

«ماذا؟». سأل إرلندور، محدّقاً بالمترجمة.

وقالت سوني شيئاً ما. كانت تتكلم بصوت منخفض لدرجة أن المترجمة اضطُرت للانحناء لسماعها. وعندما قوّمت وقفتها ثانيةً، أبلغت إرلندور بالأيسلندية الكلمات الأخيرة التي قالها إلياس لوالدته قبل أن تنطلق إلى العمل مُسرِعة.

«ليتني لم أستيقظ».

6

حُدِّد أخيراً مكان وجود والد إلياس، وطلب رؤية جثة ابنه في المشرحة في بارونستيغور، وها هو يجلس منتظراً في مكتب إرلندور بمركز الشرطة في هفرفيسغاتا. غادر إرلندور شقة سوني التي ذهبت بدورها مع شقيقها، والمترجمة للبحث عن نيران. واعتزم شرطيان مرافقتهم في بحثهم عن نيران، في حين بقيت سيغريدور في الشقة. لقد شعر إرلندور بأنه حصل على كل المعلومات التي تمكنت والدة إلياس من توفيرها في هذه المرحلة. من الواضح أن لا فكرة لديها عن سبب تعرّض ابنها للاعتداء، وعدم عودة نيران إلى المنزل. لم تتمكن من تخيُّل مكان وجوده. وبما أنهم انتقلوا حديثاً إلى المقاطعة، لم تكن تعرف أصدقاءه جيداً، وكانت تملك فكرة مُبهَمة عن مكان إقامتهم. لقد فهم إرلندور جيداً سبب عدم مكوثها في المنزل بهدوء، منتظرةً الأنباء. فالشرطة بأكملها تبحث عن نيران، وكانت صورته الفوتوغرافية قد وُزّعت على كل مراكز الشرطة. ربما يكون بخطر، وربما يكون مختبئاً، والأمر الأكثر أهمية الآن هو العثور عليه في أسرع وقت ممكن.

اتصلت إيلينبورغ بإرلندور لتقول له إنها تحدّثت إلى الموظفين في الصيدلية حيث رأت الشاهدة نيران يتسكع مع أصدقائه. لم يتذكر الموظفون في الواقع دخول أيٍّ من الفتيان إلى الصيدلية، ولم يلاحظوا أية مجموعة استثنائية من المراهقين وراء المبنى في ذلك اليوم، لذلك تفاجأوا عندما شرعت إيلينبورغ بطرح أسئلة مفصَّلة عنهم؛ فالتلاميذ يتسكعون هناك على الدوام. كانت الخربشات تملأ الجدران، وأعقاب السجائر مُطفأة على الرصيف في الباحة الخلفية الصغيرة. قالت إيلينبورغ إنها ستواصل التحدث إلى رفاق إلياس في الصف.

«جارة سوني، واسمها فاني، ذكرت أن سوني ربما تتلقى زيارات من شخص ما».

«أي نوع من الزيارات؟».

«الأمر مُبهَم برمّته. فهي تعتقد أن شخصاً ما يزورها - كما تعلم، رجل».

«أتعني حبيباً؟».

«ربما. لا تعرف. لم ترَ أحداً في الواقع. ولكنها تعتقد ذلك. تتواصل الزيارات منذ الصيف».

«سنكون بحاجة إلى سؤال سوني عن ذلك». قال إرلندور. «تحققي من

هاتفها: من اتصل بها وبمن اتصلت».

«اتفقنا».

ورنّ هاتفه المحمول مجدداً أثناء توقّفه خارج مركز الشرطة. إنها فالجيردر. لقد بلغها نبأ الجريمة، وبدت متفاجئة ومذعورة. كانا قد اتفقا على الالتقاء في ذلك المساء، ولكن إرلندور قال إن اللقاء قد لا يتمّ. فأخبرته بأن الأمر غير مهمّ.

«هل لديك أية فكرة عما حدث؟». سألت بقلق.

«أبداً». قال إرلندور.

«لا أريد أن أُعيقك. لِنتحدث في وقت لاحق». وأنهيا المكالمة الهاتفية.

أغلق إرلندور مِعطفه بإحكام أثناء إسراعه إلى داخل مركز الشرطة، وفجأةً خطرت له فكرة تواجد نيران في الخارج في مهبّ هذه الريح الشمالية العاصفة. ولسَعت الريح القارسة والجافّة وجهه. وعندما رفع نظره، كان القمر شبه مرئيّ وشاحباً.

عند طاولة الاستقبال، كان رجل متوسط العمر يقول للضابط المناوِب إن سيارته قد تعرّضت لأعمال تخريبية. ولام الرجلُ رجال الشرطة على لا مبالاتهم، كما لو أن إلحاق ضررٍ بقيمة عشرات آلاف الكرونورات لا يحمل أي طابع إجرامي. نظراً إلى كونه مستعجِلاً، لم يعرف إرلندور نوع الجريمة، ولكن الأمر بدا كما لو أن سيارة الرجل متضررة جداً.

كان والد إلياس جالساً في مكتب إرلندور، مطأطئ الرأس. إنه رجل هزيل في العقد الخامس من العمر، مع رقعة صلَع، وخُصَل شعر صغيرة منتشرة بغير انتظام فوق جبينه، ولحية نمت عدة أيام. فمه صغير جداً، وأسنانه ناتئة؛ ممّا أضفى عليه مظهر الشخص جافي الطباع. وقف عندما دخل إرلندور، وتبادلا التحيات.

«أدعى أودين». عرّف الرجل بنفسه بصوت خفيض. كانت عيناه حمراوَين نتيجة البكاء.

فوضع إرلندور مِعطفه على مشجب ثياب، وجلس وراء الطاولة.

«تعازيّ لك على وفاة ابنك. بالطبع، إنها كلمات مُريعة جداً».

وسمح لتوقفّ قصير بأن يلي كلماته أثناء نظره إلى الرجل. كان أودين يرتدي سروال جينز رَثاً، وسترة فاتحة اللون واقية من الريح، ويضع لِفاعاً أحمر قديماً حول عُنُقه يحمل شعار نادي كرة قدم أجنبي. كان يُقيم بمفرده في شقة سنورابروت؛ وفقاً لما قاله للشرطة. في طريقه إلى مكتبه، أُبلغ إرلندور بأن أودين استاء جداً من زيارة رجال الشرطة ومن الخبر

الذي نقلوه له عن إلياس.

«هل تملك أية فكرة عن المكان الذي يمكن لابن زوجتك أن يكون موجوداً فيه؟». سأل إرلندور.

«نيران؟! ماذا عنه؟».

«لا نستطيع العثور عليه. لم يَعُد إلى المنزل».

«لا فكرة لديّ البتة». قال الرجل. «لا...». وصمت.

«ماذا؟». قال إرلندور.

«لا شيء». قال الرجل.

«متى كان آخر اتصال لك بعائلتك؟».

«من وقت لآخر. لقد انفصلنا. ربما تكون على عِلم بذلك».

«ألا تملك أية فكرة عما حدث للفتيَين اليوم؟».

«أنا... إنه أمر رهيب، رهيب تماماً... ما كنت لأصدّق مطلقاً إمكانية حدوث هذا النوع من الأمور في هذا البلد؛ الاعتداء على طفل على هذا النحو!».

«ما الذي حدث برأيك؟».

«أليس الأمر واضحاً؟ أليست العِرقية؟ هل هناك أي سبب آخر للاعتداء على طفل؟ ماذا يمكن لطفل أن يفعله لأي شخص؟».

«لا نزال لا نعرف ماذا حدث». قال إرلندور. «ألم تتصل بالفتيَين أو ترَهما؟».

«لا. اصطحبتُ إلياس إلى السينما منذ مدة قصيرة. نادراً ما كنت أتصل بنيران».

«ولا تستطيع أن تتخيّل ما الذي يمكن أن يكون قد حدث، أليس كذلك؟».

فهز أودين رأسه.

«هل تعتقد أن شيئاً ما قد حدث لنيران أيضاً؟».

«لا نعرف. البحث جارٍ عنه. هل تملك أية أفكار؟».

«أتعني عن مكان وجوده؟ لا، البتة. لا أملك أية فكرة».

«لقد غادرتْ سوني عندما انفصلتما». قال إرلندور. «لا يبدو أن الفتيَين قد تكيّفا جيداً مع حيّهما الجديد. هل أبديتَ أي اهتمام بكل ذلك؟».

لم يُجب أودين على الفور.

«هل سمعتَ يوماً بحدوث أية متاعب؟».

«لم أكن على اتصال بسوني كثيراً». قال أودين أخيراً. «لقد انتهت

علاقتنا».

«في الواقع، أنا أسأل عن الفتيَين. ولا سيما عن ابنك».

لم يُجب أودين.

«كان إلياس متعلّقاً بوالدته أكثر منّي». قال أخيراً. «غالباً ما كنا نتجادل حول تربيته. لديها طريقتها الخاصة تماماً في تربيته، حتى إنها كانت تناديه باسمه التايلاندي. نادراً ما كانت تناديه إلياس».

«هي على مسافة بعيدة جداً من موطنها. وفي هذا البلد الجديد، تريد التمسك بشيء ما مرتبط بماضيها». قال إرلندور.

فنظر إليه أودين من دون قول أية كلمة.

«والدتك تتكلّم عنها باستحسان كبير». قال إرلندور. «استنتجتُ أنهما صديقتان مقرَّبتان. لقد هرعت إلى شقة سوني حالما بلغها الخبر».

«طالما انسجمتا معاً».

«علمتُ أن سوني هي زوجتك الثانية من تايلاندا».

«أجل». قال أودين.

«وعلمتُ أيضاً أنك لم تكن مسروراً جداً عندما أخبرتك سوني بأن لديها ابناً أكبر سنّاً وأرادت الإرسال في طلبه». قال إرلندور.

«لقد شككتُ في الأمر». قال أودين. «لم يكن ذلك شيئاً جديداً. لقد أخبرتني بأنها عزباء، ومن ثم أرادت إحضار نيران».

«ما كان رأيك في ذلك؟».

«لم أكن مسروراً بأن لديها فتى. ولكنني لم أتدخل في المسألة، وتركت الأمر لها كلّياً. لم يكن لديّ ما أقوله في هذا الشأن».

«إذاً، ألم تشأ أن تطلّقها على الفور؟».

«كانت علاقتنا جيدة حينها». قال أودين.

«لم تتعلّم قَدْراً كبيراً من اللغة الأيسلندية في المدة الذي قضتها هنا، أليس كذلك؟». قال إرلندور.

«لا». قال أودين.

«هل ساعدتَها بكل تلك الأمور؟».

«لماذا تسأل؟ ما علاقة ذلك بأي شيء؟ ألا يُفترض بك إلقاء القبض على المجرم بدلاً من طرح أسئلة غبية غير ذات صلة؟ أي نوع من الأسئلة هي بأية حال؟».

«تعرّض ابنك للاعتداء بعد الظهر على الأرجح». قال إرلندور. «أين كنتَ حينذاك؟».

«في العمل». قال أودين. «كنت في العمل. هل تظنّ أنني قتلت ابني؟ هل أنت مجنون؟!».

قال ذلك من دون أن يرفع صوته، ومن دون أن يغضب، كما لو أنه من السخف الغضب من الفكرة.

«انطلاقاً من خبرتنا، نعرف أن هذه المسائل غالباً ما تكون مرتبطة بالعائلة». قال إرلندور من دون أي تغيير في ملامح وجهه. «لا يُعتبر تصرّفي غير طبيعي إذا سألتك أين قضيت يومك».

فلزم أودين الصمت.

«هل هناك من يمكنه تأكيد وجودك في العمل؟».

«أجل، هناك رجلان. لا يمكنني تصديق أنك ترتاب في تورّطي في هذا الأمر!».

«إنه جزء من عملي». قال إرلندور. «فالكثير مما أتورّط به بعيد عن التصديق أكثر من هذا الأمر».

«هل تقول لي إنني اعتديت على ابني لأتمكن من إدارة ظهري لسوني!؟».

فهز إرلندور كتفَيه.

«هل فقدتَ عقلك؟!».

«ابقَ مكانك». قال إرلندور عندما نهض أودين. «ما نحتاج إلى القيام به هو التفكير مليّاً في كل الاحتمالات. لماذا قد تكون راغباً في إدارة ظهرك لسوني؟».

«ماذا تعني؟ لا أرغب في إدارة ظهري لها!».

«لم أذكر ذلك، بل أنت من تفوّه بتلك الكلمات. إنها كلماتك».

«لم أقل شيئاً».

وجلس إرلندور بصمت.

«أنت تربكني». قال أودين مُثاراً. «أنت تدفعني لقول أمور لا يُفترض بي قولها. أنت تتلاعب بي!».

«هذا ما قلتَه».

«تبّاً!». صاح أودين راكلاً الطاولة، فيما جلس إرلندور على كرسيّه، ونظر إليه من دون أن يتحرك، وأسند ظهره إلى الكرسي، وشبك ذراعَيه على صدره. لقد بدا الرجل كما لو أنه على وشك الانقضاض عليه.

«ما كنتُ لأفعل أي شيء لابني مطلقاً!!». صرخ. «أبداً!».

وحافظ إرلندور على هدوئه.

«هل تحدثتَ إلى حبيبها؟». سأل أودين.
«حبيبها؟!».
«ألم تُخبرك عنه؟».
«من هو؟ من هو حبيب سوني؟».
لم يُجب أودين، وحدّق بإرلندور الذي انحنى إلى الأمام على كرسيّه.
«هل هو سبب طلاقكما؟». سأل إرلندور بحذر.
«لا. بلغني الأمر مؤخراً».
«ماذا؟».
«أنها تقابل شخصاً ما».

7

كانت إيلينبورغ واقفة في منزل أحد رفاق إلياس في الصف. لم يُعرَض عليها الجلوس. كانوا في المطبخ، وكان والد الفتى جالساً بجانبه، وشقيقته وشقيقه الأصغر سناً جالسَين أيضاً إلى الطاولة. إنه منزل صغير وغير بعيد عن مجمَّع الشقق السكنية حيث يُقيم إلياس ونيران. لقد أزعجتهم إيلينبورغ في موعد العشاء. كان ضباط شرطة آخرون يواجهون الموقف نفسه أثناء زيارتهم منازل الفتيان الذين ربما يكونون على صلة بإلياس.

لقد اعتذرت تكراراً. قالت والدة الفتى إنها تابعت الأخبار التلفزيونية، وصُدمت لدى سماعها الخبر. ولكن الوالد لم يُبدِ أي ردّ فعل على غرار أطفاله.

نظرت إيلينبورغ إلى طعامهم: سباغيتي ولحم مفروم. كانت رائحة القَلي تملأ المنزل، ممتزجةً مع رائحة الحَبَق والبطاطا المسلوقة. فانتقلت بأفكارها إلى المنزل؛ لم تتمكن من التسوّق طوال أيام، ولا يوجد شيء في البرّاد.

«قدِم إلى هنا لحضور حفلة ذكرى ميلاد بيغي». قالت الوالدة، واقفةً أيضاً بجانب الطاولة. «أردنا دعوة كل الرفاق في الصف. كان فتى ممتعاً بصفة خاصة. لا أفهم ما الذي يمكن أن يكون قد حدث له. قيل إنه طُعن، كما لو أن هناك من أراد إيذاءه. لقد أشاروا ضِمناً إلى أنه تعرّض لاعتداء، كما لو أن الأمر متعمَّد. هل هذا صحيح؟».

«لا فكرة لدينا البتة». قالت إيلينبورغ. «التحقيق بدأ للتوّ. لم أتابع الأخبار، ولكنني أشك في أن يكون المراسلون قد حصلوا على المعلومات من الشرطة. نعرف القليل في الوقت الحاضر، ولهذا السبب أرغب في تبادل أطراف الحديث معك قليلاً، يا بيغي». قالت مخاطبةً الفتى.

نظر بيغي إليها وقد اتسعت عيناه.

«كنتَ صديقه، أليس كذلك؟». قالت إيلينبورغ.

«ليس حقاً». قال بيغي. «كان في صفي، ولكن...».

«بيغي لا يعرفه جيداً». قاطعتْه والدتُه بابتسامة مُحرَجة.

«لا، لقد فهمتُ». قالت إيلينبورغ.

كان الوالد جالساً إلى طاولة المطبخ ملتزماً الصمت، والطعام في طبَقه من دون أن تكون له أية رغبة في تناوله أمام ضابطة الشرطة، والأطفال الثلاثة يلتهمون طعامهم. لقد انتاب إيلينبورغ شعور قوي بأنها تعكّر صَفو

منزلهم. عندما قرعت جرس الباب، أجابت الوالدة، وأدخلتها بتردد.

«هل تلعب معه أحياناً؟». سألت إيلينبورغ.

«لا أعتقد أن بيغي يلعب معه كثيراً». قال الوالد.

كان الرجل نحيلاً، ويبدو على وجهه الإرهاق، مع انتفاخ تحت عينَيه، وشُعيرات قاسية نمت طوال أيام عدة. كان يرتدي بذلة عمل زرقاء فكّ أزرارها حتى الخَصر عندما جلس إلى الطاولة. وكانت يداه مشققتين بسبب العمل اليدوي، ووجهه وشعره مغطيين بمادة رمادية اعتقدت إيلينبورغ أنها ربما تكون غبار إسمنت. لقد افترضت أنه طَيّان.

«أردت أن...». قالت إيلينبورغ.

«أرغب في بعض السلام لتناول الطعام مع عائلتي». قال الرجل. «إذا لم تمانعي».

«أعرف». قالت إيلينبورغ. «وأعتذر مرة ثانية لإزعاجكم. أردت فقط طرح بضعة أسئلة على بيغي لأننا بحاجة إلى جمع معلومات بأسرع وقت ممكن. لن يدوم الأمر طويلاً».

«يمكنك القيام بذلك في وقت لاحق». قال الرجل.

وحدّق بإيلينبورغ. كانت زوجته واقفة بجانب الطاولة ولم تقل شيئاً. والتهم الأولاد طعامهم بشراهة، ونظر بيغي إلى إيلينبورغ أثناء امتصاصه قطعة سباغيتي، واتسخ فمه بصلصة بندورة.

«هل تعرف إذا كان إلياس بمفرده عندما عاد من المدرسة إلى المنزل؟». سألت إيلينبورغ.

فهز بيغي رأسه، وفمه مليء بالسباغيتي.

ونظر الرجل إلى زوجته وقال:

«لا أعتقد أن للأمر أية علاقة ببيغي».

«كان ذلك الفتى لطيفاً حقاً، ومهذَّباً وحسن التربية». قالت المرأة. «لقد شكَرنا دون سواه على دعوتنا له إلى حفلة ذكرى ميلاد بيغي، ولم يُصدر ضجيجاً على غرار الفتيان الآخرين».

أثناء قولها ذلك، نظرت إلى زوجها كما لو أنها تبرّر سبب دعوة إلياس إلى حفلة ذكرى ميلاد ابنهما. نظرت إيلينبورغ إلى الوالدَين كلّ بدَوره، ومن ثم إلى الأولاد الذين كانوا قد توقفوا عن تناول الطعام ويراقبون البالغين بقلق. لقد شعروا بتفاقم جِدال ما.

«متى أُقيمت تلك الحفلة؟». سألت إيلينبورغ ناظرةً إلى الوالدة.

«منذ ثلاثة أسابيع».

«قُرابة 25 كانون الأول، أليس كذلك؟ وهل سار كل شيء بشكل جيد؟».

«أجل، بشكل جيد جداً. ألا تعتقد ذلك يا بيغي؟». سألت مُلقيةً نظرة سريعة على ابنها، وتجنّبت النظر إلى زوجها.

فأومأ بيغي برأسه، ونظر إلى والده، غير واثق مما إذا كان ينبغي عليه أن يقول ما يريد قوله.

«هلاّ غادرتنا الآن بسلام من فضلك». قال الرجل واقفاً. «نرغب في تناول الطعام».

«هل رأيتَ إلياس عندما جاء إلى الحفلة؟».

«أعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم». قال الرجل.

«لا يكون في المنزل أبداً». قالت المرأة. «لا حاجة لمعاملتها بهذه الفظاظة». أضافت رامقةً زوجها بنظرة.

«هل المهاجرون يجعلونك عصبيّ المزاج؟». سألت إيلينبورغ.

«لا شيء لديّ ضد أولئك الأشخاص». قال الرجل. «لا يعرف بيغي ذلك الفتى أبداً. لم يكونا صديقَين. لا يمكننا مساعدتك في أي شيء. الآن، هلاّ تركتنا بمفردنا من فضلك!».

«بالطبع». قالت إيلينبورغ ناظرةً إلى أطباق السباغيتي. وفكرت مليّاً للحظات، ومن ثم استسلمت وغادرت.

«كان يوماً عادياً جداً في المدرسة». قالت أَغنِس، مدرّسة إلياس، لسيغوردور أولي. «أعتقد أنه يمكنني قول ذلك، إلاّ أنني نقلت الفتى إلى مقعد آخر في غرفة الصف. كنت أعتزم القيام بذلك منذ بعض الوقت، ونقلتُه أخيراً هذا الصباح».

كانا جالسَين في غرفة المكتب في منزل أَغنِس، وأخرجت سيجارة من أحد الأدراج. وراقبها سيغوردور أولي وهي تسترق النظر إلى الباب، ومن ثم جلست قرب النافذة، وأشعلت السيجارة ونفخت الدخان نحو الخارج. لم يكن يستطيع أن يفهم الأشخاص الذين يريدون قتل أنفسهم بالتدخين. كان مقتنعاً بأن التدخين يُلحق ضرراً أكثر من أي عنصر آخر في العالم، ويحذّر أحياناً منه في العمل. لم يكن إرلندور - وهو شخص مدخِّن - يبالي، وقد أعرب ذات مرة عن اقتناعه بأن مُفسدي المتعة - على غرار سيغوردور أولي - يُلحقون ضرراً أكثر من أي عنصر آخر في العالم.

«وصل إلياس متأخراً قليلاً». تابعت أَغنِس. «لم يكن يتأخر في العادة، عِلماً أنه اعتاد التباطؤ قليلاً. غالباً ما كان آخر من يغادر الصف، وآخر

من يُخرج كتبه، وذلك النوع من الأمور. كان يفكّر في أمر مختلف تماماً. كان «مُضيف طيران» نوعاً ما». ورسمت أَغنِس في الهواء علامتي اقتباس بأصابعها.

«مُضيف طيران؟!».

«هكذا يدعوهم فيلهيالمور، مدرّس الرياضة. هو من جُزر وِستمان».

فرمقها سيغوردور أولي بنظرة خالية من أي تعبير.

«أعني التلاميذ الذين يكونون آخر من يغادر بعد انتهاء الألعاب الرياضية».

«هل نقلتِه إلى مقعد آخر؟». قال سيغوردور أولي متحيّراً تماماً في شأن مضيفي الطيران وجُزر وِستمان.

«ليس الأمر غير عادي». قالت أَغنِس. «نقوم بذلك لأسباب متنوعة. لقد قمت بذلك بشكل غير مباشَر لأجله. كان إلياس جيداً في الرياضيات وفي طليعة رفاق صفه، ولكن الفتى الجالس بجانبه، بيرغير المسكين الأكبر سنّاً، أو بيغي كما هو معروف، يجد صعوبة في فهم كيف أن حاصل جمع اثنَين واثنَين هو أربعة».

ونظرت أَغنِس في عينَي سيغوردور أولي.

«أعرف أنه لا يُفترض بي قول أشياء مماثلة». قالت بخجل. «بأية حال، قدمت والدة بيغي لرؤيتي، وأخبرتني كيف أنه يتذمّر باستمرار من كونه بطيء الفهم، وعندما استدرجته لمعرفة المزيد، قال إن إلياس أفضل منه بكثير في كل شيء. كانت والدته مُحرَجة تماماً في الواقع. ليس هذا أمراً غير عادي، وغالباً ما يكون هناك حل بسيط. لقد جعلتُ إلياس يجلس في مكان آخر، ووضعتُه بجانب فتاة جميلة، وهي تلميذة ممتازة أخرى».

امتصّت أَغنِس الدخان، ومن ثم نفخته خارج النافذة.

«ماذا عن إلياس؟ ألم يواجه أية مشاكل؟».

«بلى، كان يجد اللغة الأيسلندية صعبة تماماً. لقد اعتاد وشقيقه تحدّث التايلاندية مع بعضهما. فهذه اللغة هي المعتمَدة في المنزل. قد يصاب الصغار بالارتباك بسبب ذلك».

وأطفأت سيجارتها في الخارج.

«إذاً، تأخر إلياس في الوصول هذا الصباح؟». قال سيغوردور أولي.

ممسكةً عقب السيجارة بين أصابعها، أومأت أَغنِس برأسها.

«كنت قد بدأت بتسجيل الحضور عندما ظهر إلياس أخيراً. لقد راقبه

الصف بأكمله وهو يجلس منفوش الشعر ونعسان؛ كما لو أنه لم يستيقظ كلّياً بعد. فسألتُه عما إذا كان بخير، وأومأ برأسه فحسب. ولكنه كان شارد الفكر، فقد جلس هناك واضعاً الحقيبة على الطاولة، ونظر خارج النافذة إلى الملعب كما لو أنه في عالم خاص به. لم يسمعني عندما شرعتُ بالتدريس. لقد جلس فحسب محدّقاً خارج النافذة، فتوجّهت إليه وسألته عن الأمر الذي يفكر فيه، فأجابني أنه يفكر في العصفور. وحين سألته عن العصفور الذي يتحدث عنه قال لي إنه العصفور الذي حلم به، «العصفور الذي مات»؛ كما قال حرفياً».

وضعت أَغنِس عقب السيجارة في جَيبها وأغلقت النافذة. كان المكان في الداخل قد أصبح بارداً، وارتعشت عندما وقفت. لقد تمّ توقّع هبوب عاصفة في ذلك المساء وفي الليل.

«لم أسأله مرة أخرى عن الأمر؛ إذ غالباً ما يقول الصغار أموراً مماثلة. لم أرَه ثانيةً حتى موعد الغداء. في الاستراحة وفي موعد وجبة الطعام، لم ألاحظه بصفة خاصة. كانت لديهم حصّة فنّ، ربما يُفترض بك التحدث إلى برينهيلدور أيضاً. ومن ثم كانت لديهم حصّة دراسية مزدوجة معي بعد الغداء. كانت الحصة الأخيرة هي الرياضة مع فيلهيالمور. كان آخر مدرّس لإلياس اليوم».

«هو التالي في القائمة». قال سيغوردور أولي. «هل يمكنك أن تخبريني بأي شيء عن...». وتصفّح دفتر مدوَّناته، بحثاً عن الاسم الذي كان المدير قد زوّده به. «جارتان، مدرّس اللغة الأيسلندية؟».

«جارتان ليس بالتحديد برميل ضَحِك؛ كما ستكتشف بنفسك قريباً. وهو لا يُبقي آراءه لنفسه. إنه شوكة في الخاصرة حقاً. هو نجم رياضة سابق، فقد اعتاد ممارسة رياضة كرة اليد، وبعد ذلك حدث له أمر ما. لا أعرف ما هو بالتحديد. ولكنه ليس غبيّاً. إنه يدرّس التلاميذ الأكبر سنّاً بصفة رئيسة».

أومأ سيغوردور أولي برأسه، ووضع دفتر مدوَّناته في سترته، وألقى تحية الوداع على أَغنِس. في طريقه إلى الخارج نحو السيارة، رنّ هاتفه المحمول. إنها زوجته بيرجثورا. لقد تابعت الأخبار على التلفاز وعلمت أنه سيعود متأخراً إلى المنزل.

«الأمر مريع! هل طُعن حقاً؟».

«أجل». قال سيغوردور أولي. «هناك أمور كثيرة عليّ القيام بها ولا نعرف من أين نبدأ. لا تبقي مستيقظة بانتظار قدومي».

«هل تملك أية فكرة عن الفاعل؟».

«لا، فشقيقه مفقود؛ شقيقه الأكبر. ربما يعرف شيئاً ما. لإرلندور رأي مماثل».

«بأنه الفاعل؟».

«لا، ولكن...».

«أليس من المحتمَل أن يكون قد تعرّض لاعتداء أيضاً؟ هل أخذ إرلندور هذا الاحتمال بعين الاعتبار؟».

«سأنقل له هذا الاحتمال». قال سيغوردور أولي بطريقة جافّة. توحي بيرجثورا أحياناً، وبدون تعمّد، أنها تثق بإرلندور أكثر من زوجها عندما يتعلق الأمر بالتحقيقات الجنائية. يَعي سيغوردور أولي أنها لا تقصد الإساءة إليه، ولكن ذلك يُثير عصبيّته.

وتجهّم وجهه. فمن شأن جواب مماثل أن يثير غضب بيرجثورا، ولكنه كان مُتعَباً ونَكِداً ويعرف أنها تريد منه العودة إلى المنزل في أسرع وقت ممكن. إذ عليهما مناقشة الأمور؛ إنه اقتراح بيرجثورا. فقبل أيام قليلة، اقترحت أنه يُفترض بهما التفكير مليّاً في إمكانية تبنّي طفل. فهما لا يمكنهما إنجاب طفل معاً. كان سيغوردور أولي متحمّساً للفكرة، ولكنه اقترح بتردد تحمّل الوضع الراهن في الوقت الحالي. لقد أضفت محاولاتهما إنجاب طفل التوتر على علاقتهما. فسيغوردور أولي يريد أن يحصلا على عام خالٍ من القلق في ما يتعلق بالأطفال أو التبنّي، في حين كانت بيرجثورا نافدة الصبر؛ فهي تتوق للحصول على طفل.

«آه، لم يكن يُفترض بي التدخّل في هذا الأمر». قالت عبر الهاتف.

«من المحتمَل تماماً أن يكون شقيقه قد تعرّض للاعتداء أيضاً». قال سيغوردور أولي. «نحن نتأكد من كل الاحتمالات».

وساد الصمت على الخط.

«هل عثر إرلندور على تلك المرأة؟». سألت بيرجثورا في النهاية.

«لا. لا تزال مفقودة».

«هل لديك المزيد من المعلومات عن تلك القضية؟».

«في الواقع، لا».

«إذا كنتُ نائمة لدى عودتك إلى البيت، فهلاّ توقظني».

«سأفعل». قال سيغوردور أولي، وأنهى الاتصال.

8

كان الفتيان يلعبون في الداخل بحماسة كبيرة، ويتشاحنون على كل كرة من دون أن يجفلوا من اللعب بطريقة غير شريفة. ورأى سيغوردور أولي أحدهم يتبارى مع لاعب وسط منسلٍّ لدرجة أنه كان بإمكانه كسر ساق خصمه. وعندما سقط الضحية على الأرض، صاح بأعلى صوته وأمسك كاحله بإحكام.

«انتبها، أيها الفَتيان!». صاح المدرّب داخل الملعب. «انتبه يا غيري! هيا يا راغي». صاح للفتى الذي كان يقف على قدمَيه ليتبع لاعب الوسط.

وأرسل بديلاً عن راغي، وتواصلت المباراة بمستوى العنف ذاته. كان هناك المزيد من الفتيان؛ لدرجة أنه لن يكون باستطاعتهم المشاركة في المباراة في وقت واحد، لذلك لجأ المدرّب إلى عمليات استبدال متكررة. كان سيغوردور أولي يراقب من خط التماس. والمدرب هو فيلهيالمور؛ مدرّس الرياضة لإلياس. كان يقوم بعمل إضافي بدوام جزئي كمدرّب كرة قدم للفتيان، كما سبق لزوجته أن قالت لسيغوردور أولي عندما وقف على عتبة باب منزله، وأرشدته إلى قاعة الرياضة.

كان التمرين على وشك الانتهاء، فنفخ فيلهيالمور في الصَّفارة المدلاّة من شريط حول عُنُقه، ووجّه فتى ركلةً عنيفة للكرة غير سعيد بالنتيجة كما يبدو، فصدمت الكرة مؤخّر رأس أحد زملائه في الفريق. وبعد قليل من الهيجان، نفخ فيلهيالمور في صفّارته ثانيةً، ونادى الفتيان طالباً منهم إيقاف ذلك الهُراء والتوجه إلى الحمّامات. فكفّ الفتيان عن المشاجرة.

«ألا ينطوي ذلك على بعض الخشونة؟». سأل سيغوردور أولي أثناء توجّهه نحو فيلهيالمور. وحدّق الفِتيان بالشرطي؛ إذ لم يسبق لهم أن رأوا من قَبل رجلاً مهندَماً في القاعة.

«إنهم يسترسلون في الصخَب أحياناً». قال فيلهيالمور مصافحاً سيغوردور أولي. وقام الرجل قصير القامة، الممتلئ، والبالغ من العمر ثلاثين عاماً تقريباً، بجمع قوائم المرمى مخروطية الشكل، والكُرات، ورميها داخل مخزن قام بإقفاله بعد ذلك. «يحتاج هؤلاء الفتيان إلى الاخشيشان. فهم يأتون إلى هنا بَدينين وكسالى بسبب البيتزا وألعاب الكمبيوتر، فأجعلهم يقومون ببعض التمارين. هل أنت هنا لأجل إلياس؟».

«كنتَ مدرّسه الأخير اليوم كما علمت». قال سيغوردور أولي.

لقد سمع فيلهيالمور بعملية القتل، وقال إنه يكاد لا يصدّق الخبر.

«تشعر بصدمة عارمة لدى سماعك بحدوث أمر مماثل. كان إلياس فتى رائعاً مكرَّساً للرياضة. أعتقد أنه كان يستمتع حقاً بلعب كرة القدم. لا أعرف ماذا أقول».

«هل لاحظتَ أي شيء مميَّز أو غير عادي في شأنه اليوم؟».

«كان يوماً عادياً فحسب. جعلتُهم يركضون ويقفزون فوق الصندوق، ومن ثم وزّعتهم إلى فِرَق. هم يستمتعون بكرة القدم أكثر من أي شيء آخر. وكرة اليد أيضاً».

«هل غادر إلياس المدرسة إلى المنزل مباشَرةً برأيك؟».

«لا فكرة لديّ البتة عن المكان الذي قصده». قال فيلهيالمور.

«هل كان آخر المغادرين؟».

«طالما كان إلياس آخر المغادرين».

«هل كان «مُضيف طيران»؟».

«هل أنت من جُزر وِستمان أيضاً؟».

«لا. ليس بالتحديد. وأنت...؟».

«انتقلنا إلى هنا عندما كنت في الثانية عشرة من عمري».

«هل كان إلياس يتسكّع في المكان إذاً، أم...؟».

«هكذا كان حاله على الدوام. لقد تطلّبه الأمر وقتاً طويلاً للمغادرة. كان بطيئاً أيضاً في تغيير ملابسه، ومتردداً نوعاً ما، وعليك حثّه باستمرار».

«ماذا كان يفعل حينذاك؟».

«كان منشغل البال ليس إلا، ويعيش في عالمه الخاص».

«واليوم أيضاً؟».

«ربما، عِلماً أنني لم ألاحظ ذلك بصفة خاصة. كان عليّ الإسراع إلى اجتماع».

«هل رأيتَ شخصاً ما ينتظره في الخارج؟ هل لاحظتَ أنه التقى أحدهم؟ هل بدا خائفاً من الذهاب إلى المنزل؟ هل يمكنك استشفاف أي شيء مماثل في شأنه؟».

«لا، لا شيء. لم أرَ أي شيء غير عادي في الخارج. كان الفتيان متوجّهين إلى منازلهم. لا أعتقد أن هناك من كان بانتظاره. ولكن حينذاك، لم أكن أفكّر في تلك الأمور. فأنت لا تفكّر في ذلك النوع من الأمور عادة».

«ليس إلا في وقت لاحق». قال سيغوردور أولي.

«أجل، بالطبع. ولكن، كما قلتُ، لم ألاحظ أي شيء غير عادي. لم

يظهر عليه أي خوف أثناء الحصّة، ولم يقل لي أي شيء. كان يتصرف كالمعتاد. بالرغم من كل شيء، لم يحدث أي أمر مماثل من قَبل؛ مطلقاً. لا يمكنني أن أفهم سبب رغبة أحدهم بالاعتداء على إلياس، لا يمكنني فهم ذلك ببساطة. الأمر مريع».

«هل تعرف مدرّس اللغة الأيسلندية في المدرسة؟ رجلاً يدعى جارتان؟».

«أجل».

«من الواضح أن لديه بعض وجهات النظر حيال المهاجرين».

«إنه يعبّر عن رأيه».

«هل توافقه الرأي؟».

«أنا! لا، هو غريب الأطوار. إنه...».

«إنه ماذا؟».

«إنه متعصّب نوعاً ما». قال فيلهيالمور. «هل التقيتَه؟».

«لا».

«إنه بطل رياضي قديم». قال فيلهيالمور. «أذكره جيداً في رياضة كرة اليد. كان لاعباً جيداً، ومن ثم حدث أمر ما، وتعرّض لإصابة بليغة، فتعيّن عليه الكفّ عن ممارسة هذه الرياضة عندما كان في طريقه إلى الاحتراف بعد التوقيع على عقد مع نادٍ إسباني. أعتقد أنه أمر مثير للغضب. ليس ذلك الشخص المحبوب».

وصدرت صيحات وصرخات من غرف تبديل ملابس الفتيان على امتداد الممر. فانطلق فيلهيالمور في ذلك الاتجاه لتهدئة الفتيان.

«هل تعرف ماذا حدث؟». قال من فوق كتفه.

«ليس بعد». قال سيغوردور أولي.

«آمل أن تقوم بإلقاء القبض على الوغد. هل الدافع عِرقي؟».

«لا نعرف أي شيء».

كانت زوجة جارتان في أوائل عقدها الرابع، وأصغر سنّاً بقليل من مدرّس اللغة الأيسلندية نفسه. ملابسها رثّة نوعاً ما؛ إذ كانت ترتدي سروالاً للهرولة قديماً، ويقف بجانبها طفلان. ألقى سيغوردور أولي نظرة على داخل الشقة المُعتمة. لم يكن الثنائي شديد الاعتناء - كما يبدو - بمظهر المنزل بصفة خاصة. وفكّر تلقائياً في شقته حيث كل شيء نظيف ومرتَّب. لقد أطلقت الفكرة في نفسه شعوراً دافئاً أثناء وقوفه في البَرْد في الخارج، ملسوعاً بالريح القارسة. والشقة هي إحدى الشقق الأربع في الطابق الأرضي من المبنى.

نادت المرأة زوجها، فجاء إلى الباب مرتدياً أيضاً سروالاً للهرولة، وصُدرةً تبدو أصغر حجماً بقياسَين من حجمه؛ كاشفةً عن بَطن مالكها. يبدو أنه يكتفي بحِلاقة ذَقنه مرة واحدة في الأسبوع، وعلى وجهه نظرة سيئة المِزاج لم يستطع سيغوردور أولي فهمها تماماً، وفي عينَيه شيء ما يعبّر عن الكراهية والغضب. وتذكر رؤيته هذه التعابير من قَبل، وهذا الوجه، وتذكر كلمات فيلهيالمور عن النجم الرياضي الآفل.

وجه من الماضي؛ هذا ما كان إرلندور سيقوله. إذ لطالما أبدى ملاحظات يمقتها سيغوردور أولي لأنه لا يفهمها، عبارات من تلك القصص القديمة التي تمثّل الاهتمام الوحيد لإرلندور في الحياة كما يبدو. إن الرجلَين على طرفَي نقيض في تفكيرهما. ففي حين يجلس إرلندور في المنزل ويقرأ قصصاً شعبية أيسلندية قديمة أو قصصاً خيالية، يجلس سيغوردور أولي أمام التلفاز ويتابع البرامج البوليسية الأميركية، واضعاً طاسة بوشار في حضنه وقنينة كوكا كولا على الطاولة. لقد كيّف نفسه مع هذه البرامج عندما انضمّ إلى قوة الشرطة. لم يكن الوحيد في اعتقاده أنه من شأن العمل مع الشرطة إضفاء طابع الصرامة على صورة المرء. فلا يزال المتطوّعون يأتون إلى العمل من حين لآخر بملابس مماثلة لملابس رجال الشرطة الأميركيين الذين يظهرون على التلفاز بجينزات وقبعات بيسبول.

«هل الأمر يتعلق بالفتى؟». قال جارتان ممتنعاً عن دعوة سيغوردور أولي للدخول احتماءً من البَرْد.

«الأمر يتعلق بإلياس، أجل».

«كانت مسألةَ وقت فحسب»، قال جارتان بنبرة تعصّب في صوته. «لا يُفترض بهم إدخال هؤلاء القوم إلى البلد. فهذا الأمر لا يؤدي إلا إلى صِدامات. عاجلاً أم آجلاً، كان هذا سيحدث لهذا الفتى في هذه المدرسة ومن هذه المقاطعة وفي هذا الوقت، أو لشخص آخر وفي وقت آخر... لا فَرْق. كان هذا الأمر سيحدث بالتأكيد، وسيحدث ثانيةً. يمكنك المراهنة على ذلك».

وبدأ سيغوردور أولي يتذكر المزيد عن قصة جارتان أثناء وقوف الرجل أمامه، على بُعد خطوة منه، ويده على إطار الباب فيما اليد الأخرى على الباب، وبطنه بارز تحت صُدرته. فسيغوردور أولي متابع متحمّس للألعاب الرياضية؛ عِلماً أن اهتمامه ينصبّ على كرة القدم الأميركية والبيسبول أكثر منه على الألعاب الرياضية الأيسلندية. ولكنه تذكّر أن هذا الرجل كان الأمل الكبير لكرة اليد الأيسلندية، وتذكر كيف كان في الفريق الوطني

وأصيب بأذى أثناء مبارة شارك فيها عندما كان في أوائل العقد الثالث من العمر، واضطرّ للكفّ عن ممارسة هذه الرياضة. لقد عاملته وسائل الإعلام بتميُّز لمدة من الزمن، ومن ثم غاب عن الساحة بسرعة ظهوره عليها.

«إذاً، أتعتقد أن الاعتداء ذو دافع عِرقي؟». قال سيغوردور أولي مفكّراً في مدى صعوبة تخلّي الرجل عن ممارسته الاحترافية لكرة اليد. فلو لم يُصَب بأذى لَبلغ الآن نهاية مهنةِ نجمٍ مكلَّلة بالنجاحات بدلاً من التدريس في مدرسة ثانوية.

«هل هناك احتمال آخر؟». سأل جارتان.

«لقد درّستَ إلياس».

«أجل، كمدرّس بديل».

«أي نوع من الفتيان كان؟».

«لا أعرفه جيداً. سمعتُ أنه طُعن. لا أعرف أكثر من ذلك. لا جدوى من سؤالي. ليس من واجبي الاعتناء بأولئك الصغار. أنا لا أعمل في ملعب للصغار!».

فرمقه سيغوردور أولي بنظرة متفحّصة.

«هناك ثلاثة مثله في الصف». تابع جارتان. «وهناك أكثر من ثلاثين في المدرسة ككل. لقد كففتُ عن التعليق على استقبال تلاميذ جدد. إنهم في كل مكان. هل زرتَ يوماً سوق البرغوث؟ إنه أشبه بهونغ كونغ! لا أحد ينتبه للأمر. لا أحد ينتبه لما بات عليه وضع بلدنا».

«ليس...».

«هل تعتقد أنه لا بأس بذلك؟».

«هذا الأمر ليس من شأنك». قال سيغوردور أولي.

«لا يمكنني مساعدتك». قال جارتان مستعداً لإغلاق الباب.

«هل تعتقد أنني أبالغ إذا طلبتُ منك الإجابة عن بضعة أسئلة؟». قال سيغوردور أولي. «بإمكانك التعاطي مع الأمر في مركز الشرطة. أنا أرحّب بقدومك معي. المكان مريح هناك أيضاً».

«لا تهددني». قال جارتان بلا خوف. «أقول لك إنني لا أعرف شيئاً عن هذه المسألة».

«ربما كان يخشاك». قال سيغوردور أولي. «لا يبدو بالتحديد أنك كنت ودوداً معه، أو مع أي تلميذ آخر تدرّسه».

«هِيه». اعترض جارتان. «لم أفعل أي شيء للفتى. فأنا لا أرعى التلاميذ بعد المدرسة. ليسوا مسؤوليتي».

«إذا اكتشفتُ أنك هدّدته بطريقة ما لأنك تعتبره أجنبياً، فسيكون لنا حديث آخر».

«واو... أنا خائف جداً». قال جارتان. «دَعني وشأني! لا أعرف ما حدث للفتى، ولا علاقة لي بالأمر».

«ماذا عن الصِّدام الذي حدث بينك وبين مدرّس يدعى فينور؟». سأل سيغوردور أولي.

«صِدام؟!».

«في غرفة الهيئة التعليمية». قال سيغوردور أولي. «ماذا حدث؟».

«لم يحدث أي صِدام». قال جارتان. «تجادلنا قليلاً. فهو يعتقد أن لا بأس بالأمر كما يبدو: كلما تدفّق المزيد من الأجانب إلى هذا البلد كان ذلك أفضل. كل ما يهمّه هو هُراء جناح اليسار القديم ذاك. لقد قلتُ له ذلك فغضب قليلاً».

«تعتقد أن هذا الأمر مقبول، أليس كذلك؟». سأل سيغوردور أولي.

«ماذا؟».

«التكلّم عن الناس بتلك الطريقة. هل أنت واثق من التزامك بخط العمل الصحيح؟».

«ماذا تدعو العمل اللعين الذي تقوم به؟ هل تلتزم بخط العمل الصحيح عندما تقصد الأشخاص الذين لا شأن لك بهم وتحاول أن تكتشف الحقيقة من خلال حاسّة الشمّ لديك؟».

«ربما لا». قال سيغوردور أولي. «ألم تكن تمارس رياضة كرة اليد في ما مضى؟ كنتَ نجماً صاعداً؟».

فتردد جارتان للحظات. لقد بدا رابط الجأش، وعلى وشك أن يقول شيئاً ما؛ ربما شتيمة ليُثبت أنه لا يبالي بما قاله سيغوردور أولي أو فكّر فيه. ولكن شيئاً لم يحدث له، وأغلق الباب من دون التفوّه بأية كلمة.

«كنتَ مثالاً يُحتذى». قال سيغوردور أولي للباب.

في وقت لاحق من ذلك المساء، قاد إرلندور سيارته عائداً إلى مجمّع الشقق السكنية. لقد ثَبُت عدم جدوى البحث عن نيران، وعادت سوني وشقيقها إلى المنزل. كانت الشرطة لا تزال تبحث عن الفتى، وطُلب من عامّة الناس المساعدة من خلال الاتصال لتقديم المعلومات المتوافرة لديهم، لا بل أيضاً من خلال القيام بنزهة سيراً على الأقدام في الأحياء للبحث عن مراهق من جنوب شرق آسيا، فتى صغير نوعاً ما في الخامسة عشرة من العمر يرتدي معطفاً أزرق، ويعتمر قبّعة صوفية سوداء.

لقد شارك أودين - والد إلياس - في عملية البحث بفعالية، والتقى سوني، وجرى بينهما حديث طويل وخاص. في ذلك المساء، كان قد أخبر إرلندور بالمزيد عن زواجهما، وكيف أراد الاحتفاظ بإلياس بعد الطلاق ولكن الفتى أراد ملازمة والدته، لذلك تعيّن عليه ترك الأمور على حالها. لم يتمكن من تزويد إرلندور بأية تفاصيل عن الرجل الجديد الذي دخل حياة سوني، كما أنها لم تذكر للشرطة وجود أي حبيب لها. ربما انقطعت العلاقة. لم يكن أودين يعرف أي شيء عن الأمر.

توقّف إرلندور أمام مجمَّع الشقق السكنية. كان يقود سيارة فالكون فورد يعود تاريخ صنعها لأكثر من ثلاثين عاماً، اشتراها في ذلك الخريف. كانت سوداءَ اللون، وتجهيزاتها الداخلية بيضاء. فترك المحرك يعمل، وأشعل السيجارة الأخيرة في العلبة التي سرعان ما حوّلها إلى كتلة في يده، وكان على وشك رميها إلى المقعد الخلفي كما اعتاد القيام بذلك في سيارته القديمة، ولكنه امتنع عن فعل ذلك ووضع العلبة الفارغة في جَيب مِعطفه. كان يعامل الفورد بقَدْر معيَّن من الاحترام.

امتصّ إرلندور الدخان الأزرق. الثقة، قال لنفسه. عليه أن يثق بالناس. وعاد بأفكاره إلى المرأة التي دأب على البحث عنها في الأسابيع السابقة. كانت القضايا مكدَّسة على طاولته، وإحدى القضايا الأكثر جدّيّة مرتبطة بالخيانة الزوجية، أو هذا ما اعتقده على الأقل، وتتناول امرأة فقدت بسبب الخِيانة وفقاً لإرلندور. ولم يوافقه الجميع الرأي.

كانت المرأة – وتدعى إيلين - قد خرجت من منزلها قبل وقت قصير من 25 كانون الأول، ولم تُرَ مذاك الحين. وقبل اكتشاف جثة الفتى وراء مجمَّع الشقق السكنية، كان إرلندور مستغرِقاً في القضية، واعتبر سيغوردور أولي وإيلينبورغ أنها أعادت إليه هاجسه القديم. فالكل يعرف أن إرلندور لا يُطيق وجود قضايا غير محلولة على طاولته، ولا سيما إذا كانت تتضمن أشخاصاً مفقودين، في حين يهزّ آخرون رؤوسهم ويُقنعون أنفسهم أنهم بذلوا قُصارى جهدهم. أما إرلندور فكان يتعمّق في بحثه، رافضاً الاستسلام.

كان زوج المرأة شديد القلق عليها، وهو أمر مفهوم. فكلاهما في سنّ الأربعين تقريباً، وتزوّجا قبل عامَين، ولكن كلاًّ منهما كان متزوّجاً من شخص آخر عندما التقيا. فزوجة الرجل السابقة مديرة شعبة في الخدمة المدنية، ولديهما ثلاثة أولاد تتراوح أعمارهم بين ثلاثة أعوام وأربعة عشر عاماً. كانت إيلين متزوجة بمدير مصرف، ولديها ابنان مراهقان يُقيمان معه. كانا

كلاهما يعيشان حياتَين سعيدتَين ولا ينقصهما شيء. هو يشغل منصباً جيداً في شركة كمبيوتر طموحة، وهي تعمل في السياحة؛ منظّمةً رحلات سياحية عبر القَفر الأيسلندي. كانا قد التقيا في بادئ الأمر أثناء قيامه باصطحاب مجموعة صغيرة من العملاء السويديين في جولةٍ لُغزية إلى نهر فاتناجوكول الجليدي. لقد نظّمت الرحلة، ورأته أثناء اللقاءات، ومن ثم ذهبا مع المجموعة إلى النهر الجليدي. ونجمت عن ذلك علاقة غرامية حافظا على سرّيّتها طوال عام ونصف العام.

كانت علاقتهما في بادئ الأمر انحرافاً مثيراً عن الروتين، وفقاً للزوج. لقد وجدا أنه من السهل عليهما الالتقاء لأنها اعتادت السفر، ويمكنه على الدوام اختلاق أعذار كممارسة رياضة الغولف التي لم تكن تهمّ زوجته. كان يعمد أحياناً إلى شراء كأس ونقش عبارات عليها مثل «دورة ألعاب بورغارهولت الرياضية، المرتبة الثالثة» ليريها لزوجته. لقد وجد الأمر تهكميّاً على نحو مُسلٍّ. كان يمارس رياضة الغولف كثيراً، ولكن نادراً ما كان يفوز.

أطفأ إرلندور سيجارته. لقد تذكّر الجوائز التي رآها في منزل الرجل. لم يرمِ أيّاً منها، وتساءل إرلندور عن سبب عدم تخلصه منها. كانت دِعاماتٍ لكِذبة، وما لم يواصل الكذب ويقل لمستمعين عن طيب خاطر إنه فاز بها، لاَعتبرها غير ضرورية. ربما احتفظ بها كتذكارات لعلاقة غرامية ناجحة. فإذا كان قادراً على الكذب على زوجته ونقْش انتصارٍ وهميٍّ على كأس جائزة، فهل تكون هناك أية حدود لأكاذيبه؟

إنه السؤال الذي كان إرلندور يكافح لإيجاد جواب عنه منذ اتصال الرجل للتبليغ عن فقدانه زوجته. فما بدأ كحنين إلى مغامرة أو تغيير، لا بل حبّ أعمى أيضاً، انتهى بمأساة.

لقد جفل إرلندور من تخميناته عندما سمع قَرعاً على نافذة السيارة. لم يتمكن من رؤية أحد بسبب تحوّل البخار إلى سائل على الزجاج، لذلك فتح الباب. إنها إيلينبورغ.

«عليّ الذهاب إلى المنزل». قالت.

«ادخلي لدقيقة واحدة فقط». قال إرلندور.

«متسوّل مجنون». أنّت أثناء التفافها حول الناحية الأمامية للسيارة، وجلوسها على مقعد الركاب.

«ماذا تفعل بمفردك هنا في سيارتك؟». سألت بعد فترة صمت.

«كنت أفكر في المرأة المفقودة». قال إرلندور.

«تعرف أنها انتحرت». قالت إيلينبورغ. «ليس علينا سوى العثور على

الجثة. سيتم اكتشافها على الشاطئ في ريكجانس في الربيع القادم. إنها مفقودة منذ أكثر من ثلاثة أسابيع. لا أحد يعرف مكانها، ولا أحد يخبّئها، ولم تتصل بأحد. لا مال معها، ولم تجرِ أيّ عمليات تجارية بواسطة بطاقة ائتمانها في أي مكان. من الواضح أنها لم تغادر البلد. الأثر الوحيد يؤدي إلى البحر».

وتوقفت إيلينبورغ عن الكلام مؤقتاً.

«ما لم تكن تعتقد أن زوجها قد قتلها».

«لقد صنع جوائز مزيفة. كان يعرف أن زوجته السابقة غير مهتمة بالغولف، ولم تقرأ عن أي نوع من الألعاب الرياضية مطلقاً، ولم تتحدث قطّ عن الغولف إلى أي شخص. هي التي قالت لي ذلك. ولم يُرِ الكؤوس لأي شخص سواها لأنه بحاجة لاختلاق عُذر. ولكن الأمر تغيّر بعد ذلك. فعندما حصل على الطلاق، شرع بعرضها بتباهٍ. لو لم يكن ذلك غير أخلاقي...».

«هل تركّز عليه الآن؟».

«نعود دائماً إلى الأمر نفسه». قال إرلندور.

«أشخاص مفقودون وجرائم». قالت إيلينبورغ التي غالباً ما كانت تسمع إرلندور يصف الاختفاءات كما لو أنها «جريمة أيسلندية على نحو مميّز». وتتمثل نظريّته بأن الأيسلنديين لا يأبهون بالأشخاص المفقودين. ففي الغالبية الساحقة للقضايا يعتقدون أن هناك تفسيرات «طبيعية» في بلد يسجّل نسبة انتحار مرتفعة نوعاً ما. وذهب إرلندور بعيداً؛ رابطاً عدم الاكتراث بالاختفاءات بوَعيٍ شعبيّ معيَّن - يعود إلى قرون مضت - للظروف في أيسلندا، وللمُناخ القاسي الذي يتعرّض له الناس ويموتون ويختفون بسببه؛ كما لو أن الأرض تبتلعهم. ليس هناك من هو أكثر اطّلاعاً من إرلندور على قصص الأشخاص الذين تجمّدوا حتى الموت في طقس سيّئ. وتتمثل نظريّته بأنه يسهل ارتكاب الجرائم تحت ستار هذه اللا مبالاة. وفي اجتماعاته مع إيلينبورغ وسيغوردور أولي ومحقِّقين آخرين، حاول إثبات صحة نظريته من خلال اختفاء المرأة، ولكن كلماته لم تلقَ آذاناً صاغية.

«اذهبي إلى المنزل». قال إرلندور. «اعتني بابنتك الصغيرة. هل عادت سوني؟».

«أجل، لقد وصلوا إلى هنا للتوّ». قالت إيلينبورغ. «كان أودين معهم، ولكنني أعتقد أنه غادر مجدداً. لا يزال نيران مفقوداً. آه يا الله، آمل ألا

يكون قد حدث له أي شيء».

«أعتقد أنه سيظهر». قال إرلندور.

«أنتَ وأشخاصك المفقودون». قالت إيلينبورغ فاتحةً الباب. «هل أنت على اتصال بابنتك في هذه الأيام؟».

«اذهبي إلى المنزل». قال إرلندور.

«كنت أتحدث إلى غودني المترجمة. تقول إن سوني شددت على أنه يُفترض تربية الأبناء - كما تربَّتْ - على احترام الأشخاص الأكبر سنّاً. إنه أحد المبادئ في التربية التايلاندية، ويبقى جزءاً منهم طوال حياتهم. والمسؤولية نقطة أخرى. فالأشخاص المُسنون، والأجداد وأهل الأجداد، هم رأس العائلة الموسَّعة. يمرّر الأشخاص الأكبر سنّاً تجربتهم للأصغر سنّاً الذين يُفترض بهم ضمان أمنهم عندما يتقدّمون في السنّ. ليس ذلك واجباً ولكنه أمر مسلَّم به. والصغار...». وتنهدت إيلينبورغ بعمق أثناء تفكيرها في إلياس.

«تقول إن البالغين في تايلاندا يقفون للصغار في الحافلات ليجلسوا على مقاعدهم».

ولزما الصمت.

«كل هذا جديد بالنسبة إلينا. مهاجرون، مسائل عِرقية... نعرف القليل عن الأمر». قال إرلندور أخيراً.

«صحيح. ولكنني أعتقد أننا نبذل قُصارى جهدنا».

«بدون شك. الآن، اذهبي إلى المنزل».

«أراك غداً». قالت إيلينبورغ، ومن ثم خرجت من السيارة وأغلقت الباب وراءها.

تمنّى إرلندور لو كان يملك سيجارة أخرى. كان يمقت اضطراره للعودة لرؤية سوني. وفكّر في ابنته، إيفا ليند. لقد زارته بشكل غير متوقَّع في 25 كانون الأول، ولكنه لم يرَها مذاك الحين. فالرجل الذي كانت معه أُرسل إلى السجن قبل عُطلة الكريسماس، واعتقدت أن باستطاعة إرلندور القيام بشيء ما حيال ذلك. كان شريكها يزوّدها بالمخدّرات. لقد حُكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة تهريب الكوكايين والمخدّرات إلى داخل البلد، وتوقعت إيفا أوقاتاً صعبة أثناء وجوده في السجن.

ازدادت العلاقة بين إيفا وإرلندور سوءاً في الفترة الأخيرة. لم يستطع إرلندور فهم سبب ذلك في الواقع. فلمدة طويلة، لم تُظهر إيفا أي استعداد للحدّ من عادة تعاطي المخدرات، وابتعدت عنه. كانت تخضع للتأهيل، ولكن ليس بملء إرادتها، وعندما انتهى العلاج عادت على الفور

إلى أساليبها القديمة. وحاول شقيقها سيندري مساعدتها، ولكن بدون جدوى. كانت العلاقة بين الشقيق والشقيقة وثيقة على الدوام، ولكنها متقلِّبة بين إرلندور وإيفا؛ ووفقاً لمِزاج إيفا بصورة عامة. فأحياناً تكون بخير، وتتحدّث إلى والدها وتُطلعه على كيفية تدبّرها أمرها، وفي أحيان أخرى تقطع كل اتصال لها به، وترفض أن تكون لها أية علاقة به.

أقفل إرلندور الفورد، ونظر إلى أعلى مجمَّعِ الشقق السكنية المكوَّنِ من ست طبقات والشامخِ في الظلام بشكل مهدِّد. وقرر التحدث إلى صاحب المجمّع علّه يتمكن من إلقاء ضوء ما على حياة سوني وظروف الفتيَين. مرةً ثانية، أرجأ الصعود إلى شقتها، ودار بدلاً من ذلك في اتجاه الناحية الخلفية للمجمَّع، وصولاً إلى داخل الحديقة. كان البحث الذي أُجري في مسرح الجريمة قد انتهى، ورحل عناصر الأدلة الجنائية، وعاد كل شيء إلى سابق عهده كما لو أن شيئاً لم يحدث في الموقع.

سار في اتجاه الأُرجوحتَين فيما الصقيع يلسع وجهه. دسّ يدَيه عميقاً داخل جيبَيه، ووقف بدون حراك لمدة طويلة. في وقت سابق من ذلك اليوم، بلغه قبول رئيسِه القديم في دائرة التحقيقات الجنائية في ريكيافيك، ماريون برايم، في جناح المصابين بأمراض مميتة في المستشفى الوطني. لقد تقاعد ماريون منذ سنوات عديدة، وها هي الحياة تتخلّى شيئاً فشيئاً عن زميله القديم. لم يكن بالإمكان وصف علاقتهما بالصداقة. كان ماريون يثير حفيظة إرلندور على الدوام، لأنه الشخص الوحيد في حياته ربما الذي لا يتعب من طرح الأسئلة وإرغام إرلندور على تبرير تصرفاته. كان ماريون أحد الأشخاص الأكثر حباً للاستطلاع الذي سار على الأرض؛ قاعدة بيانات حيّة للجريمة الأيسلندية، وثَبُتت فائدته في غالب الأحيان لإرلندور، حتى أثناء تقاعده. لم يكن لماريون أي أنسباء، وبات إرلندور أقرب إلى كونه صديقاً وزميلاً له، وعائلتَه، في آن.

اخترقت ريح قارسة ملابس إرلندور أثناء وقوفه بجانب الأُرجوحتَين حيث مات إلياس، وطافت مخيّلته فوق الجبال والقِفار، ووصلت إلى فتى صغير آخر غاب ذات مرة عن ذاكرته، وها هو يتبعه الآن عبر الحياة كظلّ حزين.

رفع إرلندور نظره. كان يعرف أنه ليس باستطاعته تأجيل الجلوس مع سوني. مستديراً، خرج من الحديقة بخطى واسعة. وعندما وصل إلى مدخل الشقق، لاحظ أن باب مخزن القُمامة مفتوح جزئياً. لم يلاحظ مخزن القُمامة من قَبل. فالباب موجود في الجدار قرب المدخل، ومَطليّ بلونِ طلاء

جدران مجمَّعِ الشقق السكنية نفسه. وكون الباب مفتوحاً لا يعني أي شيء بالضرورة. فباستطاعة أي شخص الدخول إلى هناك لإفراغ قُمامته داخل الأوعية. كان الشرطي الذي يحرس الباب واقفاً في المدخل ليحصل على بعض الدفء.

بعد التوقف للحظات، توجه إرلندور إلى مخزن القُمامة وفتح الباب على اتساعه. كان الظلام دامساً في الداخل. بحث عن المفتاح الكهربائي لإضاءة النور، فرأى لمبة مجرَّدة من أية ظُلّة مدلاّة من السقف، وصناديق القُمامة موضوعة في صفوف على امتداد الجدران، وتحت المِزْلَق [2] وعاء مكتظّ بالقُمامة. كان بارداً، وهناك رائحة كريهة ولاذعة لطعام قديم ونفايات أخرى. فتردد إرلندور، ومن ثم أطفأ الضوء وسحب الباب وراءه ليُغلقه.

عندئذٍ، سمع الأنين.

لم يتطلب منه الأمر سوى لحظات ليكتشف ماهيّة الصوت. ربما كان مخطئاً. ربما لم يفسّره بشكل صحيح. ففتح الباب مجدداً، وأضاء النور.

«هل هناك أحد؟». نادى.

حين لم يتلقَّ أية إجابة، دخل غرفة التخزين مزحزحاً صناديق القمامة من مكانها، وباحثاً بينها. ودفع بعيداً الوعاء الموضوع تحت المِزلَق، فاكتشف وراءه فتى أسود الشعر متكوّراً على نفسه ورأسه مدسوس بين ركبتَيه؛ كما لو أنه يحاول جعل نفسه غير مرئيّ.

«نيران؟!». قال إرلندور.

لم يتحرك الفتى.

«هل هذا أنت يا نيران؟».

لم يُجبه الفتى، فركع إرلندور وحاول حمله على النظر إليه، ولكن الفتى دسّ رأسه بشكل أعمق بين رُكبتَيه؛ شابكاً قدمَيه بوضعية متراصة لا يمكن زحزحتها.

«اخرج من هنا». قال إرلندور، ولكن الفتى تصرّف كما لو أنه ليس موجوداً.

«والدتك تبحث عنك».

أخذ إرلندور بيد الفتى، وشعر بها باردة كالثلج. فأحنى الفتى رأسه إلى صدره. لقد بدا الأمر كما لو أنه يعتقد أن إرلندور سيذهب ويتركه بمفرده.

بعد قليل، شعر إرلندور أنه جرّب كل شيء، لذلك وقف ببطء وسار

باتجاه عكسي إلى خارج مخزن القُمامة. ضغط على جهاز الاتصال الداخلي الخاص بسوني، وأجابت المترجمة. قال إرلندور إنه عثر على نيران كما يعتقد، وهو سليم ولكن يتعيّن على والدته النزول والتحدث إليه. وسرعان ما نزلت سوني وشقيقها وحماتها والمترجمة السلّم رَكضاً. والتقاهم إرلندور عند الباب، ورافق سوني بمفردها إلى داخل غرفة التخزين.

حالما رأت سوني الفتى مُحدَوداباً تحت المِزلق، أطلقت صرخة صغيرة، وركضت في اتجاهه وعانقته. عندئذٍ، أرخى الفتى، وللمرة الأولى، قبضته الشديدة على نفسه، ودسّ نفسه بين ذراعَي والدته.

في وقت لاحق من ذلك المساء، عاد إرلندور إلى منزله؛ عرينِه كما دعت إيفا ليند شقته ذات مرة عندما اعتقد أن علاقتهما تتحسن. قالت حينذاك إنه زحف إلى داخله ليحتفل ببؤسه. لم تكن هذه هي الكلمات التي استخدمتها بالتحديد؛ إذ لإيفا مفردات لغة محدودة ورتيبة جداً، ولكن تلك العبارة تعبّر عن فحوى ما أرادت قوله. لم يُضئ النور؛ فإضاءة الشارع تُلقي توهّجاً باهتاً على غرفة الجلوس حيث كُتبه، وجلس على كرسيّه ذي الذراعين. غالباً ما كان يجلس بمفرده في الظُّلمة؛ ناظراً إلى خارج نافذة غرفة الجلوس الواسعة. وعندما يجلس على هذا النحو، ناظراً إلى الخارج، لم يكن يرى أي شيء عبر النافذة باستثناء سماء لا نهاية لها. ومن حين لآخر، تتلألأ نجوم في سكون الشتاء، ويراقب أحياناً القمر سابحاً أمام نافذته بكل مجده البارد والبعيد. وتكون السماء أحياناً أخرى داكنة ومكفهرّة؛ كما هو الحال الآن، فيحدّق إرلندور في السواد كما لو أنه راغب في تبديد أفكاره المُرهقة في الفراغ.

لقد تخيّل إلياس ممدّداً في الناحية الخلفية لحديقة الشقق السكنية، وتبادرت إلى ذهنه مجدداً صورةٌ قديمة لفتى آخر مات في عاصفة ثلجية عنيفة منذ سنوات عدة. إنه شقيقه، وكان في الثامنة من عمره. لم يدرك مدى عمق الأثر الذي تركه اكتشاف جثة الفتى بجانب مجمَّع الشقق السكنية في نفسه إلا عندما جلس في المنزل في غرفة جلوسه بمفرده في هدأة الليل. لم يتمالك إرلندور نفسه من التفكير في شقيقه، ولم يُشفَ مطلقاً الجرح الذي تركته وفاته. لقد نهش الشعورُ بالذَّنب إرلندور مذاك الحين؛ لأنه شعر بمسؤوليته عن مصير شقيقه الأصغر. كان يُفترض به الاعتناء به، وقد أخفق. لم يُصدر أحد هذا الحكم غير المنصف إلا إرلندور نفسه، ولم يذكر أحد قط أنه كان باستطاعته الاهتمام بشقيقه بشكل أفضل. فلو لم يفلت شقيقه من قبضته في العاصفة الثلجية، لتمّ العثور

عليهما معاً عندما أُرسل فريق البحث، وأُخرج إرلندور من بين الركام الثلجي في حالة جيدة على نحو غير عادي.

وعاد بفكره إلى نيران الذي اقتادته سوني باكيةً إلى خارج مخزن القُمامة. هل كان يشعر بأنه يُفترض به أن يكون حامي شقيقه؟

تنهّد إرلندور وأغمض عينَيه. لقد أدت كل تلك الأفكار اللامتناهية التي تقاطعت في ذهنه ككِسرِ زجاج إلى استغراقه في نوم خالٍ من الأحلام.

هو يفكّر في إيلينبورغ المرهقة الملتصقة بابنتها الصغيرة، مستكنّة، كما لو أنها تحميها من كل أذى.

ويرى سيغوردور أولي القلِق يتسلل إلى داخل منزله، حارِصاً على عدم إيقاظ بيرجثورا، وإلياس الممدد في الناحية الخلفية لحديقة مجمع الشقق السكنية بمعطفه الممزَّق، وعيناه المُنهكتان تراقبان الثلج يتكوّم قربه.

ويذرع أودين الأرض في سنورابروت جيئةً وذهاباً.

ونيران مستلقٍ في غرفته، وشفتاه ترتجفان بسبب ألم شديد صامت.

وتجلس سوني بمفردها على الأريكة، باكيةً بهدوء تحت التنين الأصفر.

والمرأة التي يبحث عنها تتمايل برِفق على الموجات المرتطمة بالصخور.

وشقيقه البالغ من العمر ثماني سنوات ممدَّدٌ متجمّداً في عاصفة ثلجية ستدوم إلى الأبد.

وفي حُلْم تكسوه الشمس، يحرك عصفور ذَيله بسرعة وخفّة في بيته الجديد ويغرّد لصديقه.

9

عندما وصل إرلندور إلى المدرسة في صباح اليوم التالي مع إيلينبورغ وسيغوردور أولي، كان الجرس قد قرع للتوّ إيذاناً بفترة الاستراحة، والتلاميذ يسيرون بهدوء على امتداد الممرّ، والمدرّسون والمساعدون يراقبون تدفّق التلاميذ، وكل المخارج مفتوحة. لقد أثلجت قُرابة الصباح، واعتزم الأولاد الأصغر سنّاً استغلال كل ثانية من الاستراحة للّعب في الخارج، في حين كان الأكبر سنّاً غير مبالين، ومحتشدين قرب الجدران أو يسيرون الهُوَينا في مجموعات صغيرة في اتجاه المتجر.

كان إرلندور يعلم أن المشورة النفسية متوافرة للتلاميذ في صف إلياس، وأن بعض الأهالي استفادوا من الأمر. لقد رافقوا صغارهم إلى المدرسة، وأطلعوا المدرّسين على مخاوفهم، وقرّر المدير جمع كل التلاميذ والهيئة التعليمية في قاعة الاجتماعات عند موعد الغداء لقضاء فترة من التأمّل الهادئ إحياءً لذكرى إلياس. كان رجل الدين المحلّي يعتزم مخاطبة التلاميذ، على أن يقوم ممثّل عن الشرطة بعد ذلك بالطلب من كل من يعرف أي شيء عن تحركات إلياس، أو لديه معلومات قد تثبت فائدتها في التحقيق بوفاته، أن يُبلغ مدرّساً، أو المدير، أو الشرطة. وسيتوافر رقم هاتف للمتّصلين الذين لا يريدون البَوح بأسمائهم، وسيتمّ التحقيق في كل الأدلة مهما كانت يسيرة. لقد اعتزم سيغوردور أولي وإيلينبورغ على طرح أسئلة على رفاق إلياس في الصف حول يومه الأخير؛ بالرغم من تعقُّد هذا الإجراء لأنه يتعيّن الحصول على إذن الأهل قبل استجواب صغارهم. وثَبُتت الفائدة الكبيرة لأغنِس، مدرّسة إلياس؛ إذ اتصلت بالأهالي بادئ ذي بدء، وحصلت على الإذن من معظمهم للسماح للشرطة، وبالتعاون مع وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال في ريكيافيك، بجمع معلومات هامة. وشدّدت على أن هذا الأمر لا يُراد منه إجراء استجواب حقيقي، بل جمع معلومات فقط. وأراد بعض الأهل الحضور أثناء إجراء مقابلةٍ مع أبنائهم، فوقفوا في الممر وعلى وجوههم أَمارات القلق. كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ يجلسون مع التلاميذ، كل بمفرده، في غرفة صف فارغة اختاراها لهذا الغرض.

التقى إرلندور المدير، وسأل بصفة خاصة عن مدرّس النِّجارة. لقد فهم أن إغيل - وعلى غرار مدرّس اللغة الأيسلندية - كان قد عبّر عن بعض الكراهية للنساء الآسيويات اللواتي هاجرن إلى أيسلندا. ورافق المديرُ - الذي كان يشعر بالإجهاد بسبب الإعداد للقاء الغداء مع ممثّل الشرطة - إرلندور

إلى غرفة النِّجارة. لم يكن هناك أحد. وعاد إرلندور إلى غرفة الهيئة التعليمية، وأُبلغ أن مدرّس النِّجارة ربما يكون جالساً في سيارته في موقف السيارات في الخارج. فقد كانت استراحةً طويلة، واعتاد المدرّس الخروج إلى سيارته أحياناً لتدخين سيجارة واحدة أو اثنتَين، كما قيل لإرلندور.

كان تحقيق الشرطة لا يزال يركّز على الجِوار المباشَر، والمدرسة، والمسكن. وكانت النتيجة أن معتدياً منتظماً يقيم في مجمَّع شقق سكنية غير بعيد من مجمَّع إلياس، كان قد تمّ استدعاؤه في تلك الليلة لاستجوابه، فهاجم ضبّاط الشرطة بسبب ثَمالته وأُودع السجن. وقُرابة الصباح، تمّ الحصول على مذكّرة تفتيش لشقته، ولكن لم يُعثَر على ما يمكن ربطه بمقتل إلياس. واستجوبت الشرطة أيضاً العديد من المشتبَه بهم المعتادين الذين يمكن ربطهم منطقياً بعمليات الطعن؛ مثل جُباة الدُّيون، والأشخاص الذين اختارتهم الشرطة بسبب تشاجرهم مع مهاجرين، لا بل بعض السيّاح أيضاً.

لم يكن نيران قد تفوّه بأية كلمة منذ أن تم العثور عليه. كان عالِم نفسٍ للأطفال، وعاملة اجتماعية من وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال قد استُدعيا في تلك الليلة، ولكن نيران بقي ملفوفاً ببطانية، ولم يقل شيئاً مهما تمّ حثّه على ذلك. لقد سُئل تكراراً عن مكان وجوده في ذلك اليوم، وعما إذا كان قد علِم بمصير شقيقه وبما حدث له، ومن يمكن أن يكون قد قام بالأمر، ومتى رأى شقيقه للمرة الأخيرة، وما تحدثا عنه. وفيما كانت كل هذه الأسئلة تنصبّ عليه، ولا سيما من والدته، لم يفتح نيران فمه مطلقاً، بل جلس بصمت ملتفّاً ببطانيته، ومحدّقاً بالفراغ. لقد بدا الأمر كما لو أنه انسحب إلى عالم مُغلَق، إلى ملجأ لا يعرفه أحد سواه.

في النهاية، طلب إرلندور من الجميع المغادرة، وعاد إلى منزله، تاركاً سوني ونيران بسلام. كانت سيغريدور قد غادرت حينذاك، وقصدت المترجمة منزلها أيضاً، ولكن شقيق سوني بقي مع الوالدة والابن في الشقة.

لم يبدُ أن الجميع يعرفون بوجود حبيب لدى سوني. كانت غودني قد أخبرت إرلندور بأن لا فكرة لديها عما يتكلّم عنه؛ إذ لم يسبق لها أن سمعت أي ذِكر للرجل، وحماة سوني السابقة تجهل الأمر أيضاً. لم يتلقَّ رداً إيجابياً إلا عندما سأل شقيق سوني، فيروت. كان يعلم بوجود رجل في حياة شقيقته، ولكن العلاقة لم تستمر طويلاً، وقال إنه لم يلتقِ الرجل مطلقاً، ولم يعرف من هو. غير راغبٍ في إزعاج سوني الآن وقد استعادت نيران، طلب إرلندور من فيروت أن يسألها عن تفاصيل تتعلق بالرجل، وأن

يتصل به حين يعرف الإجابات. ولم يكن قد اتصل به بعد.

عثر إرلندور على السيارة الفضية لمدرّس النِّجارة. فقرع على نافذة السائق، وأنزل الرجل النافذة نحو الأسفل، فخرجت سحابة دخان سجائر إلى هواء الشتاء.

«هل يمكنني الانضمام إليك؟». سأل إرلندور. «أنا من الشرطة».

نخر مدرّس النِّجارة، وأومأ برأسه بتردد كما لو أنه يشك في إمكانية تفادي التحدث إلى إرلندور. من الواضح أنه يكره التعرّض للإزعاج أثناء استراحة التدخين. فجلس إرلندور على مقعد الركاب بهدوء، وأخرج علبة سجائره.

«إغيل، أليس كذلك؟».

«أجل».

«هل تمانع إذا دخّنتُ أيضاً؟». سأل إرلندور، ملوِّحاً بسيجارة.

فظهر تجهّم على وجه إغيل، ووجد إرلندور صعوبة في تفسيره.

«لا وجود للسكينة في أي مكان». قال مدرّس النِّجارة.

أشعل إرلندور سيجارته، وجلس الرجلان صامتَين لفترة قصيرة، ومستمتعَين بالتدخين.

«أنت هنا لأجل الفتى بالطبع». قال إغيل أخيراً. كان رجلاً ضخم البنية، وسميناً، في الخمسين من العمر تقريباً، ولم يكن يجلس على مقعد السائق بشكل مريح. كما كان عريض العظام، وأصلع. ولديه أنف كبير، وعظمتا خدَّين عاليتان وناتئتان، ولحية. وعندما ترفع يده الضخمة السيجارة إلى فمه، يختفي فمه خلف يده تقريباً. في أعلى رأسه الأصلع، وفي اتجاه الأمام، نُتوء كبير زهريّ اللون كان إرلندور يسترق النظر إليه من حين لآخر عندما يعتقد أن إغيل لن يلاحظ ذلك. لقد لفت النُّتوء انتباهه، ولم يعرف السبب.

«هل كان جيداً في النِّجارة؟». سأل إرلندور.

«أجل، بشكل معقول». قال إغيل، مادّاً كفّه الكبيرة لإطفاء سيجارته في مِنفضة السجائر. «هل تملك أية فكرة عما حدث؟».

«لا، البتة». قال إرلندور، «باستثناء أنه طُعن قرب المدرسة هنا».

«تؤول هذه المؤسسة إلى التافهين». ونخر إغيل. «لا يمكنك القيام بأي شيء حيال ذلك. هل هي ميزة أيسلندية على نحو فارِق، أن نكون متهاونين إلى هذا الحد مع المجرمين؟ هل يمكنك أن تقول لي ذلك؟».

لم يكن إرلندور واثقاً مما يعنيه المدرّس.

«قرأتُ في الصحف منذ بضعة أيام عن قيام بعض المغفَّلين باقتحام منزل أحدهم، وجَبْي دَينٍ زهيد، محطّمين المكان، ومشوّهين المالك. لقد قُبض عليهم بالجُرم المشهود، ولكن أُطلق سراح العصابة بأكملها بعد الاستجواب! أي نوع من الهُراء هو ذلك بأية حال؟».

«لم...».

لم يتمكن إرلندور من متابعة كلامه، إذ قاطعه إغيل قائلاً:

«كان ينبغي عليهم إلقاء القبض على أولئك الرجال ورميهم في السجن على الفور. عندما يُلقى القبض على المجرمين بالجُرم المشهود أو يعترفون، ينبغي إصدار حكم قضائي بحقهم على الفور. ولا يُفترض بهم رؤية ضوء النهار حتى يقضوا عشر سنوات على الأقل في الداخل. ولكنكم أطلقتم سراحهم كما لو أن شيئاً لم يحدث. أليس من المفاجئ أن يذهب كل شيء هنا إلى الجحيم؟ لماذا تصدر على الدوام بحقّ المُعتدين المنتظمين أحكام قضائية خفيفة على نحو مثير للسخرية؟ ما هو العامل في مجتمعنا الذي يُنتج هذا السلوك المُذعن تجاه المجرمين؟».

«إنه القانون». قال إرلندور. «وهو يحكم على الدوام لصالح تلك المجموعة من الناس».

«غيِّروه إذاً». قال إغيل غاضباً.

«علمت أنك ضد المهاجرين أيضاً». قال إرلندور، معتاداً على سماع تنديدات بالأحكام القضائية المتساهلة في أيسلندا، وبمعاملة المجرمين بطريقة رَحومة على نحو غير مألوف.

«من يقول إنني ضد المهاجرين؟». سأل إغيل بصوت متفاجئ.

«لا أحد بشكل خاص». قال إرلندور.

«هل يُقال ذلك بسبب الاجتماع الذي تم منذ بضعة أيام؟».

«أي اجتماع؟».

«لقد تجاوزتُ الحدود الطبيعية بانحيازي إلى جوناس هالغريمسون. ففي اجتماع للأهالي في إحدى السنوات هنا، كان أحدهم قد اقترح غناء أبياتٍ قليلة من قصيدته «أيسلندا، أرض مزدهرة» مع الصغار. فتعلّموا القصيدة. أحياناً، يعلّمون القليل من الكلمات ذات المعنى في هذه المدرسة. في ما بعد، شرع ثنائيّ من الأهالي بانتقاد الفكرة، قائلَين إن المدرسة مؤسسة متعددة الثقافات. كما لو أن غناء أغانٍ أيسلندية تصرّف عِرقي. وحدث جدال محدود، وتجرّأتُ على السؤال عما إذا كان ذانك الشخصان ضعيفي العقل. أعتقد أنني استخدمتُ هذه الكلمات بالتحديد. بالطبع، شكاني

بعضهم للمدير، وشعرتُ بأنني كنت فظاً. كان المُسنّ المسكين يرتجف عندما كلّمني في هذا الشأن. فطلبتُ منه أن يمضي قُدُماً ويطردني. لقد درّستُ هنا طوال أكثر من ربع قرن، وأرحّب بقيام شخص ما يتمتع بما يكفي من اللطف بطردي؛ فأنا لا أتمتع بالجرأة لإخراج نفسي من هنا».

وظهرت سيجارة أخرى في يد إغيل الضخمة، وعندما ألقى إرلندور نظرة سريعة على النُّتوء في رأسه الأصلع، بدا أن النُّتوء يحمرّ. لقد اعتبر أن الأمر دلالة على شعور إغيل بالغضب لدى تفكيره في اجتماع الأهالي ذاك، أو ربّما لأنه شعر أنه أضاع ربع قرن في تدريس النِّجارة في المدرسة.

«لا شيء لديّ ضد المهاجرين». قال إغيل مُشعلاً سيجارته. «ولكنني ضد تغيير كل ما هو تقليدي وأيسلندي؛ لا لشيء إلا للانقياد وراء ما يدعى تعددية الثقافات، في حين أنني لا أعرف معنى الكلمة. أنا ضد المحافظين أيضاً. وأنا أيضاً ضد اضطراري للجلوس هنا في الخارج في هذه السيارةِ الأَنقاضِ للتدخين. ولكن، ماذا يمكنني أن أقول؟».

«هناك ما يحملني على الاعتقاد بأن في الأمر أكثر من مجرّد قصيدة». قال إرلندور. «لقد أبديتَ ملاحظات حول نساء آسيويات يزعجن الناس. وإذا لم أُخطئ الفهم، لقد عبّرتَ عن كراهية قوية تجاه أولئك النساء الآسيويات القادمات إلى أيسلندا».

قُرع الجرس دلالةً على انتهاء فترة الاستراحة، وشرع التلاميذ بالعودة إلى داخل مبنى المدرسة. وبدلاً من التحرك، بقي إغيل مسمَّراً في مكانه، مبتلعاً الدخان السام الذي تطلقه سيجارته.

«كراهية قوية!». قلّد إرلندور. «لا شيء لديّ ضد المهاجرين! بدأ أولئك التافهون بمجادلتي، فأخبرتهم بوجهة نظري. لا يزال يُسمح لنا بالتعبير عن آرائنا على الأقل. قلت إن الأمر مُريع برأيي، أعني الظروف التي تحيط بقدوم العديد من أولئك النساء إلى أيسلندا. يبدو بصورة عامة أنهنّ تهربنَ من الفَقر المروِّع ويعتقدنَ أن باستطاعتهنّ العثور على حياة أفضل هنا. قلت شيئاً ما من هذا القَبيل، ولم أنتقد أولئك النساء. أحترم الاتكال على النفس بأي شكل من الأشكال، وأعتقد أنهنّ يتدبّرنَ أمورهنّ بصورة جيدة في أيسلندا».

متنحنحاً، مدّ إغيل يده إلى الأمام بصعوبة في اتجاه المِنفضة وأطفأ سيجارته.

«أعتقد أن هذا الأمر ينطبق على كل الأشخاص من كل الأعراق الذين يأتون للاستيطان في أيسلندا. ولكن ذلك لا يعني أنه لا يُفترض بنا

الافتخار بالثقافة الأيسلندية والترويج لها في كل مكان، ولا سيما في المدارس. بالعكس، أعتقد أنه كلما ازداد عدد المهاجرين في هذا البلد، تعيّن علينا بذل المزيد من الجهد لتعريفهم إلى إِرثنا، وتشجيع كل من يريد القدوم والعيش هنا في البَرْد على عدم رفض الأمر بدون تفكير. ينبغي علينا دعم التعليم الديني وليس التخلي عنه كما لو أنه أمر يُشعرنا بالحرَج. قلت ذلك للأشخاص الذين يمجّدون المجتمع متعدد الثقافات. برأيي، إن أولئك الذين يريدون العيش هنا ينبغي السماح لهم بذلك، ويُفترض بنا مساعدتهم بكل طريقة ممكنة، ولكن ذلك لا يعني أن نُضطر لفقدان لغتنا وثقافتنا الأيسلندية».

«ألم يكن يُفترض بك...».

«بالتأكيد، في الحد الأدنى المُطلق، يجب السماح لنا بتطوير ثقافتنا الخاصة حتى لو انتقل أشخاص من جنسيات أخرى إلى هنا».

«ألم يكن يُفترض بك العودة إلى صفك منذ مدة طويلة؟». سأل إرلندور عندما تمكن أخيراً من مقاطعة حديث طويل. لم يلاحظ إغيل، كما يبدو، انتهاء فترة الاستراحة منذ مدة طويلة.

«لا صف لديّ الآن. أوافق تماماً على أن المجتمع يتغيّر، وعلينا التجاوب منذ البداية بشكل صحيح وبطريقة إيجابية. من السهل التدخل وإطلاق آراء اعتباطية. ولكن، يُفترض بالجميع الحصول على الفُرص نفسها، وإذا كان أبناء الأجانب يواجهون متاعب إضافية في تحصيل العِلم، إذاً يجب معالجة الأمور بالشكل الصحيح. فليبدأوا من روضة الأطفال. بأية حال، أجادل قليلاً في الاجتماعات. هناك الكثير من الأمور البديهية الأخرى التي يتعيّن أخذها بعين الاعتبار هنا عندما يُطعَن الصّغار».

«أقوم بجمع المعلومات، هذا هو عملي. هل كانت هناك أي علاقة بينك وبين الشقيقَين، إلياس ونيران؟».

«لا، لا شيء مميَّز. لم ينتسبا إلى المدرسة منذ مدة طويلة. أعتقد أنهما انتقلا إلى هذا الجزء من المدينة في الربيع، وانتهى بهما الأمر هنا في الخريف. لقد درّستُ إلياس؛ أفترض أن المرة الأخيرة كانت يوم أمس الأول. كان الفتى بارعاً بيدَيه. لا نقوم بمهام معقَّدة في تلك السنّ؛ نَشْر فقط وذلك النوع من الأمور».

«هل كان محبوباً في صفّه؟».

«بقَدْر ما أملك من معلومات وفقاً لمشاهداتي. كان يعامَل كغيره من التلاميذ».

«هل بلغك أي نبأ عن وقوع صِدامات بين التلاميذ المهاجرين والآخرين؟». سأل إرلندور.

«لا يحدث الكثير من الأمور المماثلة». قال إغيل، ممرّراً أصابعه على لحيته. «عِلماً أن بعض الزُّمَر تتشكل. لا أحب مدرّس اللغة الأيسلندية ذاك، جارتان. أعتقد أنه يتسبب باحتكاكات بين الطلاب في هذا المجال. إنه شبه مخبول. اضطر للتخلّي عن ممارسة كرة اليد عندما كاد يبلغ القمة. يمكن لهذا النوع من الأمور أن يُخِلّ بتوازن الناس. ولكن ينبغي عليك التحدث إليه في هذه القضايا؛ فهو يعرف عنها أكثر مني».

ولزما الصمت. كان الملعب هادئاً.

«إذاً، هل كل شيء يذهب إلى الجحيم؟». سأل إرلندور أخيراً.

«أخشى ذلك».

وجلسا لبعض الوقت في سيارة مليئة بالدخان، ومن ثم شرع إرلندور بالتفكير في سيغوردور أولي الذي كان ذات مرة تلميذاً في المدرسة. لقد خطر بباله أن يسأل إغيل. كان على مدرّس النِّجارة التفكير مليّاً، وبطريقة استعراضية، قبل أن يتذكر الفتى الذي كان هناك قبل كل تلك السنوات.

«ما يمكنك وما لا يمكنك تذكّره عن أولئك الصغار أمر مذهل». قال إغيل. «أعتقد أن والده كان سَمكرياً».

«والده سمكري؟!». قال إرلندور. لم يكن يعرف شيئاً عن سيغوردور أولي باستثناء ما رآه منه في العمل، عِلماً أنهما كانا يحققان معاً في جرائم طوال سنوات، ولم يناقشا حياتهما الخاصة مطلقاً، وكانا راضيَين بعدم مناقشتها. هذا على الأقل هو القاسم المشترك بينهما.

«وكان مناصراً متعصباً للشيوعية». أضاف إغيل. «كان يجتذب القليل من الانتباه في تلك الأيام لأنه يشارك على الدوام في اجتماعات الأهالي والمناسبات المدرسية. فرؤية الآباء مع صغارهم في المدرسة كانت أمراً استثنائياً. كان يظهر على الدوام، ذلك التافه المُسنّ، ويُلقي خُطَباً طويلة عن المحافظين اللعينين».

«ماذا عن الوالدة؟».

«لم أرَها مطلقاً». قال إغيل. «اعتادوا مناداته بشيء ما، ذلك الرجل المُسنّ. تعبير مرتبط بالعمل السَّمكري. شقيقي سَمكري وسيعرف الاسم على الفور. بمَ كانوا يدعونه؟».

ألقى إرلندور نظرة جانبية سريعة إلى النُّتوء الأحمر. كان يعود إلى الظهور بوضوح مرة أخرى.

«لماذا لا يمكنني تذكّر ذلك؟». قال إغيل.

«لستُ بحاجة لمعرفة الجواب». قال إرلندور.

«أجل. الآن أتذكّر. كانوا يدعونه بِرمافلاش».

كان فينور، مدرّس الصف الثالث، جالساً في غرفة الهيئة التعليمية يضع علامات لتلاميذه الذين يحضرون حصة في الموسيقى عندما أزعجته إيلينبورغ. لقد أطلعتها سكرتيرة المدرسة على المكان الذي يمكنها العثور فيه عليه.

«علمت أنك تورّطتَ في شجار مع مدرّس آخر هنا يدعى جارتان». قالت إيلينبورغ بعد التعريف بنفسها.

«المودة غير مفقودة بالتأكيد بين جارتان وبيني». قال فينور الذي كان في أوائل العقد الرابع من العمر، ونحيلاً، ولديه كتلة كثيفة من الشعر القاتم، ويرتدي سترة صوفية ناعمة وسروال جينز.

«ماذا حدث؟».

«هل تحدّثتِ إليه؟».

«أجل. قام زميلي بذلك».

«وماذا أيضاً؟».

«لا شيء. ماذا حدث؟».

«جارتان مغفَّل». قال فينور. «لا يُفترض السماح له بالتدريس. ولكن هذا رأيي فحسب».

«هل أبدى ملاحظة من نوع ما؟».

«يقوم بذلك على الدوام. ولكنه يحرص على عدم الذهاب بعيداً جداً لأنه سيجازف عندئذٍ بفقدانه وظيفته في هذه المدرسة. وهو ليس جباناً».

«ماذا قال؟».

«يتعلق الأمر بالمهاجرين؛ أبناء المهاجرين. لا أعتقد أن للأمر أية علاقة بهذا الحادث المأساوي». وتردد فينور. «أدركتُ أنه كان يحاول إغاظتي. أعتقد أنه لا بأس بانتقال أشخاص من بلدان أخرى إلى هنا، ولا أُبالي البتة بقدومهم ما داموا غير مجرمين. لا يهمّ إذا كانوا من أوروبا أو آسيا؛ فنحن بحاجة إليهم لإثراء ثقافتنا. يريد جارتان إغلاق البلد في وجوه المهاجرين. لقد تجادلنا حول هذا الأمر كالعادة، ولكنه كان سريع الغضب بشكل استثنائي».

«متى حدث ذلك؟».

«صباح أمس. ولكننا نتجادل على الدوام. ونكاد لا نلتقي في هذه

الأيام من دون الاحتدام غيظاً».

«هل تحدث صِدامات بينكما بشكل متكرر؟».

فأومأ فينور برأسه.

«في العادة، يكون المدرّسون من الأشخاص الذين يدعون إلى المساواة إلى حد كبير، ولا يريدون فهم أي شيء آخر. فهم يهتمون بالتلاميذ، ويحرصون على عدم وجود أي تمييز من أي نوع. نحن نفتخر بذلك. إنه أمر مهمّ بالنسبة إلينا في الواقع».

«ولكن جارتان استثناء؟».

«هو لا يُطاق البتة. ينبغي عليّ التقدم بشكوى ضده لدى وزارة التربية. لا مصلحة لنا بتوظيف مدرّسين مثله».

«هل...». استهلّت إيلينبورغ كلامها فقاطعها فينور قائلاً:

«ربما يحدث ذلك بسبب شقيقي، فزوجته من تايلاندا. لهذا السبب، يستهدفني جارتان على الدوام. التقى شقيقي امرأة في تايلاندا منذ ثماني سنوات. لديهما ابنتان. إنهم أفضل أشخاص التقيتُهم يوماً. لذلك، ربما يكون لديّ امتياز. لا يمكنني تحمّل طريقة كلامه وهو يعرف ذلك».

10

رنّ هاتف إرلندور المحمول أثناء خروجه من سيارة إغيل. إنها غودني المترجمة التي عادت إلى شقة سوني. كان إرلندور قد طلب منها أن تكون رَهن إشارة سوني ليلاً ونهاراً، وأن تتصل به إذا حدث أي شيء. لقد أبلغته أن نيران استيقظ بعد ليلة قاسية، ولم تتبدّل حالته، إذ لا يزال رافضاً التحدّث إلى أحد. لقد أصرّت سوني على تركه بمفرده، ولم ترغب في وجود أي خبير قربه. لم تشأ قيام أي زوّار مماثلين، أو ضباط شرطة، بالدخول والخروج من الشقة. فقال إرلندور إنه سيزورهم قريباً، وأنهيا المكالمة الهاتفية.

كانت إيلينبورغ وسيغوردور أولي لا يزالان يجمعان معلومات من رفاق إلياس في الصف عندما عاد إرلندور إلى المدرسة؛ فراقبهما لبعض الوقت. كان التلاميذ يشكون بعضهم بعضاً كما يبدو، ولكن هذه الشكاوى لم تشمل إلياس مباشَرةً. لقد أزعج أحدهم فتاتَين، وأُبقي آخر خارج مباراة كرة القدم، ورمى فتى كرة ثلج على ساق فتى آخر بقسوة لدرجة أنه جعله يبكي، ولكنه ليس إلياس. نظر سيغوردور أولي إلى إرلندور، وقام بإيماءة ليُفهمه أن الأمر يتطلب وقتاً. لقد رُوِّع التلاميذ بوفاة إلياس، وكان بعضهم يبكون.

اتصل إرلندور برئيس فريق المخدرات وطلب منه التحقيق في أية جُنَح مرتبطة بالمخدرات ارتُكبت في الجِوار ويمكن أن تكون مرتبطة منطقياً بملعب المدرسة.

لقد بدا المدير مضطرباً وشاحباً؛ كما لو أنه لم ينم جيداً في الليل، وينتظر أمام مكتبه أشخاصٌ من رابطة الأهل، إضافةً إلى أفراد من الشرطة سيخاطبون التلاميذ في قاعة الاجتماعات عند موعد الغداء. احتشدوا جميعاً حول المدير الذي فقد السيطرة على الوضع تماماً كما يبدو؛ إذ بدت المسألة كبيرة جداً ليتمكن من التعاطي معها. وظهرت سكرتيرته وأعلمته باتصالات هاتفية طارئة يتعيّن عليه الرد عليها، ولكن المدير لوّح لها طالباً منها المغادرة. فنظر إرلندور إلى المجموعة وتراجع، وتبع السكرتيرة ليعرف منها أين يمكنه العثور على مدرّس نيران.

نظرت السكرتيرة إلى إرلندور الذي كان يرتعش أمامها.

«هل هناك شيء آخر؟». سألت.

«هل يمكنك اعتبار هذه المدرسة مدرسة متعددة الثقافات؟». سأل

إرلندور أخيراً.

«يمكنك قول ذلك». قالت السكرتيرة. «أكثر من عشرة بالمئة من التلاميذ ليسوا من أصل أيسلندي».

«وهل الناس سعداء بهذا التدبير عادةً؟».

«هو ناجح جداً».

«أليست هناك مشاكل معيَّنة في هذا الصدد؟».

«لا شيء يستحق الذكر، لا أعتقد ذلك». أضافت بطريقة اعتذارية كما يبدو.

بدت مدرّسة نيران التي كانت تناهز الثلاثين من العمر مصدومة بوضوح - على غرار الجميع - لنبأ قتل إلياس. كان هناك نقاش قد بدأ في وسائل الإعلام عن وضع المهاجرين ومسؤولية المجتمع، ودُعي عدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من الخبراء ليتحدّثوا عن كل المكاسب التي تحققت، وما يجب القيام به لتفادي تكرار هذا الحادث. لقد حاولوا الإنحاء باللائمة على جهة ما: لو أن النظام أهمل المهاجرين، فهل يكون ما جرى هو الطرفَ المستدقّ للإسفين؟ وكان هناك حديث عن وضع تفسير للتوترات العِرقية المحتدمة، وعن الحاجة إلى ردٍّ من خلال نقاش عام ومن خلال التربية، وعن استخدام النظام المدرسي بشكل أفضل للفت الانتباه إلى التعصّب، وإظهار أشكاله، وإزالته.

كان التدريس جارياً في صف نيران عندما قرع إرلندور الباب، فاعتذر عن الإزعاج. وابتسمت له المدرّسة ابتسامة ضعيفة، مُدركةً سبب الزيارة على الفور، وطلبت منه الانتظار قليلاً. بعد فترة وجيزة، تبعته إلى الممر، وعرّفت بنفسها باسم إيدا برا، واختفت يدها الصغيرة في راحة يد إرلندور عندما تصافحا. كان شعرها قصيراً، وكانت ترتدي كنزة صوفية سميكة وسروال جينز، وعلى وجهها أَماراتُ الجِدِّيّة.

«لا أعرف ماذا يجب أن أقول عن نيران». قالت بدون تمهيد؛ كما لو أنها كانت تتوقع زيارة الشرطة لها عاجلاً أم آجلاً، أم إنها ربما كانت على عجَلة من أمرها ببساطة. كان صفّها في انتظارها.

«يكون التعامل مع نيران صعباً أحياناً، ويتعيّن عليّ الانتباه له بصفة خاصة». تابعت. «يكاد لا يُجيد كتابة اللغة الأيسلندية، ولا يتكلمها جيداً، لذلك يصعب التواصل معه. يُنجز القليل من فروضه المنزلية، أو لا يُنجزها أبداً، ويبدو غير مهتم البتة بالدراسة. لم أدرّس شقيقه مطلقاً، ولكنني أعرف أنه كان شديد اللطف. نيران مختلف، إذ باستطاعته الحصول على دعم

الفتيان الآخرين، وخوض صِدامات. جرى الصِّدام الأخير يوم أمس الأول. أعرف أنه يصعب على التلاميذ تغيير مدارسهم، وقد عانى من أوقات عصيبة منذ البداية».

«قدِم إلى هذا البلد في سنّ التاسعة، ولم يتمكن مطلقاً من الانسجام بالشكل المناسب». قال إرلندور.

«ليس الوحيد الذي يواجه هذه المشكلة. قد يكون الأمر صعباً على من يأتون إلى هنا ويكونون أكبر سنّاً منه؛ لأنهم لا يستطيعون التواصل مع أي كان».

«ماذا حدث يوم أمس الأول؟».

«ربما يُفترض بك التحدث إلى الفتى الآخر».

«هل هو فتى في صفّه؟».

«كان التلاميذ يتحدثون عن الأمر هذا الصباح». قالت إيدا. «يأتي هذا الفتى بالذات من منزل غير مستقرّ، ويتسبب بالمتاعب في الملعب. لقد أظهر وبعض الفتيان الآخرين شرّاً لنيران وأصدقائه. تحدّثْ إليه، اكتشفْ ما لديه ليقوله، فهو لا يخبرني بكل شيء أبداً. يدعى غودموندور، غومي باختصار».

عادت إيدا إلى داخل غرفة صفها، وخرجت بعد قليل مع فتى جعلته يقف أمام إرلندور. لقد تركت صرامتها أثراً قوياً في نفسه؛ فهي لا تضيّع أي وقت بثرثرة عقيمة، كما أنها يقظة على الدوام، وتعرف كيفية المساعدة بأفضل الطرق.

«قلتِ لي إنني سأستعيد هاتفي المحمول». تأوّه الفتى ناظراً إلى إرلندور.

«إنه الشيء الوحيد الذي يفهمه هؤلاء الصغار». قالت إيدا لإرلندور. «لم أشأ الصياح أمام الصف بأكمله بأن عليه التحدّث إلى الشرطة، وإلاّ لَخرجت الأمور عن نصابها في الوضع الحالي. أَعلمني إذا كنت بحاجة إلى أي شيء آخر». أضافت، ومن ثم عادت إلى غرفة الصف.

«هل أنت غومي؟». قال إرلندور.

فرفع الفتى نظره إليه. كانت شفته العُليا متورّمة قليلاً وأنفه مخدوشاً. كان أكبر من سنّه، وأشقر الشعر، وتشعّ عيناه بارتياب عميق.

«هل أنت شرطي؟». سأل.

فأومأ إرلندور برأسه، واصطحب الفتى إلى وراء جدار فاصل حيث توجد عدة أجهزة كمبيوتر على طاولة طويلة. أسند إرلندور نفسه إلى حافة

الطاولة، وجلس الفتى على كرسيّ أمامه.

«هل تحمل شارة شرطي؟». سأل غومي. «هل يمكنني رؤيتها؟».

«لا أحمل شارة. أعتقد أنك تتكلم عما يحمله رجال الشرطة في الأفلام السينمائية. بالطبع، ليسوا رجال شرطة حقيقيين. هم مجرّد أشخاص عديمي الفعالية في هوليوود».

فحدّق غومي بإرلندور كما لو أن سمعه خذله للحظات.

«ماذا حدث بينك وبين نيران يوم أمس الأول؟». سأل إرلندور.

«ما شأنك؟». استهلّ غومي كلامه بصوت ملؤه الارتياب نفسُه الذي يشعّ من عينَيه.

«أنا فُضوليّ ليس إلا. لا خطورة في الأمر. لا تقلق حيال ذلك».

تابع غومي المراوَغة.

«لقد هاجمني». قال أخيراً.

«لماذا؟».

«لا أعرف».

«هل هاجم شخصاً آخر؟».

«لا أعرف. لقد هاجمني فحسب».

«لماذا؟».

«لا أعرف». كرر غومي.

فكر إرلندور مليّاً، ثم وقف وحدّق من فوق الجدار الفاصل، ومن ثم جلس ثانيةً. لم يشأ أن يُعيقه غومي لمدة طويلة.

«هل تعرف ما يحدث للصغار الذين يكذبون على الشرطة؟». قال.

«أنا لا أكذب». قال غومي، واتسعت عيناه بمعدل الضعف.

«نستدعي أهلهم على الفور، ونشرح لهم أن أبناءهم كذبوا على الشرطة، ومن ثم نطلب من الأهل اصطحاب أبنائهم إلى مركز الشرطة لتقديم إفادة، ونتخذ قراراً في شأن المكان الذي سنتوجه إليه من هناك. لذلك، إذا كنت حرّاً بعد المدرسة، فبإمكاننا اصطحابك مع والدتك ووالدك...».

«ثار من شدة الغضب عندما ناديتُه بذلك الاسم».

«ناديته بأي اسم؟».

كان غومي لا يزال يراوغ. وبعد ذلك، بدا كما لو أنه يقوّي عزيمته.

«دعَوتُه وجه الغائط. لقد أطلق عليّ أسماء أسوأ بكثير». أضاف بسرعة.

فتجهّم وجه إرلندور.

«هل أنت متفاجئ لأنه هاجمك؟».

«إنه مغفّل!».

«وأنت لا؟».

«إنهم لا يدَعونك وشأنك أبداً».

«من هم؟».

«أصدقاؤه التايلانديون والفيليبينيون. هم يتسكعون وراء الصيدلية».

وتذكّر إرلندور ما ذكرته إيلينبورغ عن رؤية مجموعة من الفتيان بجانب الصيدلية عندما كانت تَعرض لتفاصيل القضية في سيارته في المساء السابق.

«هل هي عصابة؟».

فتردد غومي، وانتظر إرلندور. كان يعلم أن غومي يفكّر مليّاً في ما إذا كان سيروي الأمور كما هي فيتخذ إرلندور جانبه، أم سيدّعي عدم معرفته أي شيء ويقول لا فقط ويأمل أن يتخلى ضابط الشرطة عن متابعة التحقيق.

«لم يجرِ الأمر على هذا الحال». قال غومي أخيراً. «هم من بدأوا بالأمر».

«بدأوا بماذا؟».

«بتحدّينا».

«تحدّيكم!».

«يعتقدون أنهم أفضل منا وأكثر أهمية؛ أكثر أهمية منا نحن الأيسلنديين لأنهم قادمون من تايلاندا والفيليبين وفييتنام. يقولون إن كل شيء هناك أفضل، وأرفع شأناً».

«وهل تقاتلتم؟».

بدلاً من الإجابة، حدّق غومي بالأرض.

«هل تعرف بما حدث لإلياس، شقيق نيران؟». سأل إرلندور.

«لا». قال غومي، وكان لا يزال مطأطئ الرأس. «لم يكن معهم».

«كيف شرحت لوالدَيك عن الإصابات في وجهك؟».

فرفع غومي نظره.

«إنهما لا يقولان أي شيء».

وظهر سيغوردور أولي وإيلينبورغ في الممر، فأشار إرلندور لغومي طالباً منه الذهاب. وراقبوه وهو يُغلق باب غرفة الصف وراءه.

«هل توصلتما إلى أي شيء؟». سأل إرلندور.

«لا». قالت إيلينبورغ. «عِلماً أن أحد الفتيان قال إن جارتان، مدرّس اللغة الأيسلندية ذاك، كان «وغداً». لقد تكوّن لديّ انطباع بأنه يتسبب بالمتاعب على الدوام، ولكنني لم أعرف كيف بالتحديد».

«كل شيء رائع بالنسبة إليّ». قال سيغوردور أولي.

«رائع!». زمجر إرلندور. «هل يتعيّن عليك التحدث كغبيّ على الدوام؟».

«ماذا...؟».

«لا شيء رائع في أيٍّ من هذا!».

كانت التجهيزات الطبية تُصدر إشارة صوتية في فواصل زمنية منتظمة في أحد الأجنحة، وعدا ذلك، كان الهدوء يسود الغرفة حيث يستلقي ماريون برايم على شفير الموت. وقف إرلندور قرب السرير، ناظراً إلى المريض. كان ماريون يبدو نائماً، وقد تحوّل وجهه إلى كتلة عظام؛ فعيناه غائرتان، وبشرته شاحبة وذابلة، ويداه فوق اللحاف الطريّ، وأصابعه نحيلة، وأظافره طويلة وغير مقلَّمة. كانت أصابعه صفراء من جراء التدخين، فيما الأظافر سوداء. لم يأتِ أحد لزيارة ماريون المستلقي في جناح المصابين بأمراض مميتة منذ عدة أيام. لقد سأل إرلندور عن هذا الأمر بصفة خاصة. لن يأتي أحد إلى الجنازة أيضاً على الأرجح، فكر في سرّه. فماريون يعيش بمفرده، وطالما فعل ذلك، ولم يرغب قط في أن يكون الأمر مختلفاً. أحياناً، عندما يرى إرلندور ماريون، تتحوّل أفكاره إلى مستقبله الذي تغمره الوَحدة والعُزلة.

لقد بدا ماريون - ولمدة طويلة من الزمن - كما لو أنه يلعب دور ضمير إرلندور، غير مُتعَب من التساؤل عن حياته الخاصة؛ ولا سيما عن الطلاق وعلاقته بابنٍ وابنة تركهما وراءه ولا يعتني بهما. كان إرلندور الذي يكنّ بعض الاحترام لماريون يتضايق من هذا التجسس، وغالباً ما تنتهي أحاديثهما بكلمات قاسية وأصوات مرتفعة. فماريون يطالب بحقه بجزء من إرلندور، ويدّعي أنه هو من وجّهه بعد انضمامه إلى دائرة التحقيقات الجنائية في ريكيافيك. كان ماريون رئيس إرلندور، وقد لقّنه مبادئ المهنة في سنواته الأولى.

«ألن تقوم بأي شيء حيال ابنك وابنتك؟». كان ماريون قد سأله ذات مرة بنبرة واعظة.

كانا واقفَين في شقة سُفلية مُظلمة حيث أمضى ثلاثة صيادي أسماك أسبوعاً كاملاً من المرَح، ومن ثم دخلوا في صِدام، فسحب أحدهم سكيناً

وطعن رفيقه ثلاث مرات بعد أن وجّه الأخير ملاحظاتِ تحقير تتناول حبيبته. غُمر مسرح الجريمة بالدماء، ونزف الرجل عملياً حتى الموت أثناء مواصلة الآخرَين احتساء الشراب. وعبر نافذة الطابق السفلي، رأت امرأة تقوم بتسليم الصحف رجلاً غارقاً في دمه، فاتصلت بالشرطة. لقد أُغمي على الرجلَين الآخرَين بسبب الثَّمالة، ولم يكونا يملكان أية فكرة عما حدث عندما استيقظا. نُقل الرجل إلى المستشفى على عَجَل، ولكنه توفِّي بسبب جراحه. وأُلقي القبض على رفيقَيه.

«أعمل على ذلك». قال إرلندور ناظراً إلى بِركة الدم على الأرض. «لا يُقلقنّك الأمر».

«على أحدهم أن يقلق». قال ماريون. «لا يمكنك الشعور بأنك بخير في ظل الظروف الحالية».

«لا شأن لك في كيفية شعوري». قال إرلندور.

«هذا من شأني إذا كان يؤثّر في عملك».

«إنه لا يؤثّر في عملي. سأحلّ المسألة. لا يُقلقنّك الأمر».

«هل تعتقد أنهما سيعنيان لك أي شيء ذات يوم؟».

«من؟».

«ابنك وابنتك».

«رجاءً، دَعك من ذلك». قال إرلندور محدّقاً بالدم على الأرض.

«ينبغي عليك التوقف قليلاً والتفكير في ذلك: كيف يصبح المرء بالغاً بدون والد؟».

كان السكين الملطَّخ بالدم على الطاولة.

«الأمر ليس مماثلاً للُغز جريمة». قال ماريون.

«نادراً ما يكون الأمر كذلك في هذه المدينة». قال إرلندور.

وقف إرلندور ناظراً إلى الجسد المنكمش على السرير، وعرف ما لم يعرفه آنذاك: كان ماريون يحاول مساعدته. كان إرلندور نفسه يفتقر إلى شرح مُرْضٍ لسبب تخلّيه عن ابنه وابنته عندما حصل على الطلاق، ولعدم قيامه بأي شيء تقريباً لطلب استعادتهما بعد ذلك. لقد طوّرت زوجته السابقة كُرهاً له، وأقسمت على عدم حصوله على ابنه وابنته أبداً، وإن ليوم واحد، ولم يُبدِ أية مقاومة للحصول على حقه ذاك. وعندما اكتشف حالة ابنه وابنته عندما بلغا سنّ الرشد، كان أسفه يفوق أي شعور سابق بالأسف.

فتح ماريون عينَيه ببطء، ورأى إرلندور واقفاً قرب سريره.

تذكّر إرلندور فجأةً كلمات والدته عن نسيبٍ مُسنّ من الفيوردات الشرقية كان على فراش الموت. كانت تزوره وجلست قرب سريره، وعندما عادت، قالت إنه بدا منكمشاً وغريباً.

«هلاّ... قرأتَ لي... يا إرلندور».

«بالطبع».

«قصتك»، قال ماريون. «و... قصة شقيقك».

لم يقل إرلندور شيئاً.

«أخبرتَني... ذات مرة أنها موجودة في... أحد كتب المِحَن تلك التي تقرأها دائماً».

«إنها كذلك». قال إرلندور.

«هلاّ... قرأتها... لي».

في تلك اللحظة، رنّ هاتف إرلندور المحمول، وراقبه ماريون. لقد اختارت إيلينبورغ نغمة الرنين هذه ذات يوم ماطر عندما كانا جالسَين في سيارة شرطة وراء محكمة المقاطعة، لمرافقة سجناء قَيد الاعتقال، إذ بدّلت نغمة الرنين في هاتفه إلى سيمفونية بيتهوفن التاسعة.

ملأت أُنشودة الفرح الغرفة الصغيرة في المستشفى.

«ما هذه الموسيقى؟». سأل ماريون، وكان في حالة من الخَبَل بسبب مسكّنات قوية.

تمكن إرلندور أخيراً من إخراج هاتفه المحمول من جَيب سترته وأجاب، فصمتت أنشودة الفرح.

«آلو». قال إرلندور.

كان بإمكانه سماع شخص ما على الطرف الآخر من الخط، ولكن أحداً لم يُجب.

«آلو». قال ثانيةً بصوت أعلى.

لا جواب.

«من المتصل؟».

كان على وشك إنهاء الاتصال عندما أنهى المتصل المكالمة.

«سأقوم بذلك». قال إرلندور مُعيداً هاتفه إلى جَيب سترته. «سأقرأ لك تلك القصة».

«آمل... أن يتم ذلك... في وقت قريب». قال ماريون. كان صوت المريض أجشّ ويرتجف قليلاً؛ كما لو أن الأمر يتطلب منه جهداً خاصاً لإصدار الصوت. «لا... مرح... في تكبّد عناء الانتظار».

فابتسم إرلندور. ورنّ هاتفه ثانيةً؛ أنشودة الفرح.

«أجل». قال.

لم يُجب أحد.

«إزعاج لعين». قال إرلندور بغضب. «من هناك؟». قال بفظاظة.

وبقي المتصل صامتاً.

«من هناك؟». كرر إرلندور.

«أنا...».

«أجل؟ آلو!».

«آه، يا الله، لا يمكنني القيام بذلك». همس صوت نسائي ضعيف في أُذُنه.

أجفل إرلندور بسبب اليأس الذي يكتنف الصوت. لقد اعتقد في بادئ الأمر أن ابنته هي المتصلة؛ لأنها اتصلت به من قَبل وكانت في ضائقة رهيبة وتصرخ طالبةً المساعدة. ولكنها ليست إيفا.

«من المتصل؟». قال إرلندور بنبرة أكثر لطفاً عندما سمع المرأة على الطرف الآخر تبكي.

«آه، يا الله...». قالت كما لو أنها عاجزة عن تركيب جملة.

وساد الصمت للحظات.

«لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو». قالت ثم أنهت الاتصال.

«ماذا؟ آلو؟».

صاح إرلندور، ولكنه لم يسمع سوى رنينٍ متواصلٍ في أُذُنه. تحقق من هوية المتصل، ولكن الخانة كانت فارغة. لقد لاحظ أن ماريون استغرق في النوم، فنظر مجدداً إلى هاتفه المحمول، ورأى فجأةً في مخيّلته وجه امرأة أبيض مائل للزُّرقة يتماوج بين الموجات، وينظر إليه بعينَين خاليتَين من أي تعبير.

11

جلس إرلندور في غرفة المقابلات وأفكاره مركَّزة على الاتصال الهاتفي الذي تلقّاه في المستشفى. آه، يا الله، لا يمكنني القيام بذلك، تأوّه الصوت الضعيف في ذهنه مراراً وتكراراً، ولم يستطع تفادي فكرة قيام المرأة التي اختفت قبل 25 كانون الأول بالاتصال به للمرة الأولى. ربما حصلت على رقم هاتفه المحمول من مَقْسَم الشرطة الهاتفي بدون صعوبة. فاسمه يظهر أحياناً في الأوراق المتعلقة بتحقيقات الشرطة. لقد ظهر في قضية المرأة المفقودة، والآن في قضية وفاة إلياس. غير عارفٍ صوت المرأة، لم يتمكن إرلندور من التحقق مما إذا كانت هي في الواقع أم لا، ولكنه عزم على مكالمة زوجها حالما تسنح له الفرصة.

وتذكّر قراءته إحصاء ذات مرة جاء فيه أن خمسة بالمئة فقط من الزيجات أو العلاقات التي تبدأ بعدم الإخلاص تدوم طوال الحياة. لم تفاجئه النسبة المرتفعة، وتساءل عما إذا كان من الصعب، في الواقع، بناء علاقة قائمة على الثقة بعد خيانة الآخرين، أم إنه من القسوة ربما التكلم عن الخيانة. ربما تتبدّل العلاقات السابقة وتتطوّر، ويولَد حب جديد مليء بالمشاعر الرقيقة. لقد حدث ذلك ويحدث على الدوام. فقد شعرت المرأة المختفية أنها عثرت على الحب الحقيقي؛ استناداً إلى ملاحظات صديقاتها، وأحبّت زوجها الجديد بإخلاص.

لقد شدّدت الصديقات اللواتي بقيت على اتصال بهنّ بعد الطلاق على تلك النقطة عندما كان إرلندور يسعى وراء تفسيرات لاختفائها. كانت قد تركت زوجها الأول وتزوّجت للمرة الثانية في احتفال لائق. قيل له إنها عمليةٌ وواقعية، وبدا الأمر بعد ذلك كما لو أنها تغيّرت. لم تشك صديقاتها مطلقاً بأن حبها لزوجها الجديد صادق، وكانت على الدوام تشير ضمناً إلى أن زواجها السابق اتخذ مجراه الطبيعي، وأنها باتت مختلفة تماماً؛ كما قالت إحدى صديقاتها. وعندما طلب منها إرلندور الإسهاب، تبيّن أن المرأة كانت شديدة الفرح بعد طلاقها؛ متحدّثةً عن حياة جديدة، وعن أنها في حال أفضل من أي وقت مضى. وأُقيم حفل زفاف كبير. لقد تزوّجا على يدَي رجل دين يتمتع بشعبية كبيرة. واحتفل حشد ضخم من الضيوف مع الثنائي في يوم صيفيّ جميل، وقضيا شهر عسل في توسكانا لمدة ثلاثة أسابيع. وعندما عادا، كانا مسترخيَين، ومُسمرَّين، ومتألّقَين.

كل ما كان ينقصها في زواجها الرائع ذاك هو أبناؤها. فقد رفض

زوجها السابق السماح لهم بالمشاركة في ذلك السيرك.

لم يمرّ وقت طويل حتى تلاشى كل التوقّع والحماسة وتحوّلا إلى النقيض. ووصفت صديقاتها كيف أن الحزن والندم غمرا المرأة على مَرّ الزمن، وشعرت بالذَّنْب في النهاية بسبب الطريقة التي عاملت بها عائلتها، ولم يساعدها قيام الزوجة السابقة لزوجها الجديد باتهامها باستمرار بتدمير عائلتهما. وانتقل أبناؤه للعيش معهما، في حين أنها ناضلت للحصول على حق الوصاية على أبنائها الذين يذكّرونها على الدوام بذَنْبها. لقد ترافق كل ذلك مع كآبة موهِنة.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يحصل فيها زوجها الجديد على الطلاق بسبب علاقة غرامية. واكتشف إرلندور أنه تزوّج ثلاث مرات، واقتفى أثر زوجته الأولى المقيمة في هافنارفيوردور والتي تزوّجت ثانيةً ولديها ابن. لقد تكرر المسار نفسه بالتحديد في تلك القضية. برّر الزوج تغيّباته عن المنزل بلقاءات عمل طويلة، والسفر حول البلد بدافع العمل، ورحلاتٍ للعب الغولف. ومن ثم، ذات يوم، وبشكل غير متوقع أبداً، أعلن أن كل شيء قد انتهى، وأنه يخطط للانتقال من المنزل. لقد وقع كل ذلك على زوجته كالصاعقة؛ فهي لم تعِ أي فتور في علاقتهما، باستثناء غيابه.

وتحدّث إرلندور أيضاً إلى الزوجة الثانية التي لم تتزوّج مجدداً، وشعر أنها لم تتعافَ بعد من طلاقها. لقد وصفت العملية بالتفصيل؛ متهمةً نفسها بعدم الحِرص بما يكفي. محاولاً اتخاذ جانبها، قال إرلندور إنها ربما تكون محظوظة بالتخلص منه. فأطلقت ابتسامة خفيفة. «أفكر في الأطفال بصفة رئيسة». فقد كانت غافلة عن كونه متزوّجاً عندما شرع بالتودد إليها في بادئ الأمر. ولم يَقل لها بخجَل تقريباً إن لديه ما يخبرها به إلا بعد مرور عدة أشهر على علاقتهما. كانا في فندق صغير في الريف حيث دعاها لقضاء الليلة، وكانا جالسَين في غرفة الطعام في مساء ذلك اليوم عندما أبلغها بأنه متزوج. فحدّقت به غير مصدّقة، ولكنه سارع إلى القول إن زواجه على وشك الانهيار، وإنّ تركه زوجته مسألة وقت. لقد وبّخته بسبب عدم إخباره إياها أنه متزوج، ولكنه تمكن من تهدئتها وكَسْب رضاها.

بعد سماع هذه الشهادة وشهادات صديقات أخريات للمرأة المفقودة، بدأ إرلندور يكره الرجل. هو يعرف أنه كلما مرّ المزيد من الوقت، ازداد احتمال انتحارها، وكانت الروايات عن حالة الكآبة لديها تدعم تلك النظرية. ولكن الاتصال الهاتفي غير المتوقع زرع أملاً في نفسه في ألا تكون قد انتحرت، أو أنها انتقلت من منزلها الزوجي من دون أن تكون راغبة في

أن يكتشف زوجها مكان وجودها؛ فهي ربما تريد أن تكون مختبئة منه من دون أن تعرف إلى أين تتوجّه.

كان قد مرّ عامان فقط منذ الزواج الكِذبة عندما بدأت المرأة تهمس لصديقة مقرَّبة لها بأن زوجها شرع بالمشاركة في عطلة نهاية الأسبوع بمباريات غولف لم تسمع بها من قَبل.

أفلت إرلندور من أفكاره وأومأ برأسه لسيغوردور أولي الذي جلس بجانبه في غرفة المقابلات، وبات بالإمكان الشروع بالاستجواب. كان الرجل الجالس أمامهما في أواسط العقد الخامس من العمر. فمنذ سنّ العشرين، تورّط تكراراً مع الشرطة بسبب اعتداءات بدرجات متنوّعة من الخطورة: سَرقة في النهار، سَرقة في الليل وتهجّم؛ وبطريقة وحشية في بعض الحالات. هو يقيم على بُعد مجمَّعَين سكنيَّين من سوني والفتيَين. كانت الشرطة قد أعدّت قائمة بالمعتدين المنتظمين الذين من المحتمل أن تتقاطع طريقهم مع طريق إلياس أثناء توجهه من المدرسة إلى المنزل. وهذا الرجل هو الأول في القائمة.

كانت الشرطة قد حصلت على إذن للبحث في شقته عندما اصطحبوه للاستجواب في وقت مبكّر من ذلك الصباح، واكتشفت كميات كبيرة من الصور الخَلاعية، بما فيها صور أطفال. كان الأمر كافياً لتوجيه تُهَم ضده مرة أخرى.

هو يُدعى أندريه، وكان ينظر إلى إرلندور وسيغوردور أولي تِباعاً؛ مستعداً للأسوأ. فهو شخص ثمل طوال حياته، وتبدو عليه كل العلامات: نظراته ناعسة وعَمشاء، وعيناه الصغيرتان مراوغتان ومتسائلتان. إنه رجل قصير القامة نوعاً ما، وبَدين، وقويّ البُنية.

كان إرلندور يعرفه؛ فقد اعتقله أكثر من مرة.

«لأي سبب تضايقني؟». سأل أندريه بفظاظة وخشونة بسبب مثابرته على الثَّمالة، ونظراته تثب من ضابط إلى آخر. «ماذا يجري؟». وحاول جعل صوته رُجولياً، ولكنه لم يتمكن إلا من إطلاق صوت حادّ وقصير.

«هل تعرف فتى يدعى إلياس يُقيم في حيّك؟». سأل إرلندور. «إنه قاتم البشرة، ومن أصل تايلاندي، وعمره عشر سنوات».

كانت هناك مسجِّلة شريطية على الطاولة بينهم تئزّ بهدوء. ونظراً لحالة الثمالة التي يعاني منها أندريه عندما اعتُقل، باستطاعته الادعاء بعدم سماعه بمقتل إلياس. ومع ذلك، لم يكن بالإمكان تصديق أية كلمة يقولها.

«لا أعرف أي شيء عن أي إلياس». قال أندريه. «هل ستتّهمني؟ بماذا

ستتهمني؟ لم أفعل أي شيء. لماذا تزعجني؟».

«لا تقلق». قال سيغوردور أولي.

«عن أي إلياس تتكلم؟». قال أندريه ناظراً إلى إرلندور.

«هل تذكر أين كنتَ يوم أمس بعد الظهر؟».

«في المنزل». قال أندريه. «كنت في المنزل. كنت في المنزل طوال اليوم، طوال يوم أمس أعني. عن أي فتى تتكلم؟».

«طُعن فتى في العاشرة من عمره حتى الموت على بُعد مجمّعَين سكنيَّين من مكان إقامتك». قال إرلندور. «هل كان معك أحد يوم أمس؟ هل يمكن لأحدهم تأكيد وجودك في المنزل؟».

«قُتل فتى!؟». قال أندريه مصدوماً. «مَن...؟ مطعوناً!!».

«هل تعرف في أي يوم نحن؟». سأل إرلندور.

فهز أندريه رأسه.

«رجاءً، تكلّم في اتجاه المسجِّلة الشريطية». قال سيغوردور أولي.

«لا أعرف. لم أهاجم أي فتى. ولا عِلم لي بأي هجوم. لا أعرف شيئاً. لم أفعل أي شيء خاطئ. لماذا لا تدَعني وشأني؟».

«هل تعرف الفتى؟». سأل إرلندور.

فهز أندريه رأسه. وأشار سيغوردور أولي بإصبعه إلى المسجِّلة الشريطية.

«لا أعرف عما تتحدث».

«لديه شقيق أكبر منه بخمس سنوات». قال إرلندور. «انتقلوا إلى الحيّ في الربيع الماضي. عشتَ هناك طوال أكثر من خمس سنوات. لا بد من أن تكون قد لاحظتَ السكان المحليين. لا بد من أنك تتابع ما يحدث هناك. لا تحوّل هذا الأمر إلى تمثيلية إيمائية».

«تمثيلية إيمائية! لم أفعل أي شيء».

«هل تعرف هذا الفتى؟». سأل إرلندور مُخرجاً صورة إلياس الفوتوغرافية من جَيب مِعطفه، ومسلِّماً إيّاها لأندريه الذي أمعن النظر بوجه الفتى.

«لا أعرفه». قال.

«ألم تصادفه مطلقاً؟». سأل إرلندور.

قبل دخول إرلندور غرفة المقابلات، أُبلغ بأن بحثاً مفصَّلاً لشقة الرجل لم تنجم عنه أية إشارة إلى ما إذا كان إلياس أو نيران قد زارا المكان. ومع ذلك، تصرّف أندريه بشكل غريب جداً عندما تمكنت الشرطة أخيراً من اقتحام شقته. فهو لم يُجب عندما قرعوا الباب. وعندما اقتحمت

الشرطة المكان، استقبلتهم قذارة ورائحةٌ كريهة. كان الباب مُقفَلاً، وعُثر على أندريه مختبئاً تحت السرير. فصاح طلَباً للمساعدة أثناء سحبه. كان يتخبّط، غير مُدرك كما يبدو أنه بين أيدي الشرطة، بل كان تحت تأثير الانطباع بأنه يصارع عدوّاً وهمياً التمس منه الرحمة تكراراً.

«ربما أكون قد رأيته في الحيّ في وقت من الأوقات، ولكنني لا أعرفه». قال أندريه. «لم أفعل له أي شيء».

وتنقّلت نظراته إلى الجانبَين كما لو أنه يتعيّن عليه اتخاذ قرار، ولكنه بدا متردداً. ربما يفكر في أنه بحاجة إلى المساومة ليتم إخلاء سبيله. كان سيغوردور أولي على وشك الكلام، ولكن إرلندور شدّه بقوة ليلزم الهدوء. لقد استحسن أندريه ذلك كما يبدو.

«هل ستتركني وشأني إذاً؟». قال أخيراً.

«إذا ماذا؟». قال إرلندور.

«هل ستدَعني أعود إلى المنزل؟».

«شقتك مليئة بصور تسيء إلى الأطفال». قال سيغوردور أولي، غير مُخفٍ الاشمئزاز في صوته. كان إرلندور قد حثّه على عدم إظهار قلة الاحترام للمجرمين؛ كما اعتاد سيغوردور أولي أن يفعل. لا شيء يُزعجه أكثر من مُعتدين منتظمين متوسّطي العمر يكررون القَذارة نفسها على الدوام.

«إذا ماذا؟». كرر إرلندور,

«إذا أخبرتُك».

«طلبتُ منك عدم تحويل هذا الأمر إلى تمثيلية إيمائية لعينة». قال إرلندور. «قُل ما تريد إخبارنا به وكُفّ عن المُراوغة».

«أظنّ أنه انتقل إلى المنطقة منذ عام». قال أندريه.

«انتقل إلياس في الربيع، كما قلتُ».

«لا أتكلم عن ذلك الفتى». قال أندريه ونظر إلى كلٍّ منهما تِباعاً.

«من إذاً؟».

«هو لا يُخفي سنّه، ذلك المُسنّ. هذا أول ما لاحظتُه».

«عمّن تتحدث؟». قال سيغوردور أولي بغضب.

«عن رجل أعتقد أنه يملك صوراً خَلاعية أكثر منّي». قال أندريه.

فتبادل سيغوردور أولي وإرلندور نظرات سريعة.

«لم أقتل أحداً البتة». قال أندريه. «أنت تعرف ذلك. عليك أن تصدّقني يا إرلندور. لم أقتل أحداً البتة».

«لا تحاول أن تحوّلني إلى مؤتمَن على أسرارك». قال إرلندور.

«لم أقتل أحداً البتة». كرر أندريه.

وراقبه إرلندور بصمت.

«لم أقتل أحداً البتة». قال أندريه مجدداً.

«عن أي رجل تتكلم؟». سأل سيغوردور أولي. «أي رجل ذاك الذي انتقل إلى المنطقة؟».

وبدلاً من إجابته، ركز أندريه نظره على إرلندور مُحملِقاً.

«أي رجل هو يا أندريه؟». سأل إرلندور.

فانحنى أندريه إلى الأمام فوق الطاولة، وأحنى رأسه قليلاً كعمّة متقدمة في السنّ تحيّي بلطف طفلاً صغيراً.

«إنه الكابوس الذي لا يمكنني التخلص منه أبداً».

12

كانت إيلينبورغ تنتظر لقاء مدرّسة إلياس في المدرسة التي ارتادها الفتى وشقيقه قبل أن ينتقلا من سنورابروت. فبعد إعلامها بأن الاجتماع على وشك الانتهاء، جلست خارج غرفة الصف المُغلَقة، وفكرت في ابنتها الصغرى التي تلازم المنزل بسبب إصابتها بإنفلونزا مُعدية. كان زوجها، وهو ميكانيكي سيارات، يقضي الجزء الأول من اليوم معها، ومن ثم تضطلع إيلينبورغ بالأمر لبقية اليوم.

فُتح باب غرفة الصف، واستقبلتها امرأة متوسطة العمر. أثناء الاجتماع، كانت إيلينبورغ قد مرّرت لها مدوَّنة تتضمن رغبة الشرطة في التحدث إليها. صافحت إيلينبورغ المرأة، وعرّفت بنفسها، وقالت إنها بحاجة للتحدث إليها في أمر يتعلق بمقتل إلياس، ولا بد من أن تكون قد سمعت بهذا الحادث. فأومأت المرأة برأسها، وبدت حزينة.

«كنا نتحدث عن هذا الأمر في الاجتماع». قالت بصوت بطيء. «لا يمكن للكلمات أن تصف، ذلك النوع من... الفظاعة. من يقوم بأمر مماثل؟ من يستطيع مهاجمة طفل بحق الله؟!».

«نعتزم كشف المجرم والقبض عليه». قالت إيلينبورغ ناظرةً حَولها بحثاً عن مكان يمكنهما التحدث فيه من دون التعرّض لأي إزعاج.

كانت المرأة، وتدعى إميليا، هيفاء القَدّ، شعرها طويل وداكن ومربوط على شكل تسريحة ذَيل حصان، وقد بدأ بالاصطباغ بلون رمادي. قالت إميليا إن بإمكانهما الجلوس في غرفة الصف الفارغة لأن التلاميذ لديهم حصة موسيقى. وتبعتها إيلينبورغ. كانت رسوم التلاميذ معلّقة بدبابيس على الجدران، وتُظهر مراحل مختلفة من النُّضج بدءاً بأشخاص على صورة عود ثِقاب ووصولاً إلى صور لائقة. ولاحظت إيلينبورغ عدداً قليلاً من الرسوم التقليدية: منازلُ مزارعِ أيسلندية عند سفح جبل تعلوه سماء زرقاء نيّرة، وسُحب صغيرة، وشمس ساطعة. لقد تذكّرت ذلك الموضوع النموذجي منذ أيام المدرسة، وتفاجأت بصمت بطول عمره.

«هذا الرسم لإلياس». قالت إميليا مُخرجةً صورة من أحد الأدراج في طاولة المدرّسة. «لم يأتوا يوماً لأخذ أعماله الفنية عندما غادر هذه المدرسة، ولم أشأ رمي هذه بأية حال. فهي تُظهر كم كان شخصاً موهوباً في الرسم في هذه السنّ الصغيرة».

تناولت إيلينبورغ الصورة. فالمدرّسة مُحِقة؛ إن الرسوم تُظهر إجادة

إلياس الاستثنائية للرسم. لقد رسم وجهاً أُنثوياً مع عينَين بنّيّتَين كبيرتَين على نحو غير طبيعي، وشعر قاتم، وابتسامة عريضة، وألوان زاهية.

«من المُفترض أن تكون والدته». وابتسمت إميليا. «يا لهم من مساكين! عليهم المرور بكل ذلك».

«هل درّستِه منذ بدئه بارتياد المدرسة؟». سألت إيلينبورغ.

«أجل، منذ سنّ السادسة كما أعتقد، قبل أربع سنوات فقط. كان فتى لطيفاً وحالِماً إلى حد بعيد، ويعاني أحياناً من قلة التركيز على عمله المدرسي، وتطلّب مني الأمر بذل بعض الجهد لحمله على الانكباب على العمل. باستطاعته التحديق في الفضاء طوال ساعات متواصلة شارداً في عالَم خاص به».

وكفّت إميليا عن الكلام، وغرقت في التفكير.

«لا بد من أن يكون الأمر صعباً على سوني».

«أجل، بالطبع، صعب جداً». قالت إيلينبورغ.

«كانت تُحيط الفتيَين على الدوام بحب كبير». قالت المدرّسة مُشيرةً إلى الرسم. «لقد علّمت إلياس ونيران؛ شقيق إلياس أيضاً. لم يكن يتكلم اللغة الأيسلندية بشكل جيد مطلقاً. قيل لي إنهم يتكلمون اللغة التايلاندية بصفة رئيسة في المنزل، فناقشتُ مع سوني المسألة، وكيفية تسبّبها بمشاكل لهم. كانت لغتها الأيسلندية متواضعة، وفضّلت أن تكون هناك مترجمة برفقتها أثناء اجتماعات الأهل».

«ماذا عن الوالد؟ هل تعرّفتِ به؟». سألت إيلينبورغ.

«لا، لا البتة. لم يحضر إلى هنا في أية مناسبات، ولا حتى في الحفلات أو أي شيء من هذا القَبيل. لم يأتِ إلى اجتماعات الأهل مطلقاً، بل كانت تأتي بمفردها على الدوام».

«ربما كان الانتقال إلى ناحية جديدة من المدينة ومدرسة جديدة قاسياً على إلياس». قالت إيلينبورغ. «من المؤكد أنه لم يتكيّف مع المدرسة الجديدة. فهو لم يتّخذ له أي أصدقاء، وكان يقضي الكثير من الوقت بمفرده».

«يمكنني تصديق ذلك». قالت إميليا. «أذكر ما كان عليه حاله عندما بدأ في هذه المدرسة. ظننتُ أنه لن يترك والدته أبداً. لقد تطلّب مني الأمر مدة طويلة، والتعاون مع عاملة اجتماعية من وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال، لأتمكن من حمله على الشعور بالارتياح وإدراك أن كل شيء سيكون بخير؛ حتى لو غادرت سوني».

«ماذا عن نيران؟».

«الشقيقان مختلفان جداً». قالت إميليا. «نيران صلب العود، ويمكنه تدبّر أمره في أي مكان. لم يظهر لديه ما يشير إلى عدم تمكنه من مواجهة الصعاب».

«هل كانا منسجمَين مع بعضهما بشكل جيد؟ أعني الشقيقين؟».

«وفقاً لمشاهداتي، كان نيران يعتني جيداً بشقيقه، وتبيّن لي أن إلياس يحترمه. كان يُعدّ الكثير من الرسوم لنيران. يكمن الفَرق بينهما في أن إلياس أراد الانسجام مع رفاقه في الصف ليكون جزءاً منه. أما نيران فكان أشبه بمتمرد ضد الصف، والمدرّسين، وإدارة المدرسة، والتلاميذ الأكبر سنّاً، ويرافق مجموعة من التلاميذ المهاجرين، خمسة أو ستة فتيان، في معظم الأحيان. كانوا يمتنعون عن مخالطة الآخرين، ويقومون بالقليل من الأعمال المدرسية لأنهم غير مهتمين البتة بالتاريخ الأيسلندي أو بأي شيء من هذا القَبيل. تقاتلوا ذات مرة مع بعض الأيسلنديين. حدث ذلك مساءً خارج الساعات المدرسية؛ فقد تقاتل أفراد الزُّمرتَين بالعصيّ وحطّموا النوافذ. تسمعين عن هذا النوع من الأمور أحياناً. لا بد من أن تكون هذه الأمور مألوفة لديكم».

«أجل». قالت إيلينبورغ. «يتعلق الأمر بالفتيات بصورة عامة».

«انتقل رئيسا الزُّمرتَين من هذا الجزء من المدينة في العام الدراسي الأخير، وخمدت حالة التوتر. قلّة هم التلاميذ الذين يتسببون الآن ببعض التوتر. بعد ذلك، بدّل إلياس ونيران المدرسة. لم أرَ أيّاً منهما مذاك الحين. وبعد ذلك، سمعت هذا النبأ على نشرة الأخبار لم أفهم ما يجري».

كانت إميليا تتكلم بسرعة، وتنطق بكلام غير مفهوم تقريباً. رفضت إيلينبورغ التخلّي عن الأمر، وتمحورت كل أسئلتها حول الفتيَين قبل مغادرتهما المنطقة، والظروف الشخصية لسوني. كانت إميليا فُضولية، ولا تخشى إظهار ذلك. لقد أحبتها إيلينبورغ ولكنها لم تشأ الكشف عن أية تفاصيل متعلقة بالقضية، وقالت إن التحقيقات لا تزال في مرحلة مبكّرة جداً. إن فُضول إميليا مفهوم؛ فمقتل إلياس يهيمن على وسائل الإعلام. ربما تكون الشرطة قد تحدّثت إلى مئة شخص تقريباً في الحيّ، وفي مجمَّعات الشقق السكنية المُحيطة، والمدرسة والمتاجر القريبة. كانت قد عُمِّمت صور فوتوغرافية لإلياس، وتجري محاولات لتتبّع تحركاته بدقة في ذلك اليوم المشؤوم. وطُلب من الشهود الذين ربما يكونون قد رأوه في طريقه من المدرسة إلى البيت تقديم إفاداتهم. لم ينجم عن ذلك أي شيء ملموس

بعد. والدليل القاطع الوحيد الذي تمتلكه الشرطة هو أن إلياس غادر المدرسة بمفرده في اتجاه المنزل عندما أوقف على الطريق.

ابتسمت إيلينبورغ ونظرت إلى الساعة، ثم شكرت إميليا على إجاباتها الشاملة، ورافقتها المدرّسة في الممرّ وصولاً إلى أحد المخارج. وتصافحتا.

«إذاً، ألم تقتربي من اكتشاف الحقيقة؟». قالت إميليا.

«لا». قالت إيلينبورغ. «ليس بعد».

«حسناً». قالت إميليا، «بما أنه صودف أن... هل لا تزال سوني مع رَجلها ذاك؟».

«لا».

سارعت إميليا إلى القول: «كانت إحدى رسوم إلياس تظهر فيها والدته التي يرسمها في غالب الأحيان مع رجل بجانبها. حدث ذلك في الربيع بعد انتقالهم، ولكن الفتيَين كانا لا يزالان في هذه المدرسة. أذكر قيامي بسؤال إلياس عنه. كانت زلّة لسان نوعاً ما».

أليست كذلك تماماً؟ فكرت إيلينبورغ في سرّها. لقد بدا الأمر كما لو أن إميليا مُدركة لمدى فُضولها.

«فقال إن الرجل صديق والدته».

«حقاً!». قالت إيلينبورغ. «هل سألتِ الفتى عن اسمه؟».

ابتسمت إميليا وأجابت: «في الواقع، سألته فقال إنه لا يعرف، أو إنه لم يُخبرني بأية حال».

«والرجل في الرسم، ما...؟».

«قد يكون أيسلندياً».

«أيسلندي!».

«أجل. لم أشأ أن أكون فُضولية، ولكنني شعرت بأن إلياس يحبه كثيراً».

أسند أندريه ظهره إلى كرسيّه في غرفة المقابلات. وسُمعت تكّة مع انتهاء الشريط وتوقُّف التسجيل. فمدّ سيغوردور أولي يده، وقلب الشريط وشرع بالتسجيل ثانيةً. كان إرلندور يحدّق بأندريه باستمرار.

«ماذا عن الكابوس الذي لا يمكنك التخلص منه أبداً؟ ماذا يُفترض بذلك أن يعني؟».

«أشك في أن تكون راغباً في سماعه»، قال أندريه. «أشك في أن يكون أي شخص راغباً في السماع عن هذا النوع من الشر».

«من هو ذاك الرجل؟». سأل سيغوردور أولي.

«هل تعني أنه فعل لك شيئاً؟».

لم يقل أندريه شيئاً.

«هل تقول إنه معجب بالأطفال؟». سأل إرلندور.

جلس أندريه ملازماً الصمت وناظراً إلى إرلندور.

«لم أرَه منذ سنوات». قال أخيراً. «سنوات متواصلة؛ حتى... رأيته فجأةً منذ عام كما أعتقد». وكفّ أندريه عن الكلام.

«وماذا؟».

«كان الأمر أشبه بمقابلة جلاّدك». قال أندريه. «لم يرَني، ولا يعرف أنني أعلم بشأنه، وأعرف أين يُقيم».

«أين؟ أين يُقيم؟ من هو ذاك الرجل؟». أمطر سيغوردور أولي أندريه بالأسئلة، ولكن هذا الأخير جلس بدون حراك ناظراً إلى سيغوردور أولي كما لو أنه غير ذي صِلة به.

«قد أزوره ذات يوم». قال أندريه. «لأُلقي عليه التحية. أعتقد أن باستطاعتي التعاطي معه الآن. أعتقد أن باستطاعتي التغلّب عليه الآن».

«ولكنك أولاً بحاجة إلى شجاعة هولندية». قال إرلندور.

لم يُجب أندريه.

«هل عليك الهرب والاختباء أولاً؟».

«أختبئ على الدوام. يُفترض بك أن تعرف كم كنت جيداً في إخفاء نفسي. كنت أجد في كل الأوقات أماكن جديدة للاختباء، وأحاول جعل نفسي أصغر حجماً قَدْر الإمكان».

«هل تعتقد أنه ألحق الأذى بالفتى؟». سأل إرلندور.

«ربما تخلّى عن ذلك منذ مدة طويلة. لا أعرف. كما أقول، لم أرَه طوال مدة طويلة، وفجأةً أصبح جاري. فجأةً، بعد كل تلك السنوات، يمرّ على الجانب الآخر من الشارع حيث أُقيم. لا يمكنك أن تتخيّل ما رأيتُه في الواقع عندما مرّ. أعني هنا». قال أندريه ناقراً بسبّابته على صدغه.

«هل تعتقد أنه مُدرَج على لائحتنا التي تتضمن الأشخاص أمثاله؟». سأل إرلندور.

«أشك في ذلك».

«هل ستطلعنا على كيفية العثور عليه؟». سأل سيغوردور أولي.

لم يُجب أندريه.

«من هو؟». سأل سيغوردور أولي، مختبراً أسلوباً جديداً. «يمكننا أن نساعدك للنَّيل منه، وتوجيه اتهام إليه إذا أردتَ. يمكننا سجنه بمساعدتك.

هل هذا ما تريده؟ هل ستخبرنا من هو لنتمكن من رميه في السجن؟».

وشرع أندريه بالضحك في وجهه.

«ذاك الرجل يحظى بالاحترام». قال ناظراً إلى إرلندور.

ومن ثم توقف فجأةً عن الضحك، وانحنى إلى الأمام في اتجاه سيغوردور أولي قائلاً:

«من سيصدّق شخصاً حقيراً مثلي؟».

شرع هاتف إرلندور المحمول بالرنين، وملأت أنشودة الفرح غرفة المقابلات، وحاول إرلندور إخراج هاتفه بأسرع وقت ممكن. كان يكره تلك النغمة. ضغط على زر الإجابة، وراقبه سيغوردور أولي. أصغى إرلندور واكفهرّ وجهه. لقد أنهى المكالمة الهاتفية من دون إلقاء تحية الوداع، وشتم أثناء قفزه على قدمَيه.

«هل يمكن لحالة الفوضى هذه أن تزداد سوءاً؟». تمتم عبر أسنانه، واندفع خارج الغرفة.

أعاد ضابط الشرطة النظر بأولوياته أثناء عودته إلى مجمَّع الشقق السكنية. كانت المترجمة قد خرجت بسيارتها، ولكنها طلبت منه إحضار بعض الخبز والحليب للمرأة التايلاندية وابنها اللذين كانا بمفردهما في الشقة. لقد مرّ على وجوده في سِلك الشرطة عامان، ولم يجد هذه الوظيفة أسوأ من أي عمل آخر. كانت تتمّ مقاطعته عمّا يقوم به عندما تبلغ احتفالات عطلة نهاية الأسبوع ذُروتها، وكان يُستدعى بسبب حوادث سير مُريعة. أيٌّ من هذه الأمور لم يؤثّر فيه كثيراً. كانوا يصفونه بالواعد، وسعى إلى الحصول على الترقية في سِلك الشرطة. وها هو الآن يتسلّم مهمة حراسة منزل المرأة التايلاندية وابنها. ففي كل صباح، تصعد مجموعات من الخبراء من وكالات مختلفة السلّمَ في طريقهم إلى شقتها، فيقف هناك، سائلاً عن أسمائهم، ومِهنهم، والغرض من الزيارة، ثم يُدخلهم. ولكنهم يخرجون على الفور لأن المرأة التايلاندية تريد البقاء بمفردها مع ابنها. بإمكانه فهم ذلك. يا لهذه المأساة التي تعاني منها!

بعد ذلك، نزلت المترجمة السلّم بسرعة، وسلّمته بعض المال وقائمة تسوّق صغيرة، وطلبت منه شراء الأغراض للوالدة وابنها. فرفض بتهذيب، هازّاً رأسه ومبتسماً، وقال إنه لا يُسمح له بالمغادرة. لسوء الحظ، لم يكن باستطاعته المغادرة. إنه شرطي وليس فتى لشراء الحاجيات.

«يتطلب الأمر خمس دقائق فقط». قالت المترجمة. «كنت سأقوم بذلك بنفسي لو كنت قادرة، ولكنني على عَجَلة من أمري».

وبعد ذلك، ركضت إلى سيارتها وانطلقت.

لقد تُرك هناك واقفاً مع قائمة التسوّق، والورقة المالية، وضميرٍ يحاول تجاهلَ تأنيبه، ولكن هذا الأمر دام للحظات فقط، وانطلق مسرعاً أيضاً. لم يتأخر مطلقاً، قال ذلك لإرلندور الذي وبّخه بشدة لدرجة أنه كاد ينفجر بكاءً. ربما كان يُفترض به طلب المساعَدة. ربما لم يكن يُفترض به الذهاب في تلك المهمة المثيرة للسخرية التي أعادت إليه ذِكرى قيام والدته على الدوام بإرساله إلى المتجر عندما كان صغيراً. ربما تصرّف بطريقة تلقائية ونسي واجبه المهني للحظات. كان قد قلّب صفحات مجلة تافهة تحتوي على قصصِ طلاقِ أشخاصٍ مشهورين، ولكنه لم يجرؤ على إخبار المحقق بهذا الجزء من رحلته. كان الرجل المُسنُّ مُثار المشاعر جداً لدرجة اعتقاده أنه سيتلقّى ضربة منه تُفقده الوعي. لقد تعيّن على سيغوردور أولي، الذي لم يكن يعرفه جيداً، المبادرة لكبح جماح المحقق.

عندما عاد من المتجر، صعد السلّم راكضاً ورنّ الجرس. بعد ذلك، قرع الباب من دون تلقّي أي جواب. في النهاية، فتح الباب ونادى: «مرحباً!». لم يكن الباب مُقفَلاً، ولم يُجبه أحد. فجال في أنحاء الشقة، منادياً في كل الاتجاهات، من دون تلقّي أية إجابة. كانت الشقة فارغة.

فوقف كمغفَّل مع كيس تسوّق بيده، ولم يتمكن من استجماع شجاعته لإبلاغ مركز الشرطة باختفاء سوني وابنها.

13

لم يَلُم إرلندور الضابط على اختفاء سوني ونيران، عِلماً أن تصرّف الرجل ينمّ عن إهمال لا يصدَّق وغير مفهوم أثناء قيامه بواجبه. كان مقتنعاً بأن المترجمة - وهي آخر من غادرت الوالدةَ وابنها - ساعدتهما على الاختباء. لقد أقنعت الضابط بالمغادرة للحظات، ومن ثم أقلّتهما إلى مكان لم ترغب في البوح به. بعد الاستنطاق، أرسل إرلندور في طلب المترجمة. في غضون ذلك، بحثت الشرطة عن إلماعات حول المكان الذي يمكن لسوني أن تكون قد اصطحبت ابنها إليه. لم يكن لهاتفها تعريف بالمتصل، ولكن إيلينبورغ تقدمت بطلب لمحكمة المقاطعة للحصول على قائمة بالاتصالات التي أجرَتها سوني وتلقّتها خلال الشهر السابق.

اتصلت إيلينبورغ بإرلندور وأطلعته على حديثها مع مدرّسة إلياس في المدرسة القديمة.

«ألا تعتقد أنها تحاول حمايته من الهرب؟». سألت إرلندور عندما أخبرها بفقدان الوالدة والابن.

«من الواضح أن التفسير شيء من هذا القَبيل». قال إرلندور. «يكمن السؤال في الشخص الذي تعتقد أنها تحميه منه».

«ربما أخبرها بشيء ما».

كان إرلندور قد أنهى للتوّ حديثه مع إيلينبورغ عندما رنّ هاتفه مجدداً. لقد أخبره رئيس قسم المخدرات أنهم حددوا مكان وجود فتاة في المدرسة حاولت بيع مخدرات في الملعب. لم يسبق لها أن تورطت مع فريق المخدرات، ولكن شقيقتها الكبرى معروفة جيداً من قِبل الشرطة، وهي مُدمنة متمرِّسة مع سلسلة من الاعتقالات بسبب جُنَح متعلقة بالمخدرات. وللفتاتَين شقيق أكبر سنّاً كان في السجن بسبب قتله رجلاً؛ لقد هاجم عابر سبيل في وسط ريكيافيك وأصابه بجراح أودت بحياته.

«عائلة ذات مستوى راقٍ إذاً!!». قال إرلندور.

«نُخبة النُّخبة». قال رئيس قسم المخدرات. «هل تريدون التحدث إلى الفتاتَين؟».

«أجل، أَحضرهما». قال إرلندور.

في تلك اللحظة، ظهرت غودني في الشقة، فقطع إرلندور اتصاله الهاتفي، ووضع هاتفه المحمول في جَيب مِعطفه.

«أين هما؟». قال بصوت عازم متوجّهاً نحو غودني. «لماذا هربا، وأين

أخذتِهما؟».

«هل أنت جدّي في تحميلي مسؤولية هذا الأمر؟». قالت.

«لقد خدعتِ ضابط شرطة». قال إرلندور، «ومن ثم عدتِ لاصطحابهما. نريد أن نعرف ماذا فعلتِ بهما. باستطاعتي سجنك بسبب إعاقتك عمل رجال الشرطة أثناء قيامهم بواجباتهم. لن أتردد بالقيام بذلك».

«لا علاقة لي بهذا الأمر». قالت غودني. «لم أَعُد لاصطحابهما، ولا تواصل تهديدي. إذا كنت تريد سَجني، فلا تتردد».

«نريد إجابات منك». قال سيغوردور أولي داخلاً من الممرّ إلى غرفتَي النوم بعد سماعه الحديث. «كنتِ آخر من تحدّث إليهما. لماذا اختفيا؟».

«لا فكرة لديّ». قالت غودني وتنهّدت. «لقد صُدمتُ على غراركما عندما اتصلت بي الشرطة. عندما غادرتهما منذ...» قالت ناظرةً إلى ساعتها، «ثلاثة أرباع الساعة، لم يكن هناك ما يوحي بأن سوني تخطط للتواري عن الأنظار. قالت إنها بحاجة إلى بعض الحاجيات. كنت قد تأخرت على موعد لقاء، وأبدى الضابط لطفاً كبيراً بمساعدتهما. لم أشتبه في أنها تخطط لشيء ما. لم تقل لي أي شيء عن ذلك. لا أُبالي سواء أصدقتماني أم لا. لا أعرف شيئاً عن الأمر».

«هل تعرفين أين يمكن أن يكونا قد ذهبا؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا، لا أملك أدنى فكرة. حتى إنني لا أعرف إذا كانا مختبئَين. ربما سيعودان على الفَور. ربما خرجت إلى مكان ما، وربما ليست مختبئة البتة. هل فكّرتما في ذلك؟».

«هل اتصلتْ بأي شخص هذا الصباح؟». سأل سيغوردور أولي.

فأخبرتهما غودني أنها زارت سوني في وقت باكر من ذلك الصباح. كان هناك ضابط شرطة عند الباب، وسيارة دَوريّة مع شرطيَّين آخرَين في السيارة المركونة أمام المجمَّع السكني. بعد ذلك، تمّ استدعاء سيارة الدَّورية. لقد أخبرتها سوني على الفور أنها تريد أن تُترك بمفردها مع نيران. كان في حالة صعبة جداً، ولم تتمكن من حمله على مكالمتها، وإذا لم تتمكن من ذلك، فلن يكون بمقدور ضابط شرطة أو خبير من أي نوع القيام بذلك. ما كانت تريده هو قضاء بعض الوقت بمفردها مع نيران لإخراجه من حالة الانطواء على الذات. من الواضح أن وفاة شقيقه كانت بمثابة صدمة كبيرة له، وهي تحاول مساعدته بأفضل طريقة ممكنة. تلك هي أولويّتها في هذه الظروف. لقد جلست غودني معهما وعرضت عليها المساعدة، ولكن عندما علمت سوني أنه يتعيّن عليها الذهاب إلى اجتماع، شرعت تتحدث

عن بعض الأمور التي تحتاج إليها من المتجر.

«هل عرفتْ آنذاك أن سيارة الشرطة قد غادرت؟». سأل إرلندور.

«أجل، لقد رأتها تغادر».

«ماذا حدث لتلك السيارة اللعينة؟». سأل إرلندور سيغوردور أولي الذي كانت لديه إجابة جاهزة. لقد تمّ استدعاء السيارة حين وقع حادث خطير عند تقاطع طرق مزدحم على بُعد شوارع قليلة. كانت أقرب سيارة دَورية، ولم يتوقعوا مواجهة أية مشكلة بالإرسال في طلبها.

فهز إرلندور رأسه مسلِّماً بالأمر.

«من هو حبيب سوني؟». سأل غودني.

«سبق لي أن قلت لك إنني لا أعرف شيئاً عن أي حبيب». قالت غودني باحتراس.

«هل يمكن أن تكون قد ذهبت إليه؟». قال إرلندور.

«لا يبدو أن هناك أماكن عدة تقصدها». قال سيغوردور أولي.

«من هو ذاك الرجل؟». قال إرلندور، ورمق سيغوردور أولي بنظرة غضب. كان معتاداً على المقاطعة مما يثير حفيظة إرلندور.

«لا عِلم لي بوجود أيّ حبيب». كررت غودني. «ربما تكون مع حماتها. هل تحققتما من ذلك؟ أو مع شقيقها؟».

«إنهما أوّل مكانين سنبحث فيهما». قال إرلندور.

عندئذٍ، وصلت إيلينبورغ.

«كيف يمكن أن يُفقدا؟ ألم يكونا مراقَبين؟».

«هي خائفة». قالت غودني. «ومن لا يخاف في مثل وضعها؟ إذا كانت قد هربتْ فلحماية ابنها الوحيد الناجي. هذا كل ما يمكنها التفكير فيه حالياً. هي لا تثق بكم؛ إنه أمر واضح. إنها تثق بنفسها. لطالما فعلتْ ذلك».

«لماذا لا تثق بنا؟». قالت إيلينبورغ. «هل لديها أي سبب كي لا تثق بنا؟».

فنظرت غودني إليها.

«لا أعرف. لا إجابات لديّ عن كل أسئلتكم».

«من هو حبيبها؟». سأل إرلندور. «أي نوع من العلاقة تربطه بسوني؟ متى التقيا؟ هل هو سبب طلاقها من زوجها؟ هل يعرف الفتيَين جيداً؟ كيف أفلح في تدبّر أمره معهما؟».

فنظرت غودني إلى كل منهم تِباعاً.

«التقت رجلاً مؤخراً». قالت أخيراً.

«أجل، و...؟». قال إرلندور بنفاد صبر.

«لا أعتقد أنها برفقته. لا أعرف شيئاً عن طلاق سوني من أودين. لا أعرف بالتحديد متى دخل هذا الرجل حياتها».

«ومن هو؟».

«صديق سوني».

«أي نوع من الأصدقاء؟». سأل إرلندور.

نظرت غودني إلى إيلينبورغ، ومن ثم إلى سيغوردور أولي، وأخيراً إلى إرلندور، وهزت كتفَيها.

«هل يعمل؟ هل تعرفين أين يُقيم؟».

«لم يسبق لسوني أن تكلمت عنه. حتى إنني لا أعرف اسمه».

«لماذا لا تعتقدين أنها ذهبت إليه؟ قلتِ إنك لا تعتقدين أنها برفقته، ما سبب ذلك؟».

«إنه شعوري فحسب». قالت غودني.

وتذكر إرلندور كلمات زوج سوني السابق الذي قال إن لديها حبيباً ولكنه لا يعرف إلا القليل عنه. كان فيروت على عِلم بشأنه. لقد أقرّت غودني أخيراً بوجوده. وتعتقد إميليا، مدرّسة إلياس السابقة، أنه أيسلندي.

«هل هو أيسلندي؟». سأل إرلندور.

«أجل». قالت غودني.

«وهل تعود علاقتهما لمدة طويلة؟».

«لا أعرف بالتحديد».

«هناك أمر آخر بما أنك أشرتِ إلى الثقة». قال إرلندور. «أعرف أن لا إجابات لديك عن كل أسئلتنا. ولكن هناك مسألة واحدة لا يمكننا تجاهلها مهما أردنا ذلك، وهي مسألة نيران. وبعد هروب سوني معه، أصبحت هذه المسألة مُلحّة جداً».

«عمّ تتكلم؟». سألت المترجمة.

فتبادل سيغوردور أولي وإيلينبورغ نظرات سريعة كما لو أنه لا فكرة لديهما البتة عما يعنيه إرلندور.

«لماذا هربت مع نيران؟». سأل إرلندور مُخفضاً صوته.

«لا أعرف». قالت غودني.

«هل من الممكن أنها تحاول إخراجه من البلد؟».

«إخراجه من البلد!».

«لِمَ لا؟».

«أظن أنها تحاول حمايته، ولا عِلم لي بالسبب. لا، لا أعتقد أنها تحاول إخراجه من البلد. فأنا لا أعتقد أنها تملك أية فكرة عن كيفية القيام بذلك».

«ربما تعرف شخصاً ما».

«هذا مُنافٍ للعقل!».

«أوافق معك على أنها تحاول حماية نيران». قال إرلندور. «أعتقد أنها توارت عن الأنظار لأنه أطلعها على أمر ما أخيراً. هو يعرف ما حدث».

«لا أصدّق أنك تدّعي تورّطَه في مقتل شقيقه!». قالت غودني غاضبةً.

«علينا التفكير ملياً في كل الاحتمالات، واختفاء سوني مع الفتى لا يساعدنا. بقيامها بذلك ربما تريد حمايته، ولكنها قد تعرف شيئاً ما أيضاً لا نعرفه. أتوقّع أن يكون قد أطلعها على أمر هام».

«إذا ارتكب نيران أي سوء فستخبرنا سوني بالتأكيد. أنا أعرفها. ما كانت لتُخفي الحقائق لأجل الفتى».

«علينا إبقاء خياراتنا مفتوحة».

«ولكن الأمر مُحال!». صاحت المترجمة.

«لا تقولي لي ما هو مُحال وما هو غير مُحال». قال إرلندور.

«لا يمكنك إبقاؤهما مسجونَين هنا على الأقل». قالت غودني. «لا يمكنك اعتقالهما في هذه الشقة! يجب أن يكونا حرَّين في الذهاب إلى حيث يحلو لهما».

«لا أريد حدوث أي شيء لهما». قال إرلندور. «عليهما أن يُعلمانا بالمكان الذي يقصدانه».

«هذا هراء». قالت غودني.

«ها هي!».

وحدّق سيغوردور أولي عبر الباب إلى حيث كانت سوني واقفة برفقة شقيقها في الممرّ، ولكن لا وجود لنيران.

توجهت غودني إليهما، وقالت شيئاً ما بالتايلاندية، فأجابها فيروت. ونظرت سوني إلى إرلندور بقلق.

«لم يفعل نيران أي شيء». قالت.

«أين هو؟». سأل إرلندور.

تحدّثت سوني إلى غودني للحظات طويلة.

«ليست واثقة من قدرتها على الاعتناء به». قالت غودني. «إنه بأمان

حيث هو موجود الآن. تعرف سوني أنكم تريدون استجوابه، ولكنها تقول إن الأمر غير ضروري. لم يفعل أي شيء ولا يعرف شيئاً. جاء إلى المنزل يوم أمس ورأى الشرطة وعرف بما حصل لشقيقه فدخل في حالة صدمة. لذا، اختبأ ولم يتمكن من مكالمة والدته حتى هذا الصباح. لقد أكد لسوني أن لا فكرة لديه البتة عما حدث لشقيقه. لا يد له في ذلك، ولم يرَ أو يلتقي إلياس في ذلك اليوم. كان خائفاً».

«خائفاً! مِمَّ؟!».

«من أن يحدث له الأمر نفسه». قالت غودني.

«هلاّ أخبرتِ سوني أنه من غير الصائب إخفاء الفتى. إنه سلوك مُريب، لا بل خطير أيضاً ما دمنا لا نعرف المزيد عن تلك القضية. فنحن لا نعرف ما حدث لإلياس، وإذا كانت تعتقد أن نيران في خطر فسيكون عليها أن تثق بنا للاعتناء به. فهي الآن تزيد الأمور سوءاً».

ترجمت غودني كلمات إرلندور أثناء تكلّمه، ولكن سوني شرعت بهز رأسها قبل إنهائها الترجمة.

«لم يفعل نيران أي شيء». قالت ثانيةً مُحملِقةً بإرلندور.

«رجاءً، اطلبي منها أن تطلعنا على مكان وجود ابنها». قال إرلندور.

«تقول إن لا حاجة لكم للقلق عليه». قالت غودني. «وهي تطلب منكم العثور على قاتل إلياس بدلاً من ذلك. هل هناك أية تطورات جديدة في هذا الصدد؟».

«لا». قال إرلندور محاولاً تخيُّلَ موقفِه لو كان في وضع سوني. ربما تقوم بالأمر الصائب. لم يكن بإمكانه اتخاذ قرار في هذا الشأن.

«بلَغنا أنك التقيتِ رجلاً أيسلندياً». قال إرلندور. «ولم تسنح لي الفرصة بعد لأسألك عنه».

فترجمت غودني ما قاله.

«لا علاقة له بذلك». قالت سوني.

«من هو ذلك الرجل؟». سأل سيغوردور أولي. «ماذا يمكنك أن تخبرينا عنه؟».

«لا شيء». قالت سوني.

«هل تعرفين أين يمكننا العثور عليه؟».

«لا». أجابت سوني.

«هل هو في العمل؟ هل تعرفين أين يعمل؟».

«لا شأن لكم بذلك». قالت سوني.

«ما نوع العلاقة التي تربطك به؟». سأل إرلندور.

«إنه صديقي».

«أي نوع من الأصدقاء؟».

«لا أفهم سؤالك».

«هل هو أكثر من مجرد صديق؟».

«لا، ليس أكثر من ذلك».

«هل تعتقدين أن ذاك الرجل متورط بمقتل ابنك؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا». قالت سوني مؤكدة.

«أليس هذا كافياً في الوقت الحاضر؟». سألت غودني.

فأومأ إرلندور برأسه.

«سنتحدث إليها مرة أخرى في وقت لاحق من هذا اليوم، وحاولي إفهامها أنها لا تساعدنا البتة من خلال إخفائها نيران».

«باستثناء أنها تساعد على إنقاذ حياته ربما». قالت غودني. «حاول وضع نفسك مكانها. حاول أن تفهم ما تمرّ به».

نزلوا السلّم ودخلوا سيارة إرلندور.

«مَن هي هذه المرأة التي لديها مترجمة وفيّة على هذا النحو؟». سأل إرلندور مُخرجاً علبة سجائره.

«هل ستدخّن؟». قال سيغوردور أولي الجالس على المقعد الخلفي.

«غودني؟». قالت إيلينبورغ. «أقامت في تايلاندا طوال سنوات. وهي تذهب إلى هناك بانتظام. إنها تحترم المكان وشعبه، وتعمل مرشدة سياحية في الصيف. أعتقد أنها قامت بعمل عظيم في ظل ظروف صعبة. هي تُعجبني».

«إنّها لا تُطيقك». قال سيغوردور أولي لإرلندور.

أشعل إرلندور سيجارته وحاول نَفْث الدخان في اتجاه المقعد الخلفي.

«هل عرفتَ أي شيء آخر من أندريه؟». سأل.

كان سيغوردور أولي قد بقي في غرفة المقابلات عندما قفز إرلندور على قدمَيه وخرج من الغرفة راكضاً. فأخبره كيف حاول من دون طائل حمل أندريه على إعطائه اسم الرجل الذي انتقل مؤخراً إلى الحيّ. ووصف سيغوردور المقابلة لإيلينبورغ. كان يعتقد أن أندريه قد لفّق قصة وهمية لتشتيت الانتباه عن شخصه؛ إنها خُدعة قديمة بالية.

«لقد رفض أن يصف لي الرجل». قال سيغوردور أولي، «أو تزويدي

بأية تفاصيل عنه».

«إذا كان قد ألحق الأذى بأندريه في طفولته، فلا بدّ إذاً أن يكون أكبر سنّاً منه بقليل». قال إرلندور. «لا أعرف، ربما يكون في العقد السابع من العمر الآن. في الواقع، لا أعتقد أن المجرم مُعجب بالأطفال، فأمثاله ليسوا قَتَلة. ليس في المعنى الحَرفي بأية حال».

كان التحقيق في يومه الثاني، وكانوا لا يزالون يفتقرون إلى معلومات كافية للتمكن من وضع استنتاجات. لم يُبلغ أحد عن رؤية تحركات إلياس في ذلك اليوم، وعن رؤيته في المكان حيث طُعن. كانت الشقق العليا للمجمعات السكنية القريبة تُشرف على مسرح الجريمة، ولكن أيّاً من السكان لم يرَ أي شيء غير عادي أو مُريب. فعدد قليل جداً من الناس كانوا في منازلهم في ذلك الوقت من اليوم عندما قُتِل إلياس.

وتركّز اهتمام إرلندور على المدرسة. لقد أخبرته إيلينبورغ كيف كان نيران - في المدرسة السابقة - عضواً من زُمرة فتيان مهاجرين تورّطوا في صِدامات. وتساءلت عما إذا كان قد حمل معه إلى المدرسة الجديدة التأثيرات التي عانى منها هناك. وأشار إرلندور إلى أنه كان عضواً في زُمرة - كما قال له أحد التلاميذ - تتسكع حول الصيدلية المحلية، وأنهم كانوا يتصادمون أحياناً مع تلاميذ آخرين من المدرسة.

«إذاً، لدينا شخص يحبّ الأطفال، ومعتدٍ منتظم، وحبيب أيسلندي». قال سيغوردور أولي. «من دون أن ننسى المدرّس الذي يكره بوضوح كل المهاجرين، ويثير شعوراً معادياً في المدرسة. مجموعة جيدة».

من الواضح أنه كان يجب على نيران أن يكون شاهداً أساسياً في القضية، ولكن اختفاءه أو فراره أو اختباءه مع والدته يُظهر أهميته. لقد تركوه يُفلت من قبضتهم بالطريقة الأكثر خُرقاً التي يمكن تصوّرها. ولإرلندور كَمٌّ كبير من الكلمات القاسية التي يريد أن يقولها في هذا الشأن. لقد لام نفسه دون سواه بسبب ما آلت إليه الأمور.

«كيف كان بإمكاننا توقّع هذا الأمر؟». اعترضت إيلينبورغ على ردّ فعله المبالَغ فيه. «كانت سوني متعاونة جداً، ولم يكن هناك ما يوحي بأنها ستقوم بأمر غبيّ».

«علينا التحدث إلى والد الفتى، وحماة سوني، وشقيقها، وعلى الفور»، قال سيغوردور أولي. «فهم أقرب الأشخاص إليها، ويريدون مساعدتها».

فنظر إرلندور إليهما.

«أعتقد أن تلك المرأة قد اتصلت بي اليوم». قال بعد توقف قصير.

«أتعني المرأة المفقودة؟». قالت إيلينبورغ.

«أعتقد ذلك». ومن ثم أخبرهما عن الاتصال الهاتفي الذي تلقّاه أثناء زيارته ماريون في المستشفى.

قالت: لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو، ومن ثم أنهت الاتصال.

«لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو؟». كررت إيلينبورغ بعده. «لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو. ما الذي تعنيه!؟».

«أظن أنها تلك المرأة. لا أعرف إذا كان بالإمكان أن تكون شخصاً آخر. أحتاج الآن إلى الذهاب لرؤية زوجها وإخباره أنها ربما لا تزال على قَيد الحياة. لم يَبلغه أي شيء عنها طيلة هذا الوقت، ومن ثم تظهر وتتصل بي. ما لم يكن على عِلم بكل ما يجري. ما معنى لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو؟ يبدو الأمر كما لو أنهما يخططان لأمر ما. هل من الممكن أن يكونا متورطَين في ضرب احتيال؟».

«هل استصدرتْ بوليصة تأمين كبيرة على الحياة؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا». قال إرلندور. «لم يظهر أي شيء مماثل. ليس هذا فيلماً سينمائياً لهوليوود».

«هل تبدأ بالاشتباه بأنه قتلها؟». سألت إيلينبورغ.

«لا يُفترض بتلك المرأة أن تكون لا تزال على قَيد الحياة»، قال إرلندور. «كل الدلائل تشير إلى انتحارها. ولكنّ الاتصال الهاتفي يخالف تماماً كل السيناريو حتى الآن في كل مظهر من مظاهره».

«ماذا ستقول لزوجها؟». سألت إيلينبورغ.

حاول إرلندور معالجة تلك المسألة منذ تلقّيه الاتصال الهاتفي. كان لديه رأي في الرجل، ويزداد هذا الرأي سوءاً كلما اتضح ماضي الرجل الذي يبدو مدفوعاً برغبة شديدة في الغشّ. إنها الطريقة الوحيدة لوصفه، ويبدو أن العلاقات خارج إطار الزوجية تستحوذ على عقله. لقد وصفه زملاؤه وأصدقاؤه الذين تحدّث إليهم إرلندور بتعابير مناسبة تماماً. وقال العديدون إنه طالما كان يغازل النساء، لا بل إنه زِير نساء أيضاً؛ فهو رجل متزوّج لا يتردد في محاولة الإيقاع بنساء أخريات. ووصف أحدُ زملائه كيف أن مجموعة من العمل خرجت لاحتساء الشراب في مقهى، فقام الرجل بالتودد إلى امرأة أبدت اهتماماً به. لقد خلع خاتم الزواج سرّاً، ودسّه عميقاً داخل إناء زهور. وقد تعيّن عليه العودة في اليوم التالي إلى المقهى للبحث عن

الخاتم.

حدث ذلك قبل أن يلتقي المرأة المفقودة. لم يعتقد إرلندور أنها من النوع الذي يُقيم علاقات غرامية عابرة. لقد نصب لها الرجل فَخّاً، مُخفياً واقع أنه متزوج، ومن ثم ذهب بعيداً في العلاقة الغرامية وبلغ حدّاً لم يكن يتصوّر بلوغه في بادئ الأمر حتى أصبحت العودة عن الأمر مستحيلة. لقد تعلّق أحدهما بالآخر، واكتنفها شعور عميق بالذَّنْب، والكآبة، والوحدة. رفض الرجل الاعتراف بأي من هذه الأمور عندما سأله إرلندور عن حالتها النفسية قبل أن تختفي. كانت معنوياتها مرتفعة كما قال. «لم تقل لي قطّ أي شيء عن شعورها بأنها في حالة سيّئة». وعندما ألحّ عليه إرلندور وسأله عن شكوك المرأة بأنه أقام علاقة غرامية أخرى بعد عامَين فقط من زواجهما، هزّ كتفَيه كما لو أن الأمر ليس من شأن إرلندور وغير ذي صلة بالموضوع تماماً. وعندما ألحّ إرلندور أكثر فأكثر، قال الرجل إنه شأنه الخاص، وليس من شأن أي شخص آخر.

لم يكن هناك شهود على اختفاء المرأة. إذ كانت قد اتصلت بمركز عملها لتقول إنها مريضة، ولازمت المنزل طوال اليوم. كان أبناء زوجها مع والدتهم. وعندما عاد نحو الساعة السادسة، لم تكن موجودة. لم يُجرِ أي اتصال معها خلال اليوم. ومع انقضاء المساء من دون بُلوغه أي خبر منها، شعر بالقلق وعجز عن النوم في تلك الليلة. ذهب إلى العمل في صباح اليوم التالي واتصل بالمنزل، ولكن أحداً لم يُجِب، فاتصل بأصدقائهما، وزملائها، وبعدة أماكن يمكن أن تكون موجودة فيها، ولكنه لم يتمكن من العثور عليها في أي مكان. ومرّ اليوم وامتنع عن الاتصال بالشرطة. وعندما لم تَعُد في صباح اليوم التالي، اتصل أخيراً ليُبلغ عن فقدانها؛ حتى إنه لم يكن يعرف ما الذي كانت ترتديه عندما غادرت المنزل. لم يلاحظها الجيران، وتبيّن أن أيّاً من أصدقائهما، أو صديقاتها القديمات، لا يعرف شيئاً عن مكان وجودها. كانا يملكان سيارتَين، ولا تزال سيارتها مركونة أمام المنزل. لم تطلب سيارة أجرة.

لقد تخيّلها إرلندور تغادر منزلها، وتخرج بمفردها في يوم شتائي حالِك. عندما وصل إلى منزلهما في بادئ الأمر، كانت أنوار 25 كانون الأول تضيء الحي، وقال لنفسه إنها لم تلاحظها مطلقاً على الأرجح.

«لا يمكن أن تكون هناك أية ثقة لعينة بين الناس الذين يبدأون علاقة في خلفيّة من هذا النوع». قالت إيلينبورغ بنبرة غير موافِقة كالعادة عندما تناقش هذه القضية.

«ومن ثم، هناك مسألة المرأة الرابعة». قال سيغوردور أولي. «هل هي موجودة؟».

«يُنكر الزوج بشكل مُطلَق إقامته أية علاقة غرامية، ولم أجد أي دليل على قيامه بذلك». قال إرلندور. «لدينا فقط ما قالته زوجته عن كيفية اعتقادها أنه يجتمع بامرأة أخرى، ومعاناتها من المسألة برمّتها. يبدو أنها أسِفت بعمق على زواجها منه».

«ومن ثم تتصل بك ذات يوم عندما ترى اسمك في الصحف بسبب جريمة القتل!». قالت إيلينبورغ.

«كما لو أنه اتصال من القبر». قال إرلندور.

وجلسوا صامتين، وفكّروا في المرأة التي فُقدت وفي سوني وإلياس الصغير الذي قتل في الحديقة وراء مجمَّع الشقق السكنية.

«هل تصدّق الأمر فعلاً؟». سألت إيلينبورغ. «أعني عن نيران؟ أنه من يجب أن يتحمّل اللوم بسبب وفاة شقيقه؟».

«لا». قال إرلندور. «لا، البتة».

«ولكنها تحاول إبعاد الفتى عن الطريق كما يبدو، وإلا لأبقته في المنزل». قال سيغوردور أولي.

«ربما يكون خائفاً». قال إرلندور. «ربما يكونان كلاهما خائفَين».

«ربما تشاجر نيران مع شخص ما فقام هذا الأخير بتهديده». قالت إيلينبورغ.

«ربما». قال سيغوردور أولي.

«على الأقل، لا بد من أن يكون قد قال أمراً ما أثار رد فعل سوني القوي هذا». قالت إيلينبورغ.

«بالمناسبة، كيف حال ماريون؟». سأل سيغوردور أولي.

«سينتهي الأمر قريباً». قال إرلندور.

وقف بجانب نافذة مكتبه في مركز الشرطة في هفرفيسغاتا، مدخّناً سيجارة ومراقباً الثلج المنجرف وهو يتحرك على امتداد الشارع بشكل دائري. كان الضوء يضمحلّ، وواصل البَرْدُ إحكامَ قبضته على المدينة، قبل أن يخمد حتى وقت لاحق.

رنّ الهاتف الداخلي على طاولته، وأُبلغ أن شاباً يسأل عنه عند مكتب الاستقبال ويدعى سيندري سناير. فأدخله إرلندور على الفور، وسرعان ما ظهر ابنه عند الباب.

«فكرتُ في زيارتك بدون موعد وأنا في طريقي إلى الاجتماع». قال.

«ادخل». قال إرلندور. «أي اجتماع؟».

«أيه أيه». قال سيندري. «مركز الاجتماع هنا في هفرفيسغاتا في هذا الشارع».

«ألا تشعر بالبَرْد وأنت بهذه الملابس؟». وأشار إرلندور إلى سترة سيندري الصيفية الرقيقة.

«ليس حقاً». قال سيندري.

«تفضّل بالجلوس. هل ترغب في تناول القهوة؟».

«لا، شكراً. سمعتُ بالجريمة. هل تتولى التحقيق فيها؟».

«مع آخرين».

«هل تعرف أي شيء؟».

«لا».

في وقت سابق، كان سيندري قد انتقل إلى ريكيافيك من الفيوردات الشرقية حيث كان يعمل في مصنع للأسماك. وهو يعرف قصة وقوع إرلندور وشقيقه في شَرَك عاصفة ثلجية عند المستنقعات فوق إسكيفيوردور، وكيفية توجّه إرلندور إلى هناك كل عامَين لزيارة المستنقعات حيث كاد يتجمّد حتى الموت في صِغَره. لم يكن سيندري غاضباً من والده بقَدْر غضب إيفا ليند منه؛ وحتى وقت قريب، لم يشأ أن تكون له أية علاقة به. ولكنه اعتاد في الآونة الأخيرة زيارته بشكل غير متوقَّع في المنزل أو في العمل، وتكون زياراته وجيزة بصفة عامة وتمتد فترةَ تدخينِ سيجارة.

«هل بلغك أي شيء من إيفا؟». سأل.

«لقد اتصلتْ وسألتْ عن فالجيردر».

«امرأتك؟».

«ليست امرأتي». قال إرلندور.

«ليس هذا ما تقوله إيفا. تقول إنها انتقلت للعيش معك عملياً».

«هل هي مستاءة بسبب فالجيردر؟».

فأومأ سيندري برأسه وأخرج علبة سجائر.

«لا أعرف. ربما تعتقد أنك ستفضّلها على سواها».

«أفضّلها؟! على من؟».

«عليها؟». سأل إرلندور.

فهز سيندري كتفَيه.

«هل قالت لك أي شيء؟».

«لا». قال سيندري.

«لم تتصل بي إيفا منذ أسابيع، باستثناء ذلك الاتصال الهاتفي. هل تعتقد أن ذلك هو السبب؟».

«ربما يكون الأمر كذلك. أعتقد أنها تتعافى. لقد تركت ذلك التاجر وقالت لي إنها ستحصل على وظيفة مجدداً».

«أليست القصة القديمة نفسها؟».

«بالتأكيد».

«ماذا عنك؟ كيف حالك؟».

«بخير». قال سيندري واقفاً. وأطفأ سيجارته في المِنفضة على الطاولة. «هل تفكر في الذهاب إلى الشرق هذا الصيف؟».

«لم أفكر في الأمر. لماذا؟».

«كنت أتساءل فحسب. لقد ذهبتُ ذات مرة لإلقاء نظرة على المنزل عندما كنت أعمل هناك. لا أعرف إذا كنت قد أخبرتك بذلك».

«إنه مهجور الآن».

«إنه مكان يزرع الغمّ في النفس تماماً؛ ربما لأنني أعرف سبب انتقالك منه».

فتح سيندري باب الممر وقال:

«ربما تكون راغباً في إعلامي. أعني إذا قصدتَ الشرق».

وأغلق الباب وراءه بهدوء من دون أن ينتظر إجابة. جلس إرلندور على كرسيّه، محدّقاً بالباب. للحظات، عاد بالذاكرة إلى المنزل في المزرعة حيث وُلد ونشأ. لا يزال منزل المزرعة قائماً عند المستنقع، مهجوراً. كان قد نام فيه عندما زار أشباح طفولته لسبب غير واضح تماماً؛ ليسمع ربما أصوات أفراد عائلته مجدداً، ويتذكر ما كان لديه ذات مرة وما أَحبه.

كان في ذلك المنزل الذي بات فارغاً بدون حياة، ومعرّضاً للعوامل الجوّيّة، عندما سمع للمرة الأولى تلك الكلمة المنفِّرة وغير المألوفة التي أصبحت منقوشة في ذهنه.

قاتل.

14

ذكّرته الفتاة قليلاً بإيفا ليند، عدا عن كونها أصغر سنّاً وأكثر بَدانة إلى حد كبير؛ طالما كانت إيفا نحيلة بشكل مُحزِن. ترتدي الفتاة سترةً جلدية قصيرة فوق كنزة قطنية خضراء رقيقة، وسروالاً مموّهاً قذراً، وتخترق حلْقة معدنية أحد حاجبَيها. على شفتَيها أحمر شفاه أسود، وحول إحدى عينَيها سَواد. جالسةً في الناحية المقابلة لإرلندور، بدت كما لو أنها كعكة مُحلاّة عسيرة المضغ. وتكشف تعابير وجهها عن اشمئزاز عنيد من كل ما يمكن للشرطة أن تمثّله. بجانبه، رمقت إيلينبورغ الفتاة بنظرة توحي بأنها تريد دسّها في غسّالة تشغّلها على صيغة الشَّطف.

كانا قد استجوبا شقيقتها الكبرى التي بدت نوعاً ما النَّموذج للشقيقة الصغرى. وهي وقحة تماماً، شخصيةٌ متصلّبة مع سلسلة من القناعات بتعاطي المخدرات وبَيعها. وبما أنه لم يُقبض عليها مطلقاً مع كميات كبيرة منها، فقد صدرت بحقها أحكام معلَّقة. وكالمعتاد، رفضت الإفصاح عن أسماء المتّجرين بالمخدرات الذين تبيع لصالحهم، وعندما سُئلت عما إذا كانت تدرك ما تفعله بشقيقتها من خلال جرّها إلى عالم المخدرات، ضحكت في وجهَيهما وقالت: «الحصول على حياة».

حاول إرلندور إفهام الشقيقة الصغرى بأنه لا يُبالي بما تفعله في المدرسة. فالاتّجار بالمخدرات ليس ضمن مسؤولياته ولن تواجه أية مشكلة معه في هذا الشأن، ولكنها إذا لم تُعطِ إجابات مُقنِعة عن أسئلته فسيقوم بإرسالها إلى أرض زراعية وسط المجهول لتقضي العامَين القادمَين فيها.

«أرض زراعية!». ونخرت الفتاة. «ما هي بحق الجحيم؟».

«منها يأتي الحليب». قالت إيلينبورغ.

«لا أشرب الحليب». قالت الفتاة محَملِقة، كما لو أنه يمكن لهذا التصرف أن يكون لمصلحتها.

ناظراً إليها، لم يتمالك إرلندور نفسه عن الابتسام بالرغم من كل شيء. فأمامه يجلس مثالٌ عن الأعماق الأكثر بؤساً التي يمكن للحياة البشرية أن تنحدر إليها، فتاةٌ صغيرة لا تعرف سوى الإهمال والنّبذ. لم تكن بيَد الفتاة حِيلة بشأن وضعها؛ فهي من منزل يواجه مشكلة نموذجية، وقد تُركت لتنشئة نفسها بدون أية مساعدة إلى حد كبير. لقد أقنعتها شقيقتها الكبرى – مثالها الأعلى والتي يفترض بها الاعتناء بها - ببيع المخدرات وتعاطيها أيضاً. ولكن ذلك ليس أسوأ ما في الأمر. فهو يعرف من

ابنته كيفيةَ تسديد الديون، وتكلفةَ شراء غرامٍ واحد، وما يتعيّن عليهنّ القيام به أحياناً لشراء غِبطتهنّ، ونوع الحياة التي تحياها هذه الفتاة الصغيرة.

كانت تحمل لقب هِدي، وبدت مطابقة للمعلومات التي تملكها الشرطة عن المروِّجين في الملعب. هي تُنهي دراستها الإلزامية، وتُقيم في الحيّ، وتتسكع في الأنحاء مع رجال في العشرين من العمر؛ ليسوا سوى أصدقاء شقيقتها الكبرى. كانت الوسيطة، وبَلغتهم تفاصيل مقزِّزة ومتنوّعة عنها في المدرسة.

«هل كنت تعرفين إلياس؟ أعني الفتى الذي مات؟». سأل إرلندور.

كانوا جالسين في غرفة المقابلات، وبرفقة الفتاة عاملةٌ اجتماعية من وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال. لم يكن بالإمكان الوصول إلى والدَيها. كانت تعرف سبب استدعائها، فقد تحدّثت إليها العاملة الاجتماعية، وأخبرتها أنهم يجمعون معلومات ليس إلا.

«لا». قالت هِدي، «لم أكن أعرفه البتة. لا أعرف من قتله. لستُ من قتله».

«لا أحد يقول إنك من قتله». قال إرلندور.

«لستُ من قتله».

«هل تعرفين ما إذا كانت قد حدثت أية...؟». وتوقف إرلندور. كان سيسألها عما إذا كانت قد حدثت أية شجارات بين إلياس وآخرين في المدرسة بصفة خاصة، ولكنه لم يكن واثقاً مما إذا كانت ستفهم كلمة «شجارات». لذلك بدأ ثانيةً: «هل تعرفين ما إذا كان لإلياس أي أعداء في المدرسة؟».

«لا». قالت الفتاة. «لا أعرف. لا أعرف أي شيء عن ذلك الصغير إلياس. فأنا لا أروّج المخدرات هناك. هذا هراء ليس إلا!».

«هل حاولتِ بيعه المخدرات؟». سألت إيلينبورغ.

«أي نوع من المغفّلات أنتِ!». قالت الفتاة بغضب. «أنا لا أكلّم المغفَّلين على غرارك».

فابتسمت إيلينبورغ.

«هل بعتِه المخدرات؟». سألت ثانيةً. «بلغَنا أنك تُرغمين الفتيان الأصغر سنّاً منك على إعطائك المال؛ حتى إنك تُرغمينهم على شراء المخدرات منك. ربما علّمتك شقيقتك كيفية التعاطي مع الأمر لأنها ذات خبرة وتعرف كيفية جعل الصغار يخشونها. ربما تكونين خائفة من شقيقتك

الكبرى أيضاً. ولكننا لا نُبالي بذلك. لا يمكننا المُبالاة بفتاة مثلك».

«هِيه، اسمعي...». اعترضت العاملة الاجتماعية.

«لقد سمعتِ ما نعتتني به». قالت إيلينبورغ مُديرةً رأسها ببطء نحو العاملة الاجتماعية، وهي امرأة تناهز الثلاثين من العمر. «أبقيتِ فمك مُطبَقاً حينذاك، ويُفترض بك إبقاؤه مُطبَقاً الآن أيضاً. نريد أن نعرف إذا كان إلياس يخشاك». تابعت ناظرةً إلى هِدي مجدَّداً. «هل طاردتِه لإخافته وطعنتِه بسكين؟ نعرف أنك تستحوذين على عقول الصغار لأن هذا هو الأمر الوحيد الذي تُجيدينه في وجودك البائس هذا. هل اعتديتِ على إلياس أيضاً؟».

فحدّقت هِدي بإيلينبورغ.

«لا». قالت بعد صمت طويل. «لم أقترب منه مطلقاً».

«هل تعرفين شقيقه؟». سأل إرلندور.

«أعرف نيران». قالت.

«كيف تعرفين نيران؟ هل أنتما صديقان؟».

«مُحال! لسنا صديقَين. أكره ملوّني البشرة. لم أقترب منهم مطلقاً، ولا حتى إلياس ذاك. لم أقترب منه قط ولا أعرف من اعتدى عليه».

«لماذا قلتِ إنك تعرفين نيران؟».

فابتسمت الفتاة كاشفةً عن أسنانِ شخص بالغ غير متناسقة مع فمها الصغير ووجهها الطفولي.

«هم من يبيعون المخدرات اللعينة. ملوّنو البشرة اللعينون!».

كان ماريون برايم نائماً عندما زار إرلندور المستشفى قرابة المساء، وكان السلام يسود جناح المصابين بأمراض مميتة، وجهاز الراديو يبثّ في مكان ما تقريراً عن الطقس. لقد انخفضت درجة الحرارة إلى عشر درجات تحت الصفر، وتفاقمت الحرارة بسبب الريح الشمالية الجافة. قليلون هم الأشخاص الذين خرجوا في هذا البَرْد، في حين فضّل غالبية الناس ملازمة منازلهم، مُضيئين كل الأنوار ورافعين حرارة التدفئة المركزية. كان التلفاز يبثّ أفلاماً مُشمِسة من إسبانيا وإيطاليا تُظهر سماوات زرقاء، ودفء البحر المتوسط، وألواناً زاهية.

فتح ماريون عينيه بعد مرور دقائق عديدة على وقوف إرلندور قرب السرير. ورفع بعناء وبطء يده المُلقاة على اللحاف الطريّ. وبعد لحظة تردُّد، دنا منه إرلندور، وأمسك يده وجلس قرب السرير.

«كيف تشعر؟». سأل.

أغمض ماريون عينيه، وهزّ ذلك الرأس الكبير كما لو أنه لم يعتبر أن للأمر أية أهمية. كانت ساعة الرحيل تدنو، ولم يتبقَّ وقت طويل. لاحظ إرلندور مرآة يدوية صغيرة على الطاولة قرب سرير ماريون، وتساءل عما تفعله هناك. لم يعرف قطّ أن ماريون يهتم بالمظاهر.

«القضية؟». قال ماريون. «ماذا يحدث في القضية؟».

كان إرلندور يعرف بالضبط ما هو متوقَّع منه. بالرغم من كونه على فراش الموت، كان ماريون مهتماً بآخر ما توصل إليه التحقيق. ومن العينَين المرهقتَين المثبّتتَين عليه، قرأ إرلندور السؤال الذي طالما كان يطرحه على نفسه أثناء النوم وفي اليقظة: من باستطاعته القيام بهذا الأمر؟ كيف يمكن لأمر مماثل أن يحدث؟

وشرع إرلندور بتقديم تقرير عن التطور الذي شهده التحقيق. كان ماريون يُصغي بعينَين أُغمِضتا مجدداً. لم يعرف إرلندور ما إذا كان رئيسه نائماً أم لا. كان يشعر بوَخْزات ضمير خفيفة بسبب عدم زيارته ماريون إلا لأسباب تعاطفية بَحتة، ويتوق لسؤال المريض المتهالك عن أمر ما يعرف أنه لن يجده أبداً في سجلات الشرطة. وأخذ إرلندور وقته. لقد ساعده أيضاً عرض القضية ببطء. وفي إحدى مراحل السَّرد، فتح ماريون عينيه، واعتقد إرلندور أنه يُفترض به التوقف، ولكنه أُعطي إشارة الاستمرار.

«هناك أمر واحد عليّ أن أسألك عنه». قال إرلندور عندما أتمّ سرده لمجرى الأحداث أخيراً عن زيارة أندريه. لقد بدا ماريون نائماً، إذ كان مُغمَض العينَين ويكاد تنفّسه لا يُرى. كانت اليد التي يمسكها إرلندور رَخوة، ولكن ماريون أدرك كما يبدو أن إرلندور لا يقوم بزيارة مجامَلة بَحتة. ففتح تينك العينَين المُرهقتين قليلاً، واشتدت قبضته على يد إرلندور كما لو أنها إشارة للشروع بالكلام.

«يتعلق الأمر بأندريه». قال إرلندور.

فضغط ماريون على يده.

«أخبرَنا عن رجل كان يعرفه، وأشار ضمناً إلى أنّ ذاك الرجل يحب الأطفال، ولكنه لم يكشف عن هويّته. لقد فعل شيئاً ما لأندريه عندما كان طفلاً. كل ما نعرفه هو أن ذاك الرجل يُقيم في الحيّ حيث ارتُكبت الجريمة. لا اسم لدينا ولا وصف، ولا أعتقد أنه موجود في سجلاتنا. قال لنا أندريه إنه شديد الذكاء. كنت أتساءل عما إذا كان بإمكانك أن تساعدنا. يراوح التحقيق مكانه الآن، وعلينا تفحّص كل ما نجده مثيراً للارتياب. ليس عليّ قول ذلك لك، فأنت تعرف ما يجري. نحن على عَجَلة

من أمرنا كالعادة؛ ولكن أكثر من أي وقت مضى هذه المرة. اعتقدتُ أنك ربما تكون قادراً على اقتيادنا عبر طريق مختصَرة».

وتبع كلمات إرلندور صمت طويل. لقد اعتقد أن ماريون قد غفا، وأصبحت اليد التي يمسكها رَخوة، وهبط السلام على وجه رئيسه السابق.

«أندريه...؟». قال ماريون أخيراً بتأوّه أكثر منه بتنهيدة.

«لقد تحققتُ من أمره». قال إرلندور. «وُلد ونشأ في العاصمة. وإذا حدث أمر ما، فمن المحتمل أن يكون هنا في ريكيافيك. لا نعرف. أندريه صامت كالقبر».

لم يقل ماريون شيئاً، فاعتقد إرلندور أن الوضع ميؤوس منه. لم يكن قد توقّع أي شيء في الواقع، ولكنه شعر بأن الأمر جدير بالمحاولة. كان يعرف قدرات ماريون برايم، وتلك الذاكرة والموهبة لإقامة روابط فورية غير محتمَلة إلى أبعد حد. ربما يقوم باستغلال رئيسه السابق، وربما يذهب بعيداً في ذلك. وقرّر نسيان الأمر. يُفترض به السماح لماريون بالموت بسلام.

«كان لديه...». وبذل ماريون جهداً للكلام، واشتدت قبضته على يد إرلندور.

«ماذا؟ ماذا كان لديه؟».

اعتقد إرلندور أن باستطاعته تمييز ابتسامة محدودة على وجه ماريون. لقد ظنّ في بادئ الأمر أنه يتخيّل ذلك، ولكنه بات مقتنعاً أن ماريون يبتسم في الواقع.

«... زوج أم». شهق ماريون.

وساد الصمت مجدداً.

«يا إرلندور». قال ماريون بعد فترة من الزمن. وبقيت عينا المريض مُغمضتَين، ولكن تجهّماً ارتسم على وجهه ببطء.

«أجل». قال إرلندور.

«لا... وقت...». همس ماريون.

«أعرف». قال إرلندور. «أنا...».

وغابت عن ذِهنه الكلمات. لم يعرف كيف يُلقي تحية الوداع، ولم يتمكن من إيجاد طريقة للتعبير عن وداعٍ أخير. ما الذي يمكن قوله؟ كان ماريون لا يزال ممسكاً بيده، وناضل إرلندور لإيجاد الكلمات المناسبة؛ لإيجاد شيءٍ ما يظنّ أن ماريون يريد سماعه. وعندما لم يجد أية كلمة جلس بصمت، ممسكاً تلك اليد الضعيفة التي تحمل بُقَع نيكوتين صفراء وأظافر طويلة.

«اقرأ... لي». قال ماريون.

لقد استخدم آخر ما يملكه من قوة لقول تَينك الكلمتَين. فانحنى إرلندور إلى الأمام ليسمع بشكل أفضل.

«اقرأ...».

وتلمّس ماريون بعَجْز الطاولة قرب السرير ليمسك بالمرآة الموضوعة فوقها.

فالتقط إرلندور المرآة ووضعها بين يدَي ماريون الذي أسندها كي لا تقع، وقابل وجه الموت.

أمسك إرلندور كتاباً كان قد أحضره معه، صفحاتُه مَطويّة الزوايا وبالية. فتحه على صفحة غالباً ما كان يطالعها، وشرع بالقراءة.

طوال قرون، كان هناك درب جبليّ يمتد من إسكيفيوردور إلى فلوتسدالشيراد عبر مستنقع إسكيفيوردور. كانت هناك طريقُ جيادٍ قديمة في محاذاة شمال نهر إسكيفيوردور تتجه نحو داخل البلد على امتداد حَيْد لانجيريغور، في اتجاه أعلى نهر إينري-ستينسا، عبر وادي فينارداالور وفوق منحدرات فيناربريكور، إلى ميدهيدارندي، ومن هناك في اتجاه هضبة أودارفلوت وعلى امتداد جُروف أوداركليتور وصولاً إلى حدود مقاطعة إسكيفيوردور. ويتوسط وادي ثفيراردالور جبال أَندري وهاردسكافي في الشمال، وهولافيال وسِلهيدي في الشمال البعيد.

كانت باكاسيل ذات مرة مزرعة صغيرة مستأجَرة قرب رأس وادي إسكيفيوردور، على الطريق الجبلي القديم الممتد إلى فلوتسدالشيراد. هي مهجورة الآن، ولكن سْفين إرلندسون كان يزرعها في أواسط القرن مع زوجته آسلوغ برسدوتير وابنَيهما اللذين كانا في الثامنة والعاشرة من العمر. كان سْفين يحتفظ بخراف قليلة...

وكفّ إرلندور عن القراءة.

«ماريون؟». همس.

وعمّ الجناحَ صمتٌ عميق. كانت الظُّلمة المبكّرة للشتاء قد هبطت على المدينة التي تحوّلت إلى بحر متلألئ من الأضواء. ورأى إرلندور انعكاسه على زجاج النافذة المُشرفة على حديقة المستشفى. لقد بدا اللوح الزجاجي العريض أشبه بلوحة صامتة لطبيعة مَيتة في اللحظات الأخيرة. حدّق في النافذة حتى قابل وجهه، وأصبحت الصورة أشبه بالأبيات الختامية لقصيدة تبادرت إلى ذِهنه.

... هل أنا الذي يواصل الحياة، أم الآخر الذي مات؟

عاد إرلندور إلى الواقع عندما وقعت المرآة الصغيرة على الأرض وتحطمت. أمسك اليد الرَّخوة وتحقق من النَّبْض. لقد رحل ماريون عن هذا العالم.

15

قاد إرلندور الفورد فالكون إلى داخل موقف للسيارات أمام مجمَّع الشقق السكنية حيث يُقيم، وترك المحرّك مُداراً لبعض الوقت قبل أن يُطفئه. فبالرغم من كونها قديمة، تعمل السيارة بشكل منتظم كالساعة، وتخرخر براحة عندما يكون ناقل الحركة موضوعاً على صيغة السرعة المنخفضة. كان إرلندور متيَّماً بسيارته، وعندما لا يكون لديه ما يقوم به، كان يقودها أحياناً إلى خارج المدينة. ذات مرة، دعا ماريون للخروج في نزهة بالسيارة إلى بحيرة كليفارفاتن، ولم يكن قد سبق له أن قام بذلك من قَبل. قاد إرلندور إلى جانب البحيرة، وأطلعه على نهاية قضية يحقق فيها. كان قد تمّ اكتشاف هيكل عَظمي في قاع البحيرة، ورُبط الأمر بمجموعة أيسلنديين تلقّوا دروسهم في ألمانيا الشرقية السابقة في الستينيات. كان ماريون قد أبدى اهتماماً خاصاً بالقضية، ورغب إرلندور في القيام بشيء ما لماريون أثناء مرض رئيسه السابق. كان يعرف أنه عندما تقترب لحظة الموت، لم يكن هناك أحد يمكن لضحية داء السرطان الاعتماد عليه.

عابساً بسبب الذِكرى، مرّر يده على عَجَلة القيادة الرفيعة عاجية اللون. لن يرى ماريون ثانيةً، وكل ما تبقّى ذِكريات مرتبطة نوعاً ما بالعَجَلة. فكّر في زمنه على هذه الأرض، وكم كان وجيزاً قبل أن تضطلع أجيال جديدة بمهمته، وسرعان ما ستجد هذه الأجيال نفسها تسلّم مهامّها للأجيال القادمة. لقد مرّ زمنه من دون أن يلاحظ ذلك؛ مفتقراً إلى كل صِلة إلا صِلته بالعمل. وقبل أن يُدرك ذلك، سيجد نفسه مستلقياً في جناح على غرار ماريون يحدِّق بالموت في وجهه.

لم تكن هناك أية مطالبات بالجثة. لقد طلب منه ماريون ذات مرة القيام بإجراءات الجنازة، وناقش إرلندور تلك الخطوات مع ممرضة.

في طريقه من المستشفى إلى المنزل، اتصل إرلندور بسوني. كان شقيقها برفقتها، إضافةً إلى المترجمة غودني التي كانت تَهمّ بالمغادرة عندما وصل إرلندور. لقد قَبِل عرضها بالبقاء.

«هل هناك أي شيء مميَّز؟». سألت غودني. «أي جديد؟».

«لا، ليس بعد». قال إرلندور، ونقلت غودني الأمر لسوني.

«هل تريد أن تُطلعني على مكان وجود نيران؟». سأل.

فتحدثت غودني إلى سوني التي هزت رأسها نافية؛ محدّقةً بإرلندور بعِناد.

«تعتقد أنه من الأفضل له البقاء حيث هو. وتريد أن تعرف متى يمكنها الحصول على جثة إلياس».

«قريباً جداً». قال إرلندور. «هذه القضية هي في رأس أولوياتنا، وسيتم الاحتفاظ بالجثة ريثما ينتهي التحقيق».

جلس إرلندور على كرسيّ بذراعَين تحت التنين الأصفر. كان الجوّ في الشقة أكثر هدوءاً من ذي قَبل، وكان الشقيق والشقيقة جالسَين بجانب بعضهما على الأريكة يدخّنان. لم يسبق لإرلندور أن رأى سوني تدخّن من قَبل. ولم تكن تبدو في حالة جيدة مع وجود انتفاخ تحت عينَيها بسبب الحزن والقلق.

«لماذا أعجبك العيش في هذا الحيّ؟». سأل إرلندور.

«إنه مكان جيد للعيش فيه». قالت سوني فيما ترجمت غودني. «إنها منطقة هادئة جداً».

«هل تسنّى لك التعرّف بجيرانك في الشقق الأخرى؟».

«قليلاً».

«هل صادفتك متاعب مع أي شخص لأنك من تايلاندا؟ هل واجهتِ أي تعصّب عِرقي أو عدائية؟».

«قليلاً».

«ماذا عن ابنَيك؟».

«لم يتذمر إلياس مطلقاً. ولكن، كان هناك مدرّس واحد لم يكن يُحبّه».

«جارتان؟».

«أجل».

«لِمَ لا؟».

«كان يحب المدرسة، ولكنه لم يحب حِصص اللغة الأيسلندية عندما علّمه جارتان».

«وماذا عن نيران؟».

«يريد العودة إلى الوطن».

«إلى تايلاندا؟».

«أجل. ولكنني أريده معي. لقد وجد صعوبة في القدوم إلى هنا، ولكنني أريده معي».

«لم يكن أودين مسروراً عندما اكتشف أمر نيران بعد مدة طويلة من زواجكما، أليس كذلك؟».

«لا».

«أكان هذا سبب طلاقكما؟».

أصغت سوني إلى غودني وهي تترجم السؤال، ثم نظرت إلى إرلندور.

«ربما. ربما كان السبب. فهما لم ينسجما مطلقاً».

«أودّ أن أعرف المزيد عن حبيبك». قال إرلندور. «ماذا يمكنك أن تخبريني عنه؟ هل وقف حائلاً بينك وبين أودين؟».

«لا». قالت سوني. «كان قد انتهى كل شيء بين أودين وبيني عندما ظهر في حياتي».

«من هو؟».

«هو صديقي الصالح».

«لماذا لا تخبريننا أي شيء عنه؟».

لم تُجب سوني.

«هل لأنه لا يريد منك أن تخبرينا؟».

لم تقل سوني شيئاً.

«هل هو خجول بسبب هذه العلاقة بطريقة ما؟».

فنظرت سوني إليه. لقد بدت واثقة بنفسها لإجابته، ومن ثم توقفت.

«هل نيران معه؟».

«لا تسأل عنه. لا علاقة له بهذا الأمر».

«من المهم لنا أن نتحدث إلى نيران». قال إرلندور، «ليس لأننا نعتقد أنه قام بعمل خاطئ، بل لأنه ربما يعرف أمراً مفيداً لنا. هلاّ فكرتِ في ذلك حتى يوم غد».

مرّرت غودني هذا الطلب، ولكن سوني لم تُجِب.

«هل تفتقدين تايلاندا؟». سأل إرلندور.

«ذهبتُ إلى هناك مرتَين منذ ولادة إلياس». قالت سوني. «ستأتي عائلتي لحضور الجنازة. سيكون من الجميل أن أراها مجدداً، ولكنني لا أفتقد تايلاندا».

«هل ستدفنين إلياس هنا؟».

«بالطبع».

ولزمت سوني الهدوء.

«أريد العيش هنا بسلام ليس إلا». قالت بعد توقف طويل. «جئتُ إلى هنا أملاً في حياة أفضل. ظننتُ أنني عثرت عليها. لم أكن أعرف أي شيء عن أيسلندا قبل قدومي إلى هنا. حتى إنني لم أكن أعرف أنها

موجودة. كانت بلد أحلامي. ومن ثم، حدث هذا الأمر الرهيب. قد نعود ربما، نيران وأنا. ربما نحن لا ننتمي إلى هنا».

«بلغَنا من مصدر غير موثوق جداً - لذلك لا نولي الأمر أهمية كبيرة - أن نيران يتسكع مع فتيان متورطين بالمخدرات».

«إنه أمر سخيف».

«هل تعرفين من يكون جابي الديون؟».

فأومأت سوني برأسها.

«هل واجه نيران أية متاعب مع جابي ديون؟».

«لا». قالت غودني بعد تكلّم سوني. «لا يقترب نيران أبداً من المخدرات. أيّاً يكن مَن قال هذا الأمر فهو كاذب».

أطفأ إرلندور محرك السيارة خارج مجمّع الشقق السكنية حيث يُقيم، وخرج إلى الشتاء القارس. أغلق معطفه حوله بإحكام، وسار ببطء نحو المجمّع. داخل الشقة المُظلمة، أضاء مصباحاً. لم يكن هناك قمر يسبح أمام نافذته، وكانت السماء ملبَّدة بالغيوم، والريح تَعصف أمام جدران المبنى.

لم يكن يعرف كم قضى من الوقت جالساً ومفكراً في ماريون عندما سمع قرعاً خفيفاً على الباب. لقد ظن أنه استغرق في النوم، ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك. وقف وفتح الباب، فخرج شكل بشري بهدوء من الممر الظليل وحيّاه. إنها إيفا ليند.

شعر إرلندور بالارتباك؛ فهو لم يرَ ابنته منذ بعض الوقت. كانت علاقتهما في أدنى مستوى لمدة طويلة من الزمن؛ لدرجة أنه توقّع في الواقع عدم رؤيتها مجدداً. كان قد قرر الكفّ عن الركض وراءها، والكف عن إنقاذها من جُحور المخدرات، والكف عن توريط نفسه إذا ظهر اسمها في تقارير للشرطة، والكف عن محاولة حملها على المكوث معه والاعتناء بها، والكف عن محاولة إرسالها لتلقّي العلاج من الإدمان. فأيّ من هذه الأمور لم يغيّر شيئاً إلا في اتجاه الأسوأ. فكلما رأى أحدهما الآخر، ازدادت قدرتهما على الانسجام سوءاً. لقد غاصت إيفا ليند في حالة من الاكتئاب بعد عملية الإجهاض، وصارت عاجزة عن التصرف. كان لجهوده أثر معاكس عليها، فاتهمته بالتدخل والتسلّط. وتمثّلت محاولته الأخيرة بإقناعها بالخضوع لعملية تأهيل بعد معاقرتها الشراب وتعاطيها المخدرات، وعندما لم يُفلح في ذلك تخلّى عن الأمر. لقد شهد حالات مماثلة في عمله. في النهاية، يفقد العديد من الأهل الأمل في شفاء أبنائهم الذين يتعاطون المخدرات ويغرقون أكثر فأكثر من دون التمتع بالحكمة والتعقُّل أو إظهار أدنى رغبة في

التعاون.

لقد قرر تركَها لتفعل ما تشاء، وأدرك أنه نادراً ما كان يتعاطى مع ابنته نفسها، ويكاد لا يعرفها. فما دأب على مصارعته باستمرار هو السُّم الذي حوّلها إلى شخص مختلف. إنها معركة ميؤوس منها؛ فالسُّم ليس إيفا ليند. كان يعرف هذا، عِلماً أنها لم تنحنِ قطّ كما تنحني عندما تجعل من تعاطي المخدرات عذراً لأي شيء. فالسُّم شيء، وإيفا ليند شيء آخر. بصورة عامة، يصعب التمييز بين الاثنَين، ولكن يمكن القيام بذلك. كان يَعي أنه ليس عزاءً بذاته.

«هل يمكنني الدخول؟». سألت إيفا ليند.

كان مسروراً برؤيتها أكثر مما أقرّ بذلك يوماً. لم تكن ترتدي سترتها الجلدية السوداء القبيحة، بل معطفاً أحمر طويلاً. شعرها نظيف ومربوط على شكل ذَيل حصان، وتبرّجها معتدل، ولم يرَ أية حَلقات معدنية في وجهها، أو أحمر شفاه أسود أو أي أحمر شفاه. كما كانت ترتدي كنزة صوفية خضراء سميكة تَقيها البَرْد، وسروال جينز، وتنتعل جزمة جلدية سوداء ممتدة حتى الركبتين.

«بالطبع». قال فاتحاً الباب لها.

«المكان مُظلم هنا بشكل رهيب كما هو الحال على الدوام». قالت ودخلت إلى غرفة الجلوس. أغلق الباب وتبعها. دفعت كومة من الصحف الموضوعة على الأريكة جانباً، وجلست ثم أخرجت علبة سجائر دفعتْها في اتجاهه مع نظرة متسائلة. فأومأ لإفهامها بأنها حرّة بالتدخين في شقته، ولكنه رفض عرضَ مشاركتها التدخين.

«إذاً، ما الجديد؟». سأل وجلس على كرسيّه. لقد بدا الأمر كما لو أن شيئاً لم يتغيّر؛ كما لو أنها غادرته يوم أمس الأول وصودف أنها مرّت به ثانيةً.

«الأخبار القديمة نفسها». قالت إيفا بالإنكليزية.

«أليست اللغة الأيسلندية جيدة لك بما يكفي إذاً؟». سأل.

«أنت لا تتغيّر أبداً، أليس كذلك؟». وألقت إيفا نظرة على رفوف الكتب المليئة، وعلى المطبخ حيث يوجد كرسيّان قرب الطاولة، مِقلاةٌ على مَوقد الطبخ، وأداة لصنع القهوة.

«ماذا عنكِ؟ هل تغيّرتِ؟».

فهزت إيفا ليند كتفَيها بدلاً من إجابته. ربما لم تشأ التحدث عن نفسها لأن هذا الأمر ينتهي عادة بجدالات وشعور سيّئ. لم يشأ أن

يُغضبها بأن يسألها عن المكان الذي كانت فيه طوال مدة غيابها، وفي أي نوع من الحالات كانت. كانت تقول له في غالب الأحيان إن ما تتورط به ليس من شأنه. لم يكن الأمر من شأنه مطلقاً، ويقع عليه اللوم في ذلك.

«مرّ بي سيندري». قال ناظراً إلى وجه ابنته. فقسمات وجهها تذكّره أحياناً بوالدته؛ إذ لديها عيناها وعظام الوجنتين العالية نفسها.

«تحدثتُ إليه منذ أسبوع تقريباً. هو يبيع الخشب، ويعمل في كوبافوغور. عمَّ تحدثتما؟».

«لا شيء مميَّز». قال إرلندور. «كان في طريقه إلى اجتماع أيه أيه».

«كنا نتحدث عنك».

«أنا؟!».

«نحن نقوم بذلك على الدوام عندما نلتقي. أخبرني أنه على اتصال بك».

«إنه يتصل بي هاتفياً أحياناً». قال إرلندور. «وأحياناً أخرى يأتي لرؤيتي. ماذا تقولان عني؟ في أي شأن تتحدثان عني؟».

«في أمور مختلفة». قالت إيفا. «يا لغرابتك! أنت والدنا. لا شيء غير عادي بتحدثنا عنك. سيندري يتحدث عنك باستحسان، وأفضل مما ظننتُ».

«سيندري في حالة جيدة». قال إرلندور. «على الأقل لديه عمل».

لم يقصد بهذه الملاحظة استحسان ما يقوم به ابنه، ولم يقصد إصدار أية أحكام، ولكن الكلمات انزلقت من فمه، ورأى تأثيرها في نفس إيفا. حتى إنه لم يعرف ما إذا كانت قد حصلت على وظيفة أم لا.

«لم آتِ إلى هنا لأجادلك».

«لا، أعرف. بأية حال، لا جدوى من الجدال معك. لقد ثَبُت ذلك مراراً وتكراراً. فالأمر أشبه بالصراخ وسط الريح. لا أعرف ماذا تفعلين أو ماذا كنت تفعلين لمدة طويلة من الزمن؛ لا بأس بالنسبة إليّ، ولا علاقة لي بذلك. كنتِ مُحِقة. لا شأن لي بذلك. هل تريدين بعض القهوة؟».

«حسناً». قالت إيفا.

أطفأت سيجارتها وأخرجت أخرى من دون أن تُشعلها. دخل إرلندور المطبخ، ووضع القهوة والماء في أداة صنع القهوة. وسرعان ما بدأ السائل البنّي يقطر داخل الإبريق. وعثر على بعض البسكويتات التي يعود تاريخ انتهاء صلاحيتها إلى شهر مضى، لذلك قام برميها. وبحث عن قدَحَين وأخرجهما، ثم حملهما إلى غرفة الجلوس.

«كيف يسير التحقيق؟».

«بشكل عادي». قال إرلندور.

«هل تملك أية فكرة عما حدث؟».

«لا». قال إرلندور. «ربما ينشط المتّجرون بالمخدرات قرب المدرسة، لا بل في الملعب أيضاً». أضاف، ثم سمّى الشقيقتَين، ولكن إيفا لم تسمع بهما من قَبل. بالرغم من ذلك، كان الاتّجار بالمخدرات في الملعب مألوفاً لديها. فقد مارست هذا الأمر بنفسها، ولمدة وجيزة، منذ سنوات.

أحضر إرلندور القهوة وملأ القدحَين، ومن ثم جلس مجدداً على كرسيّه. لقد راقب ابنته طوال مدة ارتشاف القهوة، وتكوّن لديه انطباع بأنها تبدو أكبر سنّاً، وأكثر نُضجاً ربما، منذ لقائهما الأخير. لم يُدرك على الفور ما الذي تغيّر. لقد خُيِّل إليه أن إيفا لم تَعُد الفتاة الصاخبة المتمردة عليه باستمرار، والتي تنتقده كلما شعرت بالرغبة في ذلك. كان المعطف الذي ترتديه يجعلها تبدو أشبه بامرأة صغيرة، وغاب سلوك المراهَقة الذي كان على الدوام جزءاً من شخصيتها.

«تحدّثتُ وسيندري كثيراً عن شقيقك المتوفّى». قالت إيفا ليند مُشعِلةً سيجارتها.

لقد أخبرته بالأمر ببساطة تامة؛ كما لو أنها لم تَعُد على علاقة شخصية بالحدث الذي بات بالنسبة إليها مجرّد قصة في صحيفة. فغضب منها إرلندور للحظات. ما أصعب التعاطي معها! لقد مرّ أكثر من جيل على وفاة شقيقه، ولكن إرلندور لا يزال سريع التأثر بالأمر. لم يسبق له أن ناقش وفاة شقيقه مع أحد، إلى أن قامت إيفا بتملّقه ذات يوم لإطلاعها على القصة، ويندم أحياناً لأنه أفضى لها بسَريرة نفسه.

«ماذا كنت تقولين عنه؟».

«أخبرني سيندري كيف سمع كل شيء عن الأمر عندما كان في مصنع للأسماك في الشرق. لقد تذكرك وشقيقَك وجدَّينا أشخاصٌ لم يسمع أحد منا بهم من قبل».

سبق لسيندري أن أخبر إرلندور بذلك أيضاً. كان ابنه قد زاره ذات يوم عندما وصل إلى المدينة حديثاً، وأخبره بما سمعه عن إرلندور وشقيقه ووالدهما، وعن رحلتهما المشؤومة إلى المستنقعات عندما ضربت العاصفة الثلجية بدون سابق إنذار.

«تحدّثنا عن القصص التي سمعها». قالت إيفا ليند.

«القصص التي سمعها؟!». قال إرلندور مقلِّداً.

«ربما كان ذلك سبب حُلْمي». قالت إيفا ليند. «لأننا كنا نتحدث

عنه. عن شقيقك».

«بماذا حَلمت؟».

«هل تعرف أشخاصاً يحتفظون بيوميات عن أحلامهم؟ أنا لا أعرف، ولكن صديقتي تدوّن كل ما تَحلم به. لَم أحلم بأي شيء مطلقاً، أو إنني على الأقل لا أذكر أحلامي أبداً. سمعتُ أن الجميع يحلمون، ولكن باستطاعة بعض الأشخاص فقط تذكّر أحلامهم».

«إذاً، أخبريني بما كنتِ تتحدثين عنه أنت وسيندري».

«ما كان اسم شقيقك؟». سألت إيفا متجاهلةً طلبه.

«بِرغور». قال إرلندور. «كان شقيقي يدعى بِرغور. ماذا سمع سيندري عنا في الشرق؟».

«ألم يكن من المُفترض بهم العثور عليه؟».

«قاموا بكل ما يمكنهم القيام به للعثور عليه». قال إرلندور. «بحثت عنا فِرق الإنقاذ والمزارعون المحليّون، وكل من تمكن من ذلك. وعُثر عليّ. لقد انفصلنا بسبب العاصفة الثلجية، ولم يتم العثور عليه مطلقاً».

«أجل، ولكن ما أعنيه، ألم يكن من المُفترض بهم العثور عليه في وقت لاحق؟». قالت إيفا مع نبرةٍ عنيدة في صوتها شبّهها إرلندور بالنبرة في صوت والدته. «أجزاء من الجسم، أو عظام؟».

كان إرلندور مُدركاً تماماً ما تتكلّم عنه إيفا؛ عِلماً أنه تظاهر بعدم فهم ذلك. ربما سمع سيندري هذه القصة في الشرق حيث الناس لا يزالون يتحدثون عن الفتيَين اللذين فُقدا في عاصفة ثلجية مع والدهما منذ عدة سنوات. كان إرلندور قد سمع عدة نظريات قبل أن ينتقل إلى ريكيافيك مع والدَيه. وها هي ابنته الآن، التي لا تعرف شيئاً عن المسألة باستثناء القليل الذي سبق لإرلندور أن أخبرها به، جالسة أمامه متلهّفةً لمناقشة النظريات المتعلقة باختفاء شقيقه. لقد زارته فجأةً في شقته، وأرادت مناقشة أمر شقيقه والتطرّق إلى ذِكريات عذّبته منذ سنّ العاشرة.

«ليس بالضرورة». قال إرلندور. «هل تمانعين إن تحدثنا عن شيء آخر؟».

«لماذا لا تريد مناقشة الأمر؟ لماذا يصعب عليك ذلك كثيراً؟».

«ألهذا السبب قَدِمتِ؟». سأل إرلندور. «ألتخبريني بما حَلَمتِ به؟».

«لماذا لم يتم العثور عليه مطلقاً؟». سألت إيفا.

لم يتمكن من فهم عِناد ابنته. فمع مرور الوقت، أصبح عدم العثور على رُفات شقيقه، لا بل على قبّعته أو قفّازه أو لفاعه؛ أي شيء يخصّه

أمراً مثيراً للدهشة. وكانت للناس نظريات متنوعة عن سبب ذلك، وكان يحاول قدر المستطاع تجنّب التفكير فيها طويلاً.

«لا أريد التحدث عن الأمر. ربما في وقت آخر. أَخبريني عن نفسك. لم نرَ بعضنا منذ مدة طويلة. ماذا كنت تفعلين؟».

«كنتَ هناك». قالت إيفا رافضةً تركه وشأنه. «كنتَ في حُلْمي. لم يسبق لي أن حَلمت بأي شيء بهذا الوضوح. لم أَحلم بك مذ كنت صغيرة، حتى إنني لم أكن أعرف كيف كنتَ تبدو آنذاك».

لم يقل إرلندور شيئاً. لقد حاولت والدته أن تعلّمه تفسير الأحلام، ولكنه طالما كان متردداً وغير مهتمّ. ولم يَلِن طبعه ويُثر اهتمامه إلا في السنوات الأخيرة؛ بالرغم من كل شيء. لقد أخبرته إيفا بأنها لم تَحلم مطلقاً أو تذكر أحلامها، وقالت والدته الأمر نفسه. فلم تبدأ والدته برؤية الأحلام إلا عندما بلغت الثلاثين من عمرها، وطوّرت فجأةً موهبةَ التوقّع بالوفيّات والولادات، ووصول الزوّار، وأحداث عديدة أخرى بدقة غير عادية. ولكنها لم تتوقع وفاة ابنها في حُلْم رأته، وزارها مرة واحدة فقط بعد ذلك في نومها. كانت قد وصفت الحُلْم لإرلندور: كان فصل الصيف، وابنها يقف عند باب منزل المزرعة، مستنداً إلى عِضادة الباب، وقد أدار ظهره لها، ولم تتمكن إلا من تمييز خطه الكفافي. تستمرّ الصورة لمدة طويلة، ولكن يستحيل عليها الدنوّ منه. وتشعر بأنها تمدّ ذراعَيها في اتجاهه من دون أن يلاحظها. ومن ثم يقف بشكل مستقيم، ويطأطئ رأسه ويدسّ يدَيه في جَيبَيه كما كان يفعل، ويخرج إلى يوم صيفي... ويختفي.

حدث ذلك بعد ست سنوات من وفاته. كانوا قد انتقلوا إلى ريكيافيك حينذاك.

نادراً ما كان إرلندور يذكر عالم أحلامه؛ إلا عندما يصبح متورطاً عاطفياً بقضية يحقق فيها. وقد يرى بعد ذلك كوابيس مُزعجة، عِلماً أنه لا يذكر بالضرورة جوهرها. لقد تطلبه الأمر لحظات طويلة لاستيعاب واقع قدوم إيفا لرؤيته بعد كل هذه الفترة لتخبره عن حُلْم رأته وشقيقَه فيه.

«بماذا حَلمتِ يا إيفا؟». سأل باضطراب. «ماذا حدث في حُلْمك؟».

«أَخبرني أولاً كيف مات».

«تعرفين ذلك». قال إرلندور. «تجمّد حتى الموت عند المستنقعات. هبّت عاصفة فدُفنّا في رُكام ثلجي».

«لماذا لم يتم العثور عليه قَطّ؟».

«ما الذي تَرمين إليه من وراء كل هذا يا إيفا؟».

«لم تُخبرني القصة كاملةً، أليس كذلك؟».

«أية قصة؟».

«أخبرني سيندري بما توقع الجميع حدوثه».

«ما الحماقات التي يتفوّهون بها هناك في الشرق؟». قال إرلندور. «ماذا يعتقدون أنهم يعرفون؟».

«في حُلْمي، لم يَمُت نتيجة التعرّض للبَرْد. وهذا الأمر ينسجم مع ما قاله سيندري».

«أرجوكِ، توقفي عن الكلام في الموضوع». قال إرلندور. «لِنكفّ عن ذلك. لا أريد التحدث عنه. ليس الآن. في وقت لاحق، يا إيفا. أَعدك».

«ولكن...».

«باستطاعتك اكتشاف الأمر بالتأكيد». قاطعها. «أما أنا فلا. ربما ينبغي عليك المغادرة. أنا... أنا شديد الانشغال. كان يوماً شاقّاً. لِنناقش الأمر بشكل أفضل في وقت آخر».

وقف، وراقبته إيفا من دون قول أية كلمة. لم تتمكن من فهم رد فعله. لقد بدا الأمر كما لو أن للحدث أثَراً في نفس إرلندور مماثلاً للأثَر الذي تركه في نفسه عندما جرى؛ كما لو أنه ثَبُت عجزه التام عن التعاطي مع الأمر طوال تلك السنوات.

«ألا تريد أن تسمع حُلْمي؟».

«ليس الآن».

«حسناً». قالت أثناء وقوفها.

«بلّغي سلامي لسيندري إذا رأيته». قال إرلندور، ممرّراً أصابعه على شعره.

«سأفعل». قالت إيفا.

«سُررتُ برؤيتك». قال بارتباك.

«وأنا كذلك».

عندما غادرت، وقف مقابل رفوف الكتب لمدة طويلة كما لو أنه في عالم آخر. كانت إيفا تُغيظه، ولا يمكن لأحد سواها إغاظته بالطريقة نفسها. لم يكن مستعداً للخوض في روايات عن اختفاء شقيقه. لقد وعد ذات مرة بإطلاع إيفا على كل القصة، ولكن ذلك لم يحدث بعد. لا يمكنها الظهور في حياته فجأةً الآن، مُصرّةً على الحصول على إجابات كلما شعرت برغبة في ذلك.

كان الكتاب الذي قرأه بصوت مرتفع لماريون برايم مُلقًى على الطاولة

في غرفة الجلوس، فالتقطه. على غرار العديد من كتبه، يتناول هذا الكتاب حوادث مميتة، ولكن ما يميّزه عن كل الكتب الأخرى هو احتواؤه على سَرْد قصير لأحداث جرت قبل عدة سنوات؛ عندما علق برفقة والده وأخيه في عاصفة هوجاء على المستنقعات فوق إسكيفيوردور.

كان إرلندور يطالع القصة كما كان يفعل في غالب الأحيان في السابق. فالروايات تختلف في الطول، ولكن معظمها يحمل البنية الأساسية نفسها؛ عنواناً أو عنواناً فَرعياً أو إشارة إلى مصدر. وتبدأ القصة بصورة عامة بوصف طوبوغرافي يليه السَّرد وحاشية قصيرة. كان قد قرأ هذه الرواية أكثر من أي شيء آخر في حياته، وحفظها عن ظَهر قلب كلمةً كلمة. إنها قصة متجرّدة وموضوعية؛ بالرغم من تناولها الوفاة الموحِشة لفتى في الثامنة من عمره. لا يوجد أي ذِكر للأسى الذي خلّفه الحادث في قلوب أولئك الذين خبِروه، ولن يكون بالإمكان إيجاد كلمات تعبّر عن مشاعرهم.

16

وضعت الشرطة في رأس أولوياتها مسألة تحديد مكان وجود نيران الذي لم يُعرف عنه أي شيء منذ اليوم السابق. فبمساعدة الهيئة التعليمية، جمعوا معلومات عن أصدقائه، وهم فتيان كان يعرفهم ويقضي معهم معظم وقته في المدرسة. وأُجري بحث خاص بعيداً عن الأضواء لم يكن يعلم به سوى إرلندور، وقد استند إلى ما ذكَره ماريون برايم عن وجود زوج أم لأندريه. لم يشأ الكشف عن خط التحقيق هذا لأنه شعر بأن أندريه يكذب عليهم كما فعل في السابق.

وعندما انتشر نبأ نقلِ سوني - والدةُ الضحية - ابنَها البِكر إلى ملجأ آمن، أصبح ذلك خبراً رئيساً في النشرات الإخبارية، وحجّةً إضافية في مختلف أنحاء أيسلندا. لقد تعرّض رجال الشرطة لانتقاد قاسٍ بسبب عدم براعتهم؛ سواء أكان ذلك بسبب السماح لشاهد أساسي بالفرار من أيديهم، أم لأنّه فرّ بسبب عدم كفاءتهم؛ وهذه الحالة أسوأ من سابقتها. وبعد أن أُثيرت الشُّبهات نتيجة محاولة الشرطة إخفاءَ هذه المعلومات - كما هو حال كل شيء مرتبط بالتحقيق - قامت ضجة بسبب هذا الأمر، وبسبب قلّةِ التعاون مع وسائل الإعلام.

لم يكن إرلندور يكره شيئاً أكثر من اضطراره لإطلاع الصحافيين والمراسلين على التقدم الذي شهده التحقيق. كان يشدد على الدوام على أن لا علاقة لتحقيقات الشرطة بوسائل الإعلام، وأن الكشف عن آخر التطورات بشكل متواصل يُلحق الضرر كلّياً بمسار الأمور. كان سيغوردور أولي يخالفه الرأي لأنه يعتبر الكشف عن المعلومات أمراً طبيعياً؛ ما لم يعرّض مصلحة التحقيق للخطر.

«مصلحة التحقيق؟!». استشاط إرلندور غضَباً. «من يبتكر جُملاً كهذه؟! يمكن لهذا الكمّ من التعابير أن يرسل التحقيق إلى غياهب الظلُمات؛ حيث لا تُشرق الشمس على الحقيقة. لا يُفترض بنا نشر أية معلومات لعينة حتى نعرف ما حدث. إذ لا يخدم هذا الأمر أي هدف من أي نوع».

كانا جالسَين في مكتب إرلندور مع إيلينبورغ، على أن يُعقد مؤتمر صحافي في وقت لاحق من ذلك اليوم استجابةً لطلبات وسائل الإعلام. ولكن إرلندور رفض الحضور، ومن شأن ذلك أن يؤدّي إلى جدال صاخب بينه وبين رؤسائه المباشَرين. وتم الاتفاق على أن يكون سيغوردور أولي الناطقَ بلسان الشرطة والمنسّق الإعلامي، إلى جانب نائب رئيس دائرة التحقيقات

الجنائية في ريكيافيك. لقد اعتبر إرلندور أنه من الغباء هدر القوة البشرية على هذه الممارسات العبَثية.

كان قد التقى أودين - والد إلياس - في اليوم السابق؛ عندما تبيّن اختفاء نيران ثانيةً ورفضت سوني الكشف عن مكان وجوده. لقد ذهب إرلندور لزيارته في الشقة في سنورابروت. كان أودين قد حصل على إجازة من العمل لعدة أيام. ولم ينَم جيداً في تلك الليلة كما يبدو، وكان أَشعَث الشعر وفي مظهر سيّئ.

حصلت سيغريدور - حماة سوني - على إجازة من العمل أيضاً، فزارها سيغوردور أولي في منزلها. قالت إنها سمعت نشرة الأخبار، ولم تستطع أن تفهم في الواقع ما يجري. كانت قد عرضت على سوني النوم لديها في تلك الليلة، ولكن سوني رفضت. لم تكن سيغريدور تملك أية فكرة عن تحركاتها، ولم تستطع تخيُّل ما حلّ بنيران. وقد تساءلت عما إذا كان يُفترض بسوني القيام بهذه الخطوة الجَذريّة. وألمح سيغوردور أولي إلى إمكانية قيامها بإخفاء أمر ما عن الشرطة، ولكن سيغريدور رفضت ذلك واعتبرته منافياً للعقل. فبرأيها، تحاول سوني حماية الفتى.

ويتمثل السيناريو الأكثر احتمالاً بقيام سوني بمفاتحة شخص ما من الجالية التايلاندية في المدينة بما حصل. لقد قضت إيلينبورغ وقتاً طويلاً مع شقيقها فيروت، ولم يكن بإمكانها معرفة ما إذا كان يكذب عندما ادعى عدم معرفته أي شيء. كان شديد القلق على شقيقته ونيران، ولام الشرطة على السماح بحدوث أمر مماثل. زارت إيلينبورغ الشقيق بمفردها؛ عِلماً أنه لا يُجيد اللغة الأيسلندية أكثر من سوني، وسألته تكراراً عن نيران، ولكن فيروت ثبت على موقفه.

«يمكنني أن أفهم جيداً إذا لم تشأ إطلاعي على مكان وجود نيران». قالت إيلينبورغ، «ولكن، عليك أن تصدّق أن من مصلحته الكفّ عن الاختباء».

«لا أعرف شيئاً عن نيران». قال فيروت. «لا تخبرني سوني بأي شيء».

«عليك أن تساعدنا». قالت إيلينبورغ.

«لا أعرف شيئاً».

«لماذا أقدمت سوني على هذه الخطوة؟». سألت إيلينبورغ.

«لا أعرف سبب قيامها بذلك. إنها خائفة؛ خائفة على نيران».

«لماذا؟».

«لا أعرف شيئاً».

ثبت الشقيق على موقفه إلى أن استسلمت إيلينبورغ وغادرت.

«علينا العثور على نيران وإخباره أن باستطاعته الوثوق بنا». قال إرلندور. «يجب على سوني أن تفهم ذلك».

«لا يمكنه الاختباء طويلاً». قالت إيلينبورغ. «ستكون سوني بالتأكيد راغبة في أن يحضر الجنازة. أي شيء آخر سيكون مُحالاً».

«ربما ترغب في إبعاد الفتى عن القضية». قال سيغوردور أولي. «ولكنّ هذا التطور الغريب وغير المتوقَّع سلّط الضوء على نيران، وعلى ما يعلمه وما فعله. لا يمكننا تجاهل ذلك».

«لا أستطيع أن أتخيّل قيامه بالاعتداء على شقيقه». قالت إيلينبورغ. «لا يمكنني تصوُّر ذلك فحسب. ربما كان يعرف شيئاً ما بالفعل وهو خائف، ولكنني لا أصدّق أنه شارك في ما حصل».

«ليتنا نستطيع الأخذ بما تستطيعين تصوُّره يا إيلينبورغ». قال سيغوردور أولي. «ألن يكون كل شيء في وضع ممتاز حينها؟».

«لا شيء ممتاز لعين في هذه القضية». قال إرلندور بغضب.

فأطلق سيغوردور أولي ابتسامة عريضة.

«قلتُ لسوني إننا لا نعرف متى تُسلَّم الجثة؛ بسبب التحقيق». قال إرلندور. «هناك احتمال واحد، وهو أنها تحاول كَسب الوقت، ولكن لأي غرض؟».

«هل تنتظر قيامنا بحل القضية؟». سأل سيغوردور أولي. «يُفترض بنا القيام بذلك بأية حال».

«حدثت بعض الصِّدامات العِرقية على نطاق ضيّق في المدرسة وحولها». قال إرلندور. «ونيران متورط فيها بطريقة ما. هناك شجارات ثانوية. إلياس غير متورط بالضرورة، ولكن نيران متورط. عندما تعرّض إلياس للاعتداء، اختفى نيران أو لم يعد إلى المنزل. وعندما ظهر أخيراً، من الواضح أنه تلقى صدمة كبيرة. ربما رأى ما حدث، أو ربما سمع بما حدث ليس إلا. كان في حالة صدمة عندما عثرتُ عليه في مخزن القُمامة، مُقفِلاً على نفسه في مكان خاص في عقله اعتبره آمناً. بأية حال، أطلع نيران والدته على ما يعرفه، وكان رد فعلها إخفاءه. إلامَ يشير ذلك؟».

«إنهما يعرفان ما حدث». قال سيغوردور أولي. «نيران يعرف، وقد أخبر والدته».

فنظر إرلندور إلى إيلينبورغ التي قالت:

«حدث شيء ما عندما كان نيران بمفرده مع والدته. هذا كل ما

يمكننا أن نكون واثقين منه. وأي أمر آخر مجرّد تخمين. ليس من الضروري أن يكون على معرفة بأي شيء. لقد فقدَت ابناً، وليست مستعدة لفقدان ابنها الوحيد المتبقّي لها».

«ماذا عن ادعاء تلك المتّجرة الصغيرة بالمخدرات أن نيران وأصدقاءه يبيعون مخدرات؟». سأل إرلندور.

«لا يمكنك أن تثق بأية كلمة قالتها تلك الفتاة». قالت إيلينبورغ.

«هل يمكن أن تكون سوني قد كفّت عن الشعور بالأمان بيننا؟». تساءل إرلندور. «هنا في أيسلندا؟! هل يمكن لذلك أن يشرح سبب إخفائها ابنَها؟ في الواقع، لا يمكننا البدء بفهم وضع المهاجرين في هذا البلد. لا يمكننا البدء بفهم ما كان عليه حال شخص ما من بلد آخر في الكرة الأرضية لينتقل إلى هنا، ويستقر، ويُنشئ عائلة، ويحاول الاندماج في المجتمع الأيسلندي. من المؤكد أن وضعهم عسير، وأعتقد أنه من الصعب علينا جداً أن نكون في وضعهم. قد لا تظهر العِرقية هنا كل يوم، ولكننا نعرف أنه ليس كل الأشخاص مسرورين بكيفية سير أمور المجتمع».

«وفقاً للتقارير، يشعر معظم الأيسلنديين الشبان أن الأمور ذهبت بعيداً». قاطع سيغوردور أولي، «مما يُظهر أنهم ليسوا شديدي التعلّق بالتعددية الثقافية».

«نريد قدوم الأجانب إلى هنا ليعملوا في محطات توليد الطاقة الكهربائية، ومصانع الأسماك، وفي التنظيف، ومن ثم أن يغادروا ثانيةً عندما لا نعود بحاجة إليهم». قالت إيلينبورغ. «شكراً للمساعدة، لا تستعجلوا في العودة! ربما يصبح هؤلاء الأشخاص حاجةً ماسّة بالنسبة إلينا؛ لا سمح الله. ولكن، إذا أصرّوا على القدوم إلى هنا، فبإمكانهم البقاء بعيدين عنا؛ على غرار اليانكيز في مباريات البايسبول الذين كانوا يوضعون وراء الأسيجة حفاظاً على سلامتهم. ألم يكن عدمُ السماح للسود بالتواجد في مباريات البايسبول سياسةً رسمية طوال سنوات؟ أعتقد أنه لا يزال مَوقفاً شائعاً: ينبغي الاحتفاظ بالأجانب وراء الأسيجة».

«لا يمكنك استبعاد إمكانية إقامتهم الأسيجة بأنفسهم». قال سيغوردور أولي. «فهذا ليس شارعاً ذا اتجاه واحد. أعتقد أنك تُفرطين في تبسيط الأمور. هناك أيضاً حالات يكون فيها المهاجرون غير راغبين في الاندماج، فيتزوجون من أفراد مجموعتهم... وهكذا دَواليك. فهم يريدون رصّ الصفوف وتجاهل ما يحدث في المجتمع الأوسع».

«انطلاقاً مما سمعتُه، تجري الأمور بشكل أفضل في الفيوردات

الغربية». قالت إيلينبورغ، «حيث تعيش مجموعة منوَّعة من الجنسيات في منطقة صغيرة؛ أشخاص من عشرات البلدان يحترمون الفوارق الثقافية للآخرين وخلفياتهم، محاولين صنع حياة لهم في أيسلندا».

قال إرلندور: «إذا كان باستطاعتي المتابعة، فسأقول إن ما يمكن أن يكون قد حدث - كما أعتقد - هو أن سوني سعت إلى ملاذ آمن؛ وسط أشخاص يواجهون وضعاً مماثلاً لوضعها. فهي لا تثق بنا، ولذلك اصطحبت نيران إلى مكان ما تظن أنه أكثر أماناً له. أعتقد أنه ينبغي علينا تنظيم بحثنا على هذا الأساس. لقد لجأت إلى الأشخاص الذين تثق بأنهم يوفرون حماية أفضل؛ إلى أشخاص يواجهون وضعاً مماثلاً لوضعها».

فأومأت إيلينبورغ برأسها.

«هذا ممكن جداً. إذاً، لا يتعلق الأمر بالضرورة بما يعرفه نيران أو بما قام به».

«وحده الوقت كفيل بالكشف عن الحقيقة». قال إرلندور.

مع حلول منتصف النهار، كانت الهيئة التعليمية في المدرسة قد زوّدت سيغوردور أولي وإيلينبورغ بأسماء الفتيان الذين يُعتقَد أن نيران كان يقضي معظم وقته معهم في المدرسة وفي الحيّ. وأخذ سيغوردور أولي وإيلينبورغ القائمة وانطلقا. كانت تتضمن أربعة أسماء، وكلّهم فتيان من عائلات مهاجرة تُقيم في المنطقة: أحدهم تايلاندي الأصل، واثنان فيليبينيان، وواحد فييتنامي. وكلهم باستثناء الفتى التايلاندي وُلدوا في آسيا، وانتقلوا إلى أيسلندا بعد سنّ العاشرة، وواجهوا مشاكل في التكيّف مع المجتمع الأيسلندي.

قضى إرلندور بقية الصباح في إعداد الإجراءات لجنازة ماريون برايم. فاتصل بمكتب مدير الجنازة الذي طلب منه ترك الأمر لهم. وحُدِّد موعد، ووضِع في الصحف إعلان بالوفاة والجنازة. لم يكن يتوقع عدداً كبيراً من المشاركين، ولم تُساوِره طويلاً فكرة استقبال المعزّين. لقد ترك ماريون توجيهاتٍ في شأن الجنازة تتضمن اسم رجل الدين، ومجموعة مختارة من الترانيم، فنفّذ إرلندور التوجيهات بحذافيرها.

بعد إتمام التحضيرات بأفضل طريقة ممكنة، شرع بالبحث عن زوج الأم الذي ذكر ماريون أنه على علاقة بأندريه، وأنه قد يكون الرجل الذي رآه أندريه في المنطقة صُدفةً. تتبّع إرلندور اسم والدة أندريه، وعثر على تاريخ ولادتها، وبحث بعد ذلك في سجلّ سكان ريكيافيك خلال فترة نشأته. فوفقاً للسجلات التي تفحّصها إرلندور، كان الفتى في الرابعة من عمره

عندما فقد والده. بعد ذلك، عاشت والدته مع ابنها بمفردها. وانطلاقاً مما تمكن إرلندور من اكتشافه، كان أندريه طفلها الوحيد. لم يجد في السجلات ما يشير إلى إقامتها مع أي شخص آخر لمدة طويلة من الزمن؛ باستثناء رجل واحد تبيّن أنه تُوفّي منذ ثلاثة عشر عاماً. وعثر إرلندور على أسماء الشوارع حيث عاشت المرأة وأرقامها. كانت تبدّل مقرّ سكنها بانتظام، ملازمةً المنطقة نفسها، فأقامت في وسط المدينة، وفي سكوغافرفي، وفي ضاحية بريدهولت عندما كانت قَيد الإنشاء، وانتقلت من هناك إلى فوغار، وأخيراً إلى غرافارفوغور. تُوفّيت في أوائل التسعينيات. في بادئ الأمر، لم يتمكن إرلندور من العثور على أي أثر لزوج الأم الذي ذكره ماريون قبل وفاته.

وبما أنه كان يبحث في محفوظات الشرطة، قرر تفحّص أية تقارير عن أحداث مرتبطة بتعصّب عِرقي، أو جرائم كراهية. كان إرلندور يعرف أن عناصر آخرين من دائرة التحقيقات الجنائية فُرِزوا لتفحّص ذلك الجانب من القضية، ولكنه لم يسمح لهذا الأمر برَدعه. كان يحب القيام بذلك بصورة عامة؛ متجاهلاً مكانه في هرمية التحقيق المحدَّدة. في المجموع، كان أكثر من عشرين محققاً يعملون على قضية إلياس، وقد حُدِّدت لكل منهم مهمة محدَّدة متعلقة بجمع المعلومات، ومراقبة القادمين إلى البلد ومغادريه، أو تفحّص المعاملات التجارية في شركات تأجير السيارات والفنادق في المدينة والمنطقة المحيطة. كانوا قد اتصلوا أيضاً بشرطة بانكوك، واستعلموا عن أية تحركات ممكنة لأنسباء سوني من البلد وإليها. كانت دائرة التحقيقات الجنائية في ريكيافيك تُغمَر كل يوم بمعلومات يتم تسجيل معظمها ومتابعتها، عِلماً أنه إجراء مستهلك للوقت. وكان أفراد من المجتمع يتصلون بعد متابعتهم نشرات الأخبار أو قراءتهم الصحف، مدّعين امتلاكهم معلومات هامة عن القضية ثَبُت أن بعضها مُنافٍ للعقل وغير ذي صلة بالقضية؛ فهناك ثملون ادّعوا أنهم حلّوا القضية ببراعتهم ليس إلا، مقدّمين أسماءَ أنسباءٍ أو معارف لم يكونوا سوى مجموعة من المغفَّلين. كان يتمّ التحقيق بكل دليل.

بقَدْر ما يملك إرلندور من معلومات، لم يكن هناك عدد كبير من الأشخاص في ملفات الشرطة الذين يُعتبرون على درجة عالية من الخطورة، أو يمكن أن يرتكبوا جرائم هامّة لدوافع عِرقية. وأُوقف عدد قليل من المجرمين العنيفين في منازلهم، وعُثر على تشكيلة منوَّعة من الأسلحة الهجومية لديهم؛ هِراوات، سكاكين، ومِقرَعات [3] - مع دعاية يمكن وصفها

بالنازية الجديدة: مادة من الإنترنت، منشورات، كتب، نُسخات مصوَّرة، رايات... لقد صودر الكثير منها. لم يكن ذلك تعميماً منظَّماً لدعايةٍ تُروّج للكره، وقد اعتقلت الشرطة عدداً قليلاً من الأشخاص بسبب إظهارهم العدائية للمهاجرين. كانت معظم الشكاوى المرتبطة بتعصّب عِرقي تتناول أحداثاً عشوائية حدثت مرةً واحدة.

بحث إرلندور في الصناديق، وعثر في أحدها على رايةٍ للحلفاء مَطويّة، وأخرى تحمل شعار النازية. كانت هناك تشكيلة منوَّعة من منشوراتٍ بالإنكليزية ومنشوراتٍ عِرقية فيها صورٌ لقبائل أفرقية بدائية. ونبَش مقالات من مجلات أميركية وبريطانية تحثّ على الكراهية، وعثر أخيراً على كتاب قديم يحتوي على مَحاضرِ وقائعِ جلساتٍ تابعة لمنظمة تدعو نفسها «مؤسسو أيسلندا».

يعرض الكتاب لعدة اجتماعات جرت عام 1990 ، ونوقشت فيها مواضيع تتضمن إسهام هيتلر في إعادة بناء ألمانيا ما بعد فايمار. ووقع على مقطع يشير إلى مشكلة الهجرة في أيسلندا ويناقش كيفية إيقاف المدّ، ويتوقع أن يواجه العِرقُ الاسكندينافي الانقراض في أيسلندا في غضون مئة عام؛ إذا تواصل امتزاج العِرق الأبيض بالأعراق الأخرى. ومن بين التدابير المناهضة لهذا الأمر وضع قوانين أكثر صرامة على أهليّة الحصول على الجنسية، لا بل أيضاً إغلاق الحدود في وجه الأجانب؛ بصرف النظر عما إذا كانوا قادمين للعمل، أو لأسباب عائلية، أو طلَباً للّجوء السياسي. وتوقفت محاضر الاجتماعات فجأةً. من الواضح أن المنظمة حُلّت بدون سابق إنذار. ولاحظ إرلندور أناقة الخط الكتابي، واقتضابَ الأسلوب وصِلته الوثيقة بالموضوع، وعدم وجود استطرادات غير ضرورية.

وبالرغم من عدم إرفاق قائمةٍ بالأعضاء، كانت محاضر وقائع الجلسات تتضمن اسماً بدا مألوفاً لإرلندور. كان جالساً يُعمِل فكره بالمكان الذي سمع فيه بهذا الاسم عندما رنّ هاتفه المحمول. وعرف الصوت على الفور.

«أعرف أنه لا يجب عليّ الاتصال، ولكنني لا أعرف ما...».

وشرعت المرأة بالنشيج.

«... لا أعرف ماذا أفعل».

«تعالَي وكلّميني». قال إرلندور.

«لا أستطيع. لا يمكنني القيام بذلك. من الرهيب كيف...».

«ماذا؟». قال إرلندور.

«أريد ذلك». قال الصوت. «أريد ذلك حقاً؛ ولكن الأمر مستحيل».

«أين أنت؟».

«أنا...».

امتنعت المرأة عن التفوّه بما أرادت قوله، وساد الصمت.

«باستطاعتي مساعدتك». قال إرلندور. «قولي لي أين أنت وسأساعدك».

«لا أستطيع». قال الصوت، وتمكّن من سماع المرأة تبكي عبر الهاتف. «لا أستطيع... العيش على هذا النحو...». وترددت ثانيةً.

«ولكنك تواصلين الاتصال بي». قال إرلندور. «لا يمكنك أن تكوني في حالة جيدة إذا كنت تتصلين بي على هذا النحو. سأساعدك. هل تختبئين بسببه؟ أبسببه تختبئين؟».

«سأفعل أي شيء لأجله، لهذا السبب». وصمتت المرأة.

«نحتاج إلى التحدث إليك». قال إرلندور.

وساد الصمت.

«باستطاعتنا مساعدتك. أعرف أن الأمر صعب ولكن...».

«لم يكن يُفترض بالأمر أن يحدث مطلقاً... مطلقاً».

«قولي لي أين أنت وسنتحدث». قال إرلندور. «سيكون كل شيء بخير. أعِدك».

وانتظر حابساً أنفاسه. كل ما تمكن من سماعه هو نشيج المرأة. ومرّت لحظات طويلة لم يجرؤ إرلندور خلالها على الكلام. كانت المرأة تقيّم خياراتها، فيما كان يحاول جاهداً العثور على شيء ما يقوله لها لإنهاء المسألة. شيء ما عن زوجها، وعائلتها، وابنَيها.

«سيكون ابناك راغبَين بالتأكيد في معرفة...».

وكفّ إرلندور عن الكلام. لم يشأ إضافة أي شيء.

«آه، يا الله!». صاحت المرأة، وأنهت المكالمة الهاتفية.

حدق إرلندور بالهاتف في يده. لم تظهر هوية المتصل؛ تماماً كما حصل في المرة الأخيرة. لقد افترض أن المرأة اتصلت من هاتف عمومي؛ هذا ما أَوحى به الضجيج في الخلفية. عندما تتبّع اتصالها الأول، تبيّن له أنه أُجري من مركز سمارالِيند للتسوّق. لا تأثير لهذا النوع من المعلومات عادةً. فالناس الذين يتصلون بالشرطة من هواتف عمومية يقومون بذلك لسبب ما، ويتجنّبون استخدام هواتف قرب منازلهم أو أماكن عملهم. فتحديد مكان إجراء الاتصال لا يفيد الشرطة بأي شيء.

مُنشغلَ البال، دسّ الهاتف في جَيبه. لماذا اتصلت به المرأة؟ فهي لم تكشف عن أية معلومات، ولم تُطلعه على سبب اختبائها. كما أنها لم تذكر

زوجها، ولم تشِر إلى ما تفكر فيه. ربما شعرت بأنه يكفي أن يعرف أنها على قَيد الحياة. ربما تحاول منعه من البحث عنها. ماذا تُخفي؟ لماذا تركته؟

لم يستجب زوجها كما ينبغي عندما طرح عليه الأسئلة نفسها. لقد هزّ الرجل رأسه كما لو أنه لا يملك أية فكرة عما يجري. كان ذلك رد فعله الوحيد تقريباً على اختفائها. وبعد رأس السنة، تمكن إرلندور من التقاء زوجتيه السابقتين، وسألهما عما يمكن أن يكون قد حدث برأيهما. لقد استقبلته إحداهما في منزلها في هافنارفيوردور؛ كان زوجها في الخارج في عمل. وبدت المرأة متلهّفة لمساعدة إرلندور في تحرّياته، وللإعراب له عن مدى سوء زوجها السابق. فأصغى إلى الهِجاء، ومن ثم سألها عمّا إذا كانت تعتقد أن زوجها السابق قادر على إيذاء زوجته الجديدة، وجاء الجواب على الفور.

«لا مجال للشك. أنا واثقة من ذلك».

«لماذا؟».

«إن الرجال المماثلين له». قالت بازدراء، «قادرون على القيام بأي شيء».

«هل لديك أي دليل على ما تقولينه؟».

«لا». قالت المرأة، «أعرف ذلك فحسب. هو من ذلك النوع. أراهن على أنه بدأ بالنوم خارج المنزل. فالرجال المماثلون له لا يستسلمون أبداً. الأمر أشبه بالدّاء. الأمر أشبه بالدّاء مع أولئك الأوغاد».

وزوّدته المرأة الأخرى بمزيد من المعلومات عندما قدِمت - نزولاً عند رغبتها - لرؤية إرلندور في مركز الشرطة. لم ترغب في قدومه إلى منزلها. لقد وصف القضية لها وأصغت بانتباه، ولا سيما عندما شرع بالتلميح إلى إمكانية تورّط زوجها السابق في اختفاء زوجته الجديدة.

«ألا تملك أية فكرة عما حدث لها؟». سألت ناظرةً إلى أنحاء المكتب.

«هل يمكن أن يكون قد فعل لها شيئاً برأيك؟». سأل إرلندور.

«هل تعتقد ذلك؟».

«لا نعتقد أي شيء». قال إرلندور.

«بَلَى، أنت تعتقد ذلك وإلا لَما طرحتَ السؤال».

«إنه استعلام روتيني ببساطة». قال إرلندور. «نحاول أخذ كل وجهة نظر بعين الاعتبار. لا تأثير لما نقوم به أو لما لا نعتقده».

«أنت تعتقد أنه قتلها». قالت المرأة، وبدت منتعشة.

«لا أعتقد أي شيء». قال إرلندور بحزم أكبر هذه المرة.

«هو قادر على القيام بأي شيء». قالت المرأة.

«لماذا تقولين هذا؟».

«لقد هدّدني ذات مرة؛ هدّد بقتلي. لقد رفضتُ منحه الطلاق كي يتمكن من الزواج للمرة الثالثة بتلك الساقطة التي تبحث عنها. قلتُ له إنني لن أمنحه الطلاق أبداً، وإنه لن يتمكن من الزواج مجدداً. حينها أصبح شديد الغضب، لا بل هستيرياً ربما. أخبرتني إحدى صديقاتي عن العلاقة الغرامية؛ سمعتْ أشخاصاً يتحدثون عن الأمر في العمل وأخبرتني. كان الكل يعرف باستثنائي. هل تَعي كم يكون الأمر مُذِلاً عندما يعرف الجميع باستثناء الشخص المخدوع؟ لقد انتابتني سَورة غضب، فضربني، ومن ثم قال إنه سيقتلني إذا وضعت أية عقَبات لعينة».

«هل هدّد بقتلك؟».

«قال إنه سيخنقني ببطء حتى أموت».

أجفل إرلندور فجأةً، وعاد إلى الواقع بعد أن كان مستغرقاً في التفكير، ونظر إلى الكتاب الذي كان يقرأه بإمعان، وعادت أفكاره إلى الاسم المسجَّل تحت محاضر وقائع الجلسات وأدرك من يكون. كان سيغوردور أولي قد ذكر الاسم وأصبح سيّئ المِزاج. فإذا كان الشخص نفسه، فسيكون على إرلندور تقديم موعد المقابلة المقرَّر إجراؤها مع جارتان مدرّس اللغة الأيسلندية في المدرسة.

رنّ هاتفه. إنها إيلينبورغ. لقد حصلت على نُسخة مطبوعة عن الاتصالات التي تلقّتها سوني في الشهر الماضي. فبعض الاتصالات من حماتها السابقة، وبعضها الآخر من مصنع الشوكولا أو صديقات، وتلقّت اتصالان من المدرسة.

«بعد ذلك، يظهر الرقم نفسه ثماني مرات».

«رقم من هو؟».

«إنه رقم مؤسسة، شركة تأمين. إنه الرقم الوحيد غير المتوقَّع على هذه القائمة، بقَدْر ما يمكنني أن أرى. لا يوجد العديد من الأرقام».

«هل سألتِ سوني عنه؟».

«تدّعي أنها لا تعرفه. تقول إنها تذكر بشكل مُبهَم محاولةَ أحدهم بَيعها بوليصة تأمين. هل تعتقد أنه الحبيب؟».

«سنكتشف ذلك قريباً».

17

منذ انتشار خبر مقتل إلياس في البلد كالنار في الهَشيم، تقاطر الناس باضطراد إلى مجمَّع الشقق السكنية لوضع أزهار وبطاقات في مكان العثور على جثته. كان بالإمكان رؤية ألعاب، ودُمى على شكل دُبّ، ومجسَّمات سيارات، بين الباقات. وأُعدّت العُدّة لإقامة صلاة تذكارية لإلياس في الحديقة في ذلك المساء.

كانت إيلينبورغ وسيغوردور أولي منشغلَين في المنطقة، ومرّا مرتَين قرب المكان ورأيا الناس يضعون أزهاراً فيه. لقد قضيا معظم نهارهما في إجراء مقابلات مع أصدقاء نيران؛ كلٌّ بمفرده. كانت رواياتهم متطابقة مع التفاصيل الرئيسة؛ ولم يُقِرّ أيٌّ منهم بمعرفة تحركات نيران في فترة بعد الظهر التي شهدت الاعتداء على إلياس، ولم يكونوا يعرفون المكان الذي يمكن لسوني أن تكون قد اصطحبته إليه. لقد أنكروا بشكل مُطلَق بيعهم المخدرات في المدرسة، معتبرين الأمر كذبة. وبالرغم من إقرارهم بأنهم تقاتلوا في ملعب المدرسة، فقد أصرّوا على أن ذلك ليس خطأهم. لم يرَ أيٌّ منهم إلياس في ذلك اليوم. كان اثنان منهم قد تسكّعا مع نيران لبعض الوقت بعد المدرسة، ولكنهما انفصلا عنه قُرابة الوقت الذي عُثر فيه على إلياس. كانا قرب الصيدلية، وقضيا بقية اليوم معاً، ولم يريا نيران مجدداً. لم يكن أيٌّ منهم على عِلم بمواجهة إلياس مشاكل معيَّنة في المدرسة. لقد ادّعوا أنهم لم يُجروا أي اتصال مباشَر مع نيران منذ العثور على إلياس. وبِقَدْر ما يعرفان، كان الشقيقان على علاقة جيدة.

وكاري هو الأكثر ثرثرةً ونَفعاً بين الفتيان. لقد بدا راغباً في مساعدة الشرطة بصدق، في حين كان الثلاثة الآخرون مترددين ويُعطون إجابات مقتضَبة ولا يتطوعون لقول أي شيء ما لم يُسألوا بصفة خاصة. أما سلوك كاري فمختلف. لقد رآه سيغوردور أولي أخيراً، وأبدى استعداده لإجراء مقابلة وجيزة نوعاً ما، ولكن تبيّن أنها كانت مطوَّلة. كان الفتى برفقة والدَيه؛ والدته تايلاندية ووالده أيسلندي، وهما يعرفان سوني وشقيقها، وتحدثا عن الحادث المأساوي غير المفهوم.

«في الغالب، يتصرف الناس كما لو أن لا شيء لديهم ضد المهاجرين». قال الرجل. هو مهندس وقد حصل على إجازة من العمل ليوفر الدعم المعنوي لابنه. إنه شخص طويل القامة ومُفرط الوزن نوعاً ما، وقد جلس إلى طاولة المطبخ مع زوجته صغيرة الحجم والهيفاء وذات الوجه الودود

والمبتسم. كانت الشرطة قد اتصلت بهما، وبدَوا شديدَي القلق. واختصرت المرأة أيضاً يوم عملها كمديرة إدارية في شركة صيدلانية. كان الرجل يتحدث عن خبرته بالأيسلنديين بصفته زوج أجنبية.

وأومأ سيغوردور أولي برأسه. كان بمفرده، إذ تمّ استدعاء إيلينبورغ للتعاطي مع مسألة أخرى.

«نقول إن لا شيء لدينا ضد المهاجرين الآسيويين، ولا شيء ضد الأشخاص القادمين من آسيا الذين يستقرون هنا، ومن المثير تناول الطعام في مطاعم تايلاندية، واختبار ثقافة غريبة، والاستماع إلى موسيقى مختلفة. ولكن، عندما يحين وقت المكاشَفة، يقول الناس دائماً إنه لا يُفترض بنا السماح بدخول عدد كبير جداً من أولئك الأشخاص». قال الرجل راسماً في الهواء علامات اقتباس بأصابعه.

«نناقش الأمر في غالب الأحيان». قالت المرأة ناظرةً إلى زوجها. «أفترض أن الأمر مفهوم بطريقة ما. هناك عدد قليل جداً من الأيسلنديين الفخورين بتراثهم والذين يريدون المحافظة عليه. فعدد شعبهم القليل يجعلهم غير منيعين في مواجهة التغيّرات. بعد ذلك، يأتي المهاجرون ويُفسدون كل شيء. لقد بات العديد من الأشخاص الذين انتقلوا إلى هنا معزولين، سواء أكانوا من آسيا أو من أي مكان آخر، ولا يتعلمون اللغة أبداً بالشكل المناسب، ويبقون غرباء. ويُحسن آخرون الانسجام مع المجتمع؛ هم يُدركون مدى أهمية الأمر ويعملون عليه حقاً. فتعلُّم اللغة أمر أساسي تماماً».

وأومأ زوجها برأسه. كان كاري جالساً على الأرض، منتظراً دوره.

«ألم يكن هناك شيء ما بهذا الخصوص على نشرة الأخبار منذ بضعة أيام؟». قال الرجل. «مشكلةٌ ما مع الأيسلنديين المقيمين في الدانمارك. لقد رفض أبناؤهم تعلُّم اللغة الدانماركية. الأمر غير مختلف، أليس كذلك؟».

«بالطبع، قد تتسبب الهجرة بمشاكل». تابعت المرأة موجّهةً أنظارها إلى زوجها. «لا شيء جديد. يحدث ذلك في مختلف أنحاء العالم. ولكن الأمر الأكثر أهمية هو مساعدةُ الناس على التكيّف، عِلماً أنه يتعيّن عليهم بالطبع إبداء رغبة في تكييف أنفسهم إذا كانوا يريدون حقاً مستقبلاً في أيسلندا».

«ما أسوأ أمر تسمعانه؟». سأل سيغوردور أولي.

«تبّاً لكم، عودوا إلى وطنكم أيها التايلانديون».

قالت ذلك من دون أي تردد أو دلالة على التأثّر بهذه الكلمات؛

كما لو أنه طُلب منها ذلك من قَبل وطوّرت قدرة على تحمّل هذا النوع من الإساءات؛ كما لو أنه واقع حياة آخر. ورمَق كاري والدته بنظراته.

«هل يتكوّن لديك انطباع بأن التعصب في ازدياد؟».

«لا أعرف». قال الرجل.

«هل خبرتَ التعصّب في المدرسة؟». سأل سيغوردور أولي الفتى.

فتردد كاري.

«لا». قال بطريقة غير واثقة.

«لا أعتقد أنه يمكنك في الواقع أن تتوقع منه الإقرار بهذا النوع من الأمور». قال الرجل. «لا أحد يحب سرد القصص، ولا سيما بعد هذا الأمر الرهيب الذي حدث».

«ادّعى صغار آخرون أن كاري وأصدقاءه يروّجون المخدرات في المدرسة، وقد قالوا ذلك بدون تردد».

«من قال ذلك؟». سألت المرأة.

«إنه أمر سمعناه ليس إلا». قال سيغوردور أولي. «لا حاجة ربما لأخذ الأمر بجدّيّة في هذه المرحلة. وباستطاعتي أن أقول لكما إن الشاهد غير موثوق».

«لم يسبق لي قطّ أن بعت أي نوع من المخدرات!». قال كاري.

«ماذا عن أصدقائك؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا، لم يقوموا بذلك أيضاً».

«ونيران؟».

«لم يقُم أيٌّ منا بهذا الأمر». قال كاري. «إنها كِذبة. لم نَبِع المخدّرات مطلقاً. هم يكذبون».

«كاري لا يتعاطى المخدرات». قال والده. «هذا مُحال. وهو لا يبيع المخدرات أيضاً».

«لَعلِمتما بذلك لو حصل، أليس كذلك؟». سأل سيغوردور أولي.

«أجل، لَعلِمنا بذلك». أجاب الرجل.

«أَخبِرنا عن المشكلة في المدرسة التي سمعنا بها». قال سيغوردور أولي. «ماذا يجري حقاً؟».

فحدّق كاري بالأرض.

«أَخبِرهم بما تعرف». قالت والدته. «لم يكن سعيداً جداً في المدرسة هذا الشتاء. لم يكن يريد ارتيادها في بعض الأيام. يعتقد أن الناس يتربّصون به، وأن بعض الفتيان يكمنون له للاعتداء عليه».

«يا ماما!». اعترض كاري ناظراً إلى والدته كما لو أنها تُفشي أسراراً مُحرِجة.

«تعرّض أحد أصدقاء كاري للضرب». قال زوجها. «لا تحرّك الإدارة في المدرسة ساكناً كما يبدو. عندما يحدث اضطراب ما تبدو عاجزة عن التصرف. لقد تمّ فصل فتى عن المدرسة لأيام قليلة، هذا كل شيء».

«تدّعي المدرسة أن لا وجود لمشاكل عرقية واضحة أو توتر». قال سيغوردور أولي. «لا اضطرابات أو صِدامات خارج ما تتوقعه في العادة في مدرسة كبيرة. أفهم أنك لا توافق على هذا الرأي استناداً إلى ما أخبركم به كاري؟».

فهز الرجل كتفَيه.

«ماذا عن نيران؟».

«غالباً ما يقضون أوقاتاً عسيرة، الفتيان المماثلون لنيران». قالت المرأة. «ليس من السهل عليهم التكيّف بالكامل مع ثقافة غريبة وبعيدة، وتعلُّم لغة صعبة، ومواجهة عدائية مفتوحة، وهكذا دَواليك».

«باستطاعتهم الدخول في متاعب». أضاف الزوج.

«هل يمكنك أن تخبرنا أي شيء عن ذلك، يا كاري؟».

فتنحنح كاري بارتباك. برأي سيغوردور أولي، من الأفضل في غالب الأحيان التحدث إلى الصغار بدون وجود أهلهم.

«لا أعرف إذا كنت تفهم خطورة المسألة». قال سيغوردور أولي.

«أظن أنه يفهم الوضع جيداً». قال الرجل.

«أكون ممتنّاً جداً لو كان باستطاعتك مساعدتنا».

ونقل كاري نظره من والدَيه إلى سيغوردور أولي، ثم قال:

«لا أعرف كيف مات. لم أكن أعرف إلياس البتّة. لم يكن يقضي الكثير من الوقت مع نيران. إذ لم يرغب نيران في أن يقوم بمرافقتنا، فقد كان أصغر سنّاً منّا. ولكن نيران كان يعتني بإلياس ويحرص على عدم قيام أي شخص بالتنمّر عليه. لا فكرة لديّ عن كيفية وفاته، ولا أعرف من هاجمه. أيٌّ منا لا يعرف ذلك. لا أحد يعرف ما حدث. ولا نملك أدنى فكرة عمّا حلّ بنيران في ذلك اليوم».

«كيف تعرّفتَ بنيران؟».

تنهّد كاري، ووصف لقاءه الأول مع الفتى الجديد في المدرسة. فقد وُضع نيران في صفّه وسرعان ما تعرف أحدهما إلى الآخر؛ نظراً إلى كونهما ابنَي مهاجرين. كان كاري قد انتقل إلى الحيّ حديثاً، وبالرغم من اتخاذه

بعض الأصدقاء الجيدين من غير الأقليات الإتنية، فقد تعرّف أيضاً بفتيَين من أصل فيليبيني وواحد من فييتنام. وتعرّفوا بدَورهم برفاق نيران من مدرسته القديمة. أصبح نيران بسرعة قائد الزُّمرة، وكان يزوّدهم بوقائع متنوّعة عن وضعهم كأبناءٍ لمهاجرين من جهة الوالد والوالدة. لم يكونوا أيسلنديين، ولا يمكنهم أن يكونوا أيسلنديين حتى ولو أرادوا ذلك. فهم أجانب بالنسبة إلى غالبية الناس، حتى ولو وُلدوا في أيسلندا. لقد خَبِر معظمهم حالات تعصّب ضدّهم شخصياً أو ضد عائلاتهم: نظرات محدِّقة، إهانات، لا بل عدائية تامّة.

ونيران ليس أيسلندياً، ولا مصلحة له في أن يصبح أيسلندياً، ولكن عيشه هنا في المنطقة القطبية الشمالية يعني أنه ليس باستطاعته أيضاً اعتبار نفسه تايلاندياً. لقد أدرك أنه ليس تايلاندياً أو أيسلندياً، ولا ينتمي إلى أي من البلدَين، ولا ينتمي إلى أي مكان باستثناء أرض فاصلة غير مرئيّة وغير ملموسة. في السابق، لم يكن يتعيّن عليه مطلقاً التفكير في جنسيته. كان تايلاندياً، ومولوداً في تايلاندا. أما الآن فيستمد قوّته من رِفقة أبناء مهاجرين آخرين لديهم خلفيّة مماثلة، ويتخذ أصدقاء له منهم. لقد أصبح مفتوناً بإرثه، وبتاريخ تايلاندا، وقصة أسلافه. وازداد شعوره قوةً عندما تعرّف بمهاجرين أكبر سنّاً منه في مدرسته القديمة.

«علمنا أن علاقته بزوج أمه لم تكن جيدة». قال سيغوردور أولي.

«صحيح». قال كاري.

«هل لديك أية فكرة عن السبب؟».

فهز كاري كتفَيه.

«قال نيران إنه سعيد بالطلاق لأنه لن يكون مضطراً لرؤيته أبداً».

«هل تعرف أي شيء عن الرجل الذي تعرفه سوني؟ ربّما هو حبيبها». سأل سيغوردور أولي.

«لا».

«هل ذكر نيران أنها تقابل شخصاً ما؟».

«لا، لا أعتقد ذلك. لا أعرف أي شيء عن ذلك».

«أين رأيتَ نيران للمرة الأخيرة؟».

«كنت مريضاً، لذلك لم أذهب إلى المدرسة. لم أتحدّث إلى الرفاق. رأيت نيران للمرة الأخيرة منذ أيام قليلة. تسكّعنا معاً قليلاً بعد المدرسة، ومن ثم عدتُ إلى المنزل».

«هل تسكعتم قرب الصيدلية؟».

«أجل».

«لماذا تتسكعون دائماً قرب الصيدلية؟».

«في الواقع، نجتمع هناك أحياناً ليس إلا. لا نفعل أي شيء».

«ماذا تفعلون في العادة خلال اليوم؟». سأل سيغوردور أولي.

«نقف في الخارج لنشعر بالقُشعريرة، ونتسكّع، ونستأجر شريط فيديو، ونلعب كرة القدم، ونقوم بكل ما نشعر بالرغبة في القيام به في الواقع. نحضر أفلاماً سينمائية».

«هل تعتقد أن نيران قد فعل شيئاً ما لشقيقه؟».

«لا يمكنك أن تتوقع منه الإجابة عن سؤال مماثل». قاطع والد كاري. «هذا فظيع».

«مُحال». قال كاري. «ما كان لِيؤذي إلياس مطلقاً. أنا واثق من ذلك. كان يعتني بإلياس على الدوام، كان لطيفاً معه دائماً».

«قيل لي إنكم شاركتم في صِدامات في المدرسة وهنا في الحيّ، هل يمكنك أن تُخبرني عن ذلك؟». سأل سيغوردور أولي. «وضُرب أحد أصدقائك، كما قلتَ؟ ألهذا خشيتَ من الذهاب إلى المدرسة؟».

«لم يكن الأمر بالغ الأهمية». قال كاري. «إنه مجرد... أحياناً يحدث القليل من الشغَب ولا أريد التورط فيه. أريد أن أُترك وشأني فحسب».

«هل أخبرتَ نيران وأصدقاءك بالأمر؟».

«لا».

«من رئيس الزُّمرة الأخرى إذا كان نيران قائدكم؟».

لم يُجب كاري.

«ألا تريد أن تُخبرنا؟».

فهز رأسه.

«لا وجود لأي قائد. لم يكن نيران قائدنا. نحن مجرد مجموعة رفاق».

«من يُزعج زُمرتكم أكثر؟». سأل سيغوردور أولي.

«يُدعى راغي». قال كاري. «هو الفتى الرئيس».

«هل هو من هاجم أحدكم؟».

«أجل».

فدوّن سيغوردور أولي الاسم، وتبادل الوالدان نظرات سريعة كما لو أنهما شعرا بأن الاستجواب دام طويلاً.

«سألتَ عما إذا كنتُ على عِلم بأي تعصّب في المدرسة». قال كاري واضعاً حداً للصمت فجأةً.

«أجل». قال سيغوردور أولي.

«ليسوا... نقول أموراً سخيفة أيضاً». قال كاري. «ليسوا الوحيدين الذين يفعلون ذلك، بل نحن أيضاً. لا أعرف كيف بدأ الأمر. تبادل نيران وغومي اللكَمات بسبب شيء ما قاله أحدهما. الأمر برمّته مجرد غباء».

«ماذا عن المدرّسين؟».

فأومأ كاري برأسه بتردد.

«لا بأس بهم، عِلماً أن هناك مدرّساً واحداً يكره المهاجرين».

«من هو؟».

وألقى كاري نظرة سريعة على والده.

«جارتان».

«وماذا يفعل؟».

«إنه لا يُطيقنا». قال كاري.

«بأية طريقة؟ هل الأمر يتعلق بأمر يقوله أو شيءٍ يفعله؟».

«يقول أموراً عندما لا يكون باستطاعة أحد سوانا سماعها».

«مثل ماذا؟».

«»تفوح منكم رائحة الغائط»».

«هل تمزح؟». شهق والد كاري. «لماذا لم تُخبرنا؟».

«لقد تجادلا». قال كاري.

«من؟».

«جارتان ونيران. لا أعرف السبب، ولكنني أعتقد أنهما يتشاجران أو ما شابه في غالب الأحيان. لم يشأ نيران التحدث عن الأمر».

«متى حدث ذلك؟».

«يوم وفاة إلياس».

جلس موظف العلاقات العامة في شركة التأمين في الناحية المقابلة لإيلينبورغ، مرتدياً ملابس لا شائبة فيها، ولاهياً بربطة عُنُق مزخرَفة. لم يكن هناك أي شيء على طاولته باستثناء لوحة مفاتيح وكمبيوتر ذي شاشة مسطَّحة، وعلى الرفوف وراءه عُلب كرتونية قليلة تحتوي على أوراق؛ عِلماً أن معظمها فارغ. لم يكن لديه ما يقوم به كما يبدو، ما لم يكن يومَه الأول في العمل. وشرحت إيلينبورغ الغاية من زيارتها؛ كان شخص ما من الشركة قد اتصل على رقم محدَّد، وذكرت اسم سوني. والشرطة بحاجة إلى هوية المتصل، ولكن القائمة لم تُظهر من أية خطوط فرعية أُجريت المكالَمة، بل رقم المقسَم الهاتفي الرئيس في الشركة.

«هل الأمر مرتبط بالفتى الذي مات؟». سأل رجل العلاقات العامة البارع.

«صحيح». قالت إيلينبورغ.

«وتريدين أن تعرفي...؟».

«ما إذا كان شخص ما من هذا المكتب قد اتصل بمنزله». قالت إيلينبورغ.

«فهمتُ». قال رجل العلاقات العامة. «تريدين أن تعرفي الخط الفرعي الذي أُجريت منه الاتصالات».

بما أنه سبق لها أن شرحت الأمر، تساءلت إيلينبورغ عما إذا كان متردداً على نحو غير طبيعي، أم أنه مسرور جداً ببساطة لأنه بات لديه أخيراً ما يفعله، لدرجة أنه كان عازماً على إطالة أمد المقابلة.

فأومأت برأسها.

«أولاً، علينا أن نعرف إذا كانت المرأة تمتلك بوليصة تأمين في الشركة».

«ما اسمها؟». سأل رجل العلاقات العامة، واضعاً يدَين مقلّمتي الأظافر جيداً على لوحة المفاتيح.

قالت له إيلينبورغ الاسم.

«لا أحد هنا بهذا الاسم». قال.

«هل قمتم بحملة مبيعات، كاتصالكم بأشخاص عبر الهاتف أو ما شابه، خلال الشهر الفائت؟».

«لا، جرت الحملة الأخيرة منذ ثلاثة أشهر. لم يحدث أي شيء مذاك الحين».

«إذاً، عليّ أن أطلب منك معرفة ما إذا كان أي موظف في هذا المكتب يعرف المرأة، وأن تُبلغنا. كيف ستعالج المسألة؟».

«سأسأل هنا وهناك». قال رجل العلاقات العامة، مُسنداً ظهره إلى كرسيّه.

«ولكن، لا تبالغ بالأمر». قالت إيلينبورغ. «نريد فقط التحدث إلى الشخص المعنيّ. هذا كل شيء. فهو ليس مَحَطَّ شُبُهات. ربما يكون صديقاً لسوني وحبيبها على الأرجح. هل تعتقد أن باستطاعتك القيام ببعض الاستعلامات المتكتمة لأجلي؟».

«لا يُفترض أن تكون هناك أية مشكلة في ذلك». قال رجل العلاقات العامة.

قرع إرلندور جرس الباب، وسمع صريراً داخل الشقة أثناء ضغطه على الجرس. مرّ الوقت، وقرع الجرس ثانيةً. لقد سمع الصرير نفسه، فبذل قُصارى جهده لاستراق السمع. بعد قليل، سمع حفيفاً في الداخل، وفُتح الباب أخيراً. من الواضح أن إرلندور أيقظ الرجل، ولكن بما أنه بدا متقاعداً ومُسِنّاً، فبإمكانه النوم كما هو مُفترَض متى شاء.

عرّف إرلندور بنفسه، ولكن الرجل لم يكن مستيقظاً تماماً، لذلك أُرغم على تكرار أنه من الشرطة ويريد معرفة ما إذا كان باستطاعة الرجل أن يساعده بمسألة صغيرة. وقف الرجل عند الباب وحدّق به. من الواضح أنه لم يكن معتاداً على استقبال فَيض من الزائرين. ربما أحدث الجرس صريراً على هذا النحو بسبب قلّة الاستخدام.

«هاه... إِه...؟». قال الرجل بصوت أجشّ، محدّقاً به. كان فكه السُّفلي مغطى بشُعَيرات قصيرة بيضاء.

كرّر إرلندور خُطبته الطويلة، وأدرك الرجل أخيراً قدوم زائر. فاتحاً الباب بشكل أوسع، دعا إرلندور للدخول. كان أشعث الشعر نوعاً ما؛ شعره الأبيض ناتئ في كل الاتجاهات، وشقته غير مرتَّبة، والهواء فاسد. فدخلا إلى غرفة الجلوس حيث جلس الرجل على الأريكة وانحنى إلى الأمام. وجلس إرلندور قُبالته. لقد لاحظ أن للرجل حاجبَين كبيرَين؛ عندما يحركهما يبدوان أشبه بحيوانَين فَرْوِيَّين صغيرَين فوق عينَيه.

«لم أفهم بعد ما يجري». قال الرجل. وتبيّن أن اسمه هِلغي. «ماذا تريد الشرطة مني؟».

كانت الشقة إحدى الشقق العديدة في مبنى قديم قرب طريق ناشطة في الناحية الشرقية للمدينة. فهدير حركة المرور مسموع بوضوح. لقد بدا المنزل قديماً من الخارج والداخل، ولم يخضع لصيانة جيدة بصفة خاصة، وقد تقشّرت رُقَع كبيرة من الإسمنت عن الواجهة؛ لم يكن أيّ من القاطنين مهتماً كما يبدو. كانت الدَّرَجات ضيّقة وقذرة، والسجادة مليئة بالثُّقوب، والشقة مُظلمة بالرغم من ضوء النهار في الخارج، والنوافذ متّسخة بسبب أبخرة العوادم.

«عشتَ في هذا المنزل لمدة طويلة من الزمن». علّق إرلندور مراقباً الحيوانَين الفَرْوِيَّين الصغيرَين فوق عينَي الرجل. «أردتُ أن أسألك عما إذا كنت تتذكر بعض جيرانك منذ سنوات عدة. امرأة مع طفل واحد، فتى. ربما تكون قد عاشت مع رجل كان زوج أم الفتى. حدث ذلك منذ مدة بعيدة. نتحدث عن... كم من الوقت؟ عن خمس وثلاثين سنة مضت

تقريباً».

نظر الرجل إلى إرلندور من دون أن يتكلم، ومرّت لحظات طويلة، فاعتقد إرلندور أنه أومأ برأسه نَفياً بعينَين مفتوحتَين.

«كانا يقيمان في الطابق الأرضي». أضاف.

«ماذا عنهم؟». قال الرجل. إذاً، لم يكن نائماً بالرغم من كل شيء، ويحاول تذكّر العائلة ليس إلا.

«لا شيء». قال إرلندور. «نريد تمرير بعض المعلومات لزوج الأم، هذا كل شيء. فقد توفّيت المرأة منذ مدة».

«والفتى؟».

«لقد طلب منا الفتى اقتفاء أثر الرجل». قال إرلندور كاذباً. «هل تذكر أولئك الأشخاص مُصادَفةً؟ كانوا يقيمون في الطابق الأرضي».

واصل الرجل التحديق بإرلندور من دون قول أية كلمة.

«امرأة مع ابن واحد؟!». سأل أخيراً.

«وزوج أم».

«لقد مرّ وقت طويل على ذلك». قال الرجل بادئاً بالاستيقاظ من غَفوته بشكل مناسب.

«أعرف». قال إرلندور.

«ألم يكن مسجَّلاً بأنه كان يُقيم معها هناك؟».

«لا، لم يسجَّل وجود أي شخص في الشقة خلال فترة إقامتها باستثنائها وابنها. ولكننا نعرف أن هذا الرجل كان يعيش معها».

وانتظر إرلندور.

«نحن بحاجة إلى اسم زوج الأم». أضاف عندما اتّضح أن هِلغي لن يتطوّع بقول أي شيء، مكتفياً بالجلوس هناك بلا حراك، ومحدّقاً بالطاولة الصغيرة المنخفضة بعينَين فارغتَين من أي تعبير.

«ألا يعرف الفتى؟». سأل هِلغي بعد توقف قصير.

آه، إذاً لقد استيقظ بالرغم من كل شيء، فكّر إرلندور في سرّه.

«كان الفتى صغيراً». قال آملاً في أن يُرضي الجواب الرجل.

«تُقيم مجموعة من الرُّعاع الآن في الطابق السُّفلي». قال هِلغي مواصلاً التحديق بذُهول بالطاولة أمامه. «مجموعة من الأوباش الذين يُحدثون ضوضاء في كل وقت. لقد اتصلتُ بكم مراراً بدون أية فائدة. يملك أحد أولئك المشاغبين الشقة، لذلك من المستحيل طرده خارجاً».

«لا يكون المرء محظوظاً على الدوام بجيرانه». قال إرلندور لمجرّد قول

شيء ما. «هل يمكنك أن تقدم لنا يد العَون لمعرفة ذاك الرجل؟».

«ما كان اسم المرأة؟».

«سيغورفيغ، واسم الفتى أندريه. أحاول العمل بسرعة؛ سيكون اقتفاء أثره عبر النظام أمراً معقَّداً يستغرق الكثير من الوقت».

«أذكرها». قال الرجل رافعاً نظره. «سيغورفيغ، صحيح. ولكن تمهّل، لم يكن ذلك الفتى صغيراً جداً عندما كان الرجل يعيش معهما».

ورمق هِلغي إرلندور بنظرة تأمليّة طويلة.

«ربما أنت لا تُخبرني بكل الحقيقة». قال.

«لا». قال إرلندور. «لا أخبرك بكل الحقيقة».

وارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتَي هِلغي.

«إنه تهديد كبير، ذلك الرجل في الطابق السفلي». قال.

«لا تعرف أبداً، ربما يكون بالإمكان القيام بأي شيء حيال ذلك». قال إرلندور.

«ذلك الرجل الذي تسأل عنه عاش مع المرأة عدة سنوات». قال هِلغي. «لم يتسنَّ لي التعرّف به بأية حال؛ لأنه يكون خارج البلد كثيراً. هل كان يعمل في البحر؟».

«لا أملك أدنى فكرة». قال إرلندور. «ربما كان كذلك. هل تستطيع تذكّر اسمه؟».

«أخشى أنني لن أتمكن من تذكّره أبداً». قال هِلغي. «لقد نسيتُ اسم سيغورفيغ أيضاً، ولم أتذكّره إلا عندما سمعتُ باسم الفتى أندريه. يدخل كل شيء من أُذُن ويخرج من الأخرى، ونادراً ما يبقى في الوسط لمدة طويلة».

«وبالطبع، قدِم الكثير من الأشخاص وغادروا مذاك الحين». أضاف إرلندور.

«لا يمكنك تخيُّل ذلك». قال هِلغي بعد استعادته عافيته تقريباً من المقاطعة الحادّة لاستراحة بعد الظهر، وسروره بقدوم أحدهم للتحدث إليه في ما بدا أنه أكثر إثارة للاهتمام من أي شيء آخر قاله أحدهم منذ سنوات. «ولكنني أخشى أنني لا أستطيع تذكّر الكثير عن أولئك الأشخاص. أكاد لا أذكر شيئاً، صِدقاً».

«تتمثل قاعدتي العامة في مهنتي بأن كل شيء مفيد مهما كان تافهاً». قال إرلندور. لقد سمع ذات مرة شرطياً يقول هذا الأمر على التلفاز ووجد الأمر ملائماً.

«هل يُعتقد أنه ارتكب أمراً خاطئاً؟ أعني، ذاك الرجل؟».

«لا». قال إرلندور. «فاتحَنا أندريه بالموضوع. لا يُفترض بنا تضييع وقتنا بهذا الأمر، ولكن...».

وهز إرلندور كتفَيه. لقد رأى هِلغي يبتسم، وباتا صديقَين مقرَّبَين.

«إذا كنت أذكر بشكل صحيح، جاء ذلك الرجل من مكان ما في الريف». قال هِلغي. «جاء معها ذات مرة للقاءٍ منزلي، عندما كانت لا تزال هناك لقاءات منزلية. أما الآن فتتلقى شكوى مقدَّمة إلى المحكمة، إذا كان بإمكان أحدهم تكبُّد عناء القيام بأي شيء، ولن يتكرر اللقاء لفترة طويلة جداً. كانت تلك إحدى المناسبات القليلة التي التقيتُه فيها».

«هل يمكنك أن تصفه لي؟».

«ليس حقاً. طويل القامة نوعاً ما، وقويّ البُنية، ويترك انطباعاً جيداً. كان ممتعاً إلى حد ما، إذا كنت أذكر جيداً. انتقل إلى الخارج بقَدْر ما يمكنني أن أذكر. لقد انفصلا، أليس كذلك؟ لا أعرف السبب. يُفترض بك مكالمة إيما. كانت تُقيم في الشقة المقابلة لشقتهم».

«إيما؟».

«إيمان امرأة رائعة. انتقلت قبل عشرين عاماً تقريباً، ولكنها لا تزال تتصل بي وترسل إلي بطاقات التهنئة... تُقيم الآن في كوبافوغور. وهي تذكرهم بالتأكيد أكثر مني. كلّمها. لا يمكنني تذكّر أولئك الأشخاص جيداً».

«هل تذكر أي شيء بصفة خاصة عن الفتى؟».

«الفتى؟ لا... باستثناء...». وتوقف هِلغي.

«أجل؟». قال إرلندور.

«يبدو أنني أذكر رؤيته خجلاً على الدوام؛ ذلك البائس الصغير المسكين. كان شاباً صغيراً وحزيناً وقَذِراً تقريباً، كما لو أن أحداً لا يعتني به بشكل لائق. ففي المرات القليلة التي حاولتُ التحدث فيها إليه، كان ينتابني شعور بأنه يريد تجنّبي».

كان أندريه واقفاً في البَرْد في الخارج على مسافة قصيرة من منزلٍ مزوَّد بحديد مضلَّع في غرتيسغاتا، وعيناه مثبَّتتان على نافذة الطابق السفلي. لم يكن باستطاعته رؤية المكان في الداخل، ولم يجرؤ على المجازفة بالاقتراب. فقبل ستة أشهر، كان قد اقتفى أثر الرجل الذي ذكره للشرطة إلى هذا المنزل، ورآه يختفي داخل الشقة السفلية. لقد تبعه من مجمّع الشقق السكنية، باقياً على مسافة قريبة منه، وصعد وراءه إلى متن حافلة. وترجّلا عند محطة الحافلات في هْليمور، وتبعه أندريه إلى هذا المنزل.

وها هو الآن واقف على مسافة آمنة، محاولاً حماية نفسه من الريح الشمالية القارسة. كان قد قطع المسافة القصيرة من هْليمور عدة مرات، سَيراً على الأقدام، مذاك الحين، وتحقق من امتلاك الرجل منزلاً ثانياً في غرتيسغاتا.

دسّ أندريه يدَيه في جَيبَيه وتنشّق، وكانت عيناه رطبتَين بسبب البَرْد، وضرب قدمَيه بالأرض قبل الابتعاد.

18

لم يكن جارتان في المنزل، ولكن المحققَين قالا إنهما سينتظرانه. فنظرت المرأة إليهما بذُهول.

«هنا؟». سألت، وتمددت قسَمات وجهها من فَرط الدهشة.

فهز إرلندور كتفَيه.

«لماذا تواصلان الانتظار للتحدث إلى جارتان؟». سألت.

«الأمر مرتبط بالحادث الذي وقع في المدرسة». قالت إيلينبورغ. «إجراء روتيني. نحن نُجري مقابلات مع المدرّسين والتلاميذ».

«ظننتُ أنكما تحدثتما إليه».

«نريد التحدث إليه مجدداً». قالت إيلينبورغ.

ونقلت المرأة نظرها بينهما، فشعرا بأنها كانت تفضّل إغلاق الباب في وجهَيهما وعدم رؤيتهما ثانيةً.

«ألا تفضّلان الدخول؟». سألت بعد توقف مُربِك.

«شكراً لك». قال إرلندور وتقدّمته إيلينبورغ إلى الداخل. راقبهما طفلان، فتى وفتاة، وهما يدخلان غرفة الجلوس ويجلسان. كان إرلندور يفضّل مكالمة جارتان في مركز الشرطة أو في المدرسة، ولكنه يتجنّب المكانَين. لقد تأخر على حضور اجتماع في المركز، وعندما ذهبا لإقلاله من المدرسة لم يكن هناك. وبما أنه لم يكن يُجيب على هاتفه أيضاً، اقترحت إيلينبورغ إجراء زيارة في المنزل ووافق إرلندور.

«أخذ السيارة إلى المرأب لفحصها». قالت المرأة.

«فهمتُ». قال إرلندور.

إنه المساء، وكانت المرأة تُعِدّ العشاء في المطبخ عندما قرعا الباب. لم تُسهب في مسألة السيارة، وقالت إن جارتان كلّمها عبر الهاتف بعد الظهر، ولم يتصل بها مذاك الحين. شاعراً بتخوّفها من زيارة الشرطة، حاول إرلندور طمأنتها، مكرّراً كلمات إيلينبورغ عن الإجراء الروتيني.

ولكن المرأة لم تقتنع تماماً، وعندما عادت إلى المطبخ، اصطحبت معها هاتفها المحمول. وتبعها الطفلان، ودخلا المطبخ بالاتجاه المعاكس محدّقَين بالمحققَين بعيون مفتوحة على اتساعها؛ فابتسمت لهما إيلينبورغ. لقد وصل صوت المرأة إلى غرفة الجلوس، وسمعا صوتها يرتفع بحدّة في إحدى المراحل، ومن ثم يخبو. ومرّ بعض الوقت قبل أن تخرج. كانت هادئة.

«أُخِّر جارتان قليلاً». قالت محاولةً الابتسام. «سيكون هنا في غضون

خمس دقائق».

«شكراً لك». قالت إيلينبورغ.

«هل يمكنني تقديم شيء لكما؟». سألت المرأة.

«قهوة من فضلك؛ إذا كان هناك القليل منها في الوعاء». قال إرلندور.

وتوارت المرأة داخل المطبخ. كان الطفلان لا يزالان واقفَين عند مدخل الباب ويحدّقان بهما.

«ربما لم تكن فكرة جيدة». تمتمت إيلينبورغ لإرلندور بعد صمت طويل، ولم ترفع نظرها عن الطفلَين.

«كانت فكرتك». قال إرلندور.

«أعلم، ولكن أليس الأمر مبالَغاً فيه؟».

«مبالَغاً فيه!».

«باستطاعتنا اختلاق كذبة والقول إنه تمّ استدعاؤنا. لم أكن أملك أية فكرة عن مدى الحَرَج الذي يتسبب به هذا الأمر. وعندما يأتي، باستطاعتنا الإمساك به في الخارج».

«ربما ما كان يُفترض بك التخلّي أبداً عن الجيولوجيا». قال إرلندور.

«الجيولوجيا؟!».

«لا تتسبب لك قِطَع صغيرة من الصخور بهذا القلق». قال إرلندور.

«أوه، ها ها!». أجابت إيلينبورغ.

كانت قد تمكنت من إغضابه في السيارة عندما كانا في طريقهما إلى منزل جارتان، إذ بدأت بسؤاله عن فالجيردر وخططهما المستقبلية، ولكن إرلندور لزم الصمت على الفور. لم تَثبط عزيمة إيلينبورغ حتى عندما طلب منها الكف عن طرح تلك الأسئلة المُقيتة واللعينة. لقد سألت عما إذا كانت فالجيردر لا تزال مهتمة بطريقة ما بزوجها السابق، وهو سؤال كان إرلندور سيُجيب عنه بنَعم؛ لو أجاب عنه، وعما إذا كانت تعتزم الانتقال للعيش معه، وهي مسألة لم يواجهها بعد. فمَيل إيلينبورغ لاستطلاع حياته الخاصة تُثير حفيظته أحياناً؛ أسئلة عن إيفا ليند وسيندري سناير وعنه. هي تبدو عاجزة عن تركه وشأنه.

«هل يصادَف أنك تُقيم علاقة عن بُعد؟». سألت. «الكثير من الناس يفضّلون هذه العلاقة على العيش معاً».

«هلاّ منحتني فرصة؟». سأل إرلندور. «لا أعرف ما تعنينه بعلاقة عن بُعد».

صمتت إيلينبورغ مؤقتاً، ومن ثم بدأت بدندنة لَحنِ قصيدةٍ ذائعة الصيت لستين ستينار: الطالب العسكري جون كريستوفر، لقاء جيش سالي عند السابعة، عندما سيُرشدكم الملازم أول فالجيردر إلى الطريق...».

وواصلت الدندنة حتى فقد إرلندور صبره.

«لا أعرف كيف ستُحَلّ الأمور. وليس الأمر من شأنك بأية حال».

«حسناً». قالت إيلينبورغ مواصلةً الدندنة.

«الملازم أول فالجيردر...!». قال إرلندور بغضب.

«ماذا؟».

«يا للأمور التي تتفوّهين بها!».

خرجت زوجة جارتان من المطبخ مع بعض أكواب القهوة، وعلى وجهها نظرة قلَق حادّ. وتبعها الطفلان، وتُركا واقفَين وسط الغرفة في حَيرة من أمرهما عندما عادت والدتهما إلى المطبخ لإحضار القهوة. في تلك اللحظة، فُتح الباب ودخل جارتان، فنهضت إيلينبورغ وإرلندور.

«ها هذا ضروري حقاً؟». قال جارتان بانزعاج واضح.

«حاولنا طوال اليوم الاتصال بك». أوضحت إيلينبورغ.

ودخلت زوجة جارتان مع إبريق القهوة.

«ماذا يجري؟». سألت زوجها.

«لا شيء». قال جارتان الذي هدأ على الفور، وكلّم زوجته بطريقة مطمْئِنة. «قلتُ لك عبر الهاتف إن سبب الزيارة هو الاعتداء الذي تعرّض له الفتى الذي يرتاد المدرسة».

«ماذا عن ذلك؟ لا علاقة لك به، أليس كذلك؟».

«لا». قال جارتان ناظراً إلى المحققَين كما لو أنه يطلب المساعدة.

«نحن نتحدث إلى كل المدرّسين في المدرسة، كما سبق أن قلت لك». قالت إيلينبورغ. «هل بإمكاننا الجلوس في مكان ما حيث لا نتعرض لأي إزعاج؟».

لقد خاطبت جارتان الذي تردد، ونظر تِباعاً إلى ثلاثتهم، وكانوا كلهم ينتظرونه ليتكلم. فأومأ برأسه أخيراً.

«لديّ مكتب في الطابق السفلي». قال بتردد. «يمكننا الذهاب إلى هناك. لا بأس بذلك، أليس كذلك؟». سأل زوجته.

«خُذِ القهوة معك». قالت.

فابتسم جارتان.

«شكراً يا حبي. سأعود حالما يغادران».

وحمل طفلته الصغيرة وقبّلها، ومن ثم مرّر يده بنعومة على شعر ابنه البِكر.

«سيعود والدكما في الحال. أحتاج فقط إلى مكالمة هذَين الشخصَين ومن ثم سأعود».

وتقدّمهما جارتان إلى الطابق السفلي. كان قد أعدّ مكتباً لنفسه في غرفة تخزين صغيرة ووضع فيه طاولة، وجهاز كمبيوتر، وطابعة، وكتباً، وأوراقاً. وهناك كرسيّ واحد جلس عليه بنفسه، فيما وقف المحققان بجانب الباب. كان جارتان قد تقدّمهما إلى الطابق السفلي بصمت، ولكنه بدا مُغتاظاً الآن.

«ما الذي تُضمرانه من خلال إزعاجي في منزلي على هذا النحو؟». قال بغضب. «أمام عائلتي! هل رأيتما النظرة على وجهَي طفلَيّ؟ هل تعتقدان حقاً أنها طريقة تصرّف مقبولة؟».

لم يُجب إرلندور. وكانت إيلينبورغ على وشك التكلم ولكن جارتان سبقها.

«هل أنا مجرم؟ ماذا فعلتُ لأستحق هذا النوع من المعاملة؟».

«حاولنا الاتصال بك طوال اليوم». قال إرلندور ثانيةً. «لم تكن تُجيب على هاتفك، فقررنا التحقق مما إذا كنت في المنزل. كانت زوجتك لطيفة بما يكفي لتدعونا إلى احتساء القهوة. ومن ثم حضرتَ. هل هناك أي سبب لتثور ثائرتك؟ جئنا لنحاول الوصول إليك في المنزل. ولحسن الحظ، وجدناك. هل تريد التقدم بأية شكوى؟».

نظر جارتان إليهما تِباعاً.

«ماذا تريدان مني؟». سأل.

«يمكننا البدء ربما بما يُدعى مؤسسو أيسلندا». قال إرلندور.

فأطلق جارتان ابتسامة رِضى عن النفس. «وبذلك أنت تعتقد أنك حللتَ القضية، أليس كذلك؟».

«لا أعتقد أي شيء». قال إرلندور.

«كنت في الثامنة عشرة من عمري». قال جارتان. «كان هُراءَ أطفال. يمكنك تخيُّل ذلك. مؤسسو أيسلندا! وحدهم الأطفال يُقدِمون على هذا النوع من الهُراء؛ مراهقون يحاولون أن يبدوا ناضجين».

«أعرف عدداً كبيراً ممن يبلغون الثامنة عشرة من العمر ولا يعرفون تهجئة عبارة جمهورية فايمار».

«انظر، كنا مجموعة من الفتيان الجامعيين». قال جارتان. «كانت

دُعابة. حدث ذلك قبل خمسة عشر عاماً. لا أصدّق أنكما تحاولان تشويه سُمعتي واتهامي بالعِرقية بسبب ما حدث لذلك الفتى».

قال جارتان ذلك باستهزاء؛ كما لو أن إمكانية وجود أية صلة له بالقضية أمر بعيد الاحتمال وبمثابة دُعابة، وإيلينبورغ وإرلندور دُعابة أيضاً؛ كلبان أخرقان ينبحان في اتجاه الشجرة الخاطئة. كان هناك شيء ما متعجرف على نحو لا يوصَف في طريقة استرخائه على كرسيّه، منفرج الساقَين، ومطلقاً ابتسامة واسعة بسبب غبائهما؛ كما لو أنه يُشفق عليهما لأنهما لا يملكان وجهة نظر لا لُبس فيها عن الحياة على غراره. ولم يؤثّر فيه مصير إلياس البتة كما يبدو.

«ماذا كنت تعني عندما قلتَ إن اعتداء مماثلاً للاعتداء الذي تعرّض له إلياس مسألة وقت فحسب؟». سألت إيلينبورغ.

«أعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى شرح إضافي. ماذا يتوقع الناس عندما يسمحون لأولئك الأشخاص بالدخول؟ يُفترض بكل شيء أن يكون بخير، أليس كذلك؟ لسنا مستعدّين لذلك. يتدفق الناس إلى هذا البلد من أنحاء العالم كافة للقيام بأعمال حقيرة، ونغصّ الطَّرْف. يُفترض بنا كلنا أن نكون عائلة واحدة كبيرة وسعيدة. حسناً، لا تسير الأمور بشكل جيد بوضعها الحالي، ولن تسير أبداً بشكل جيد. توجِد المجموعة الآسيوية الغيتو الخاص بها، وتتمسك بعاداتها وتقاليدها، وتحرص على عدم التزوّج بأشخاص من خارج جاليتها. وأولئك الأشخاص لا يتكبدون عناء تعلّم اللغة، لذلك يقصّرون في المدرسة - كم عدد الذين تمكنوا من الوصول إلى الجامعة؟ يتوقف معظمهم عن الدراسة بعد إتمام الدراسة الإلزامية، ممتنّين لعدم تضييع المزيد من الوقت على التاريخ الأيسلندي الرديء، واللغة الأيسلندية الرديئة!».

«أستنتج أنك لم تفقد الأمل من مؤسسو أيسلندا كلّياً». علّق إرلندور بطريقة جافّة.

«أجل، صحيح، فعندما يقول شخص ما أي شيء، يوسَم بأنه عِرقيّ لعين. لا يُسمح لأحد بفتح فمه. على الجميع أن يكونوا على قَدْر كبير من الدبلوماسية. إنها إضافة إيجابية للثقافة الأيسلندية وكل ذلك الهُراء. تبّاً للأغبياء!».

«هل تعتقد أن المعتدي على إلياس من أصل آسيوي؟».

«بالطبع، لقد استبعدتَ ذلك تماماً، أليس كذلك؟». قال جارتان بازدراء.

«هل تخاطب تلامذتك بهذه الطريقة؟». سألت إيلينبورغ. «هل تتحدث إلى تلامذتك عن المهاجرين بهذه الطريقة؟».

«لا أفهم ما علاقتك بذلك». أجاب جارتان بسرعة.

«هل تثير المتاعب بين الصغار في المدرسة؟». تابعت إيلينبورغ.

نقل جارتان نظره من أحدهما إلى الآخر.

«إلى من تحدثتما؟ من أين حصلتما على هُراء مؤسسو أيسلندا ذاك؟ عمَّ كنتما تبحثان؟».

«أَجب عن السؤال». قال إرلندور.

«لم أقم بأي شيء مماثل». قال جارتان. «إذا قال أحدهم إنني فعلت، فهو يكذب».

«هذا ما قيل لنا». قالت إيلينبورغ.

«حسناً، إنها كذبة. لم أكن أحرّض أحداً على القيام بأي شيء. من قال إنني أقوم بذلك؟».

لم يُجب المحققان.

«ألا يحق لي أن أعرف؟». سأل جارتان.

فحدّق إرلندور به من دون قول أية كلمة. كان قد بحث عن معلومات حول جارتان في سجلات الشرطة ولم يعثر على أي شيء باستثناء غرامة ماليّة بسبب القيادة بسرعة. لم يسبق له أن عانى من متاعب مع القانون. فجارتان مواطن محترَم، ووالد صالح، وفقاً لما خَبِره إرلندور.

«كيف وصلتَ إلى الاستنتاج بأنك أفضل من أشخاص آخرين بطريقة ما؟».

«أنا لا أقول ذلك».

«إنه أمر واضح تماماً انطلاقاً من كل ما قلتَه وفعلتَه».

«هل هذا من شأنك؟».

ونظر إليه إرلندور.

«لا، البتة».

جلس راغنار - الملقَّب براغي في المدرسة - وجهاً لوجه مع سيغوردور أولي في غرفة الجلوس في منزله، ووالدته القلِقة بجانبه. إنها مطلَّقة، وراغنار ابنها البِكر بين ثلاثة أولاد، وهي تناضل كي لا تتخطى في إنفاقها حدود دَخلها كونها المُعيلة الوحيدة لأسرتها. كانت قد تبادلت أطراف الحديث مع سيغوردور أولي قبل عودة راغي إلى المنزل. «ليس من السهل إعالة ثلاثة أولاد». قالت كما لو أنها تعتذر مُسبَقاً. ولكن كل ما قام به سيغوردور أولي هو إخبارهما بالعبارة المعتادة حول الاستعلامات الروتينية بسبب الحادث في المدرسة؛ فالشرطة تتحدث إلى عدد من التلاميذ من صفوف

مختلفة. كانت المرأة تُصغي بتفهّم واضح، ولكن بما أن الشرطة قدِمت إلى الشقة الصغيرة القائمة في الطابق السفلي التي استأجرَتها لقاء مبلغ باهظ من السيدة المُسنّة الثرية في الطابق العُلوي التي تملك المبنى بكامله إضافةً إلى ثلاثة معاطف من الفَرو على الأقل، تبدو هذه الفرصة مناسبة للإفصاح عن متاعبها. كانت الوالدة مُفرِطة في الوزن وتلهث؛ كما أنها تدخّن بلا توقف تقريباً، والجوّ في الشقة خانق، والملابس المتّسخة مبعثَرة في كل مكان، إضافةً إلى البريد الموجَّه للمستأجرين، والصحف. أطفأت الوالدة سيجارتها، وفكّر في ملابسه بيأس؛ ستنبعث منها رائحة الدخان لأيام.

في بادئ الأمر، شعر راغي بالخوف لدى رؤيته رجل الشرطة في منزله، ولكنه سرعان ما استعاد السيطرة على نفسه. هو طويل القامة مقارنةً بمن هم في مثل سنّه، مع شعر كَثّ أسود ووجود حَبِّ الشباب حول فمه بصفة خاصة. وشرع سيغوردور أولي بطرح أسئلة عامة عليه عن المدرسة، والجوّ هناك، والمدرّسين والتلاميذ الأكبر سنّاً، منتقلاً بالتدريج إلى مسألة المهاجرين ونيران، وكان راغي يُجيب بكلمات ذات مقطع واحد بصفة رئيسة. كان مهذَّباً. وبقيت والدته خارج المحادثة؛ مكتفيةً بالجلوس هناك، ومُشعِلةً سيجارة تِلوَ الأخرى، ومرتشفةً القهوة. كانت قد عادت للتوّ من العمل إلى المنزل عندما قرع سيغوردور أولي جرس الباب. والقهوة التي أعدّتها جيدة وثقيلة، وانتظر قيامها بعرض كوب آخر عليه. لقد اعتاد احتساء الشاي، ولكن بيرجثورا علّمته تذوّق القهوة نظراً إلى كونها ذَوّاقةً لأنواع مختلفة من حبوب القرنيات والحبوب المحمَّصة.

«كيف تتدبّر أمورك مع جارتان الذي يدرّس اللغة الأيسلندية؟». سأل.

«لا بأس به». قال راغي.

«ليس مولَعاً بالأشخاص ملوّني البشرة، أليس كذلك؟».

«ربما لا». قال راغي.

«كيف يظهر ذلك؟ هل يظهر من خلال أمر يقوله أو أمر يقوم به؟».

«لا، باستثناء... كما تعلم».

«باستثناء ماذا؟».

«لا شيء».

«هل كنت تعرف إلياس؟».

«لا».

«ماذا عن شقيقه، نيران؟».

فتردد راغي.

«أجل».

كان سيغوردور أولي على وشك ذِكر كاري ولكنه أحجم عن ذلك. إذ لم يشأ منح راغي أي سبب للاشتباه بأنه قدِم للتوّ من زيارة الفتى الآخر.

«كيف؟».

«أنت تعرف». قال راغي.

«أنا أعرف ماذا؟».

«يعتقد أنه مميَّز».

«من أي جانب؟».

«يدعونا إسكيمو».

«وماذا تدعونه؟».

«رأس أسود».

«هل تعرف ما حدث لشقيقه؟».

«لا».

«هل يمكنك أن تقول لي أين كنت عندما تمّ الاعتداء عليه؟».

فصمت راغي وفكّر. من الواضح أنه لم يفكر مليّاً في السؤال من قَبل، وخطر لسيغوردور أولي أنه لا بد من أن يكون شخصاً صلب العود لأنه تصرّف على هذا النحو. أخيراً، جاء الجواب.

«كنا في مركز كرينغلان للتسوّق، أنا، إينغفار، وداني».

كان الأمر متطابقاً مع روايتَي إينغفار وداني اللذَين سبق لسيغوردور أولي أن استجوبهما. لقد أنكر الاثنان بشكل مُطلَق أي علاقة لهما في الاعتداء على إلياس، مدّعيَين جهلهما بالاتّجار بالمخدرات في المدرسة، وذكرا معلومات تافهة عن تلاميذ منتمين إلى أقليات إتنيّة. كان الأصدقاء الثلاثة يُعتبرون مثيرين للمتاعب في المدرسة، وينتظر الجميع إتمامهم دراستهم الإلزامية في ذلك الربيع ومغادرتهم نهائياً على أحرّ من الجمر. إنهم مولَعون بأعمال الشغب، وقد تسببوا بحالة فوضى كبيرة في رأس السنة عندما فُصِل اثنان منهم من المدرسة لمدة أسبوع بسبب إحداث انفجارات في المدرسة وحولها، مستخدمَين ألعاباً نارية متبقّية من ليلة رأس السنة، مُفرقَعاتٍ ناريةً كبيرة وأسهماً نارية قوية تلاعبا بها لجعلها أكثر قوة. لقد أطلق أحدهما السهم الناريّ الأكبر في ممرّ، وأدى الانفجار إلى تحطيم لوحَين زجاجيَّين عريضَين، واهتزت المدرسة بكاملها، واعتُبر واقع عدم وجود أحد في الأرجاء بمثابة أُعجوبة لأن التدريس كان على قدَم وساق.

«متى رأيتَ إلياس للمرة الأخيرة؟». سأل سيغوردور أولي.

«إلياس؟! لا أعرف. لا أعرفه أبداً. لم أرَه مطلقاً».

«هل حدثت أية صِدامات جدّيّة في المدرسة بين زمرتك ومجموعة نيران؟».

«لا، باستثناء... كما تعلم، أن تلك المجموعة تتباهى على الدوام».

وتوقف راغي عن الكلام.

«المهاجرون؟». حثّه سيغوردور أولي.

«يُفترض بأيسلندا أن تكون لنا؛ للأيسلنديين، وليس لعدد كبير من الأجانب».

«نعرف أن صِدامات وقعت بين زُمَر في المدرسة»، قال سيغوردور أولي. «ونعرف أنها يمكن أن تكون جدّيّة أحياناً؛ وليس في هذه الناحية من المدينة فقط. ولكننا مُدرِكون أيضاً أن عدداً قليلاً منها يتصف بالحِدّة. هل توافق على هذا الأمر؟».

«لا... لا أعرف».

«وبعد ذلك، وقع حادث إلياس هذا».

«أجل».

«هل تعتقد أن للأمر علاقة بالصِّراعات بين زُمرتَيكما؟».

«لا أعرف. ربما لا. أعني، ما كنا لِنقوم بأمر مماثل. لم يسبق لنا أن قتلنا أحداً. إنه أمر مثير للسخرية؛ فنحن لا نقوم بمثل هذا النوع من الأمور. ليس هذا واقعَ الحال».

«هل أنت واثق؟».

كانت الوالدة قد جلست صامتةً تدخّن أثناء حديثهما، ولكنها تدخلت الآن.

«أتعتقد أن ابني راغي قد اعتدى على الفتى؟!». سألت كما لو أنها أدركت أخيراً سبب دخول الشرطي منزلها وشروعه بطرح سلسلة من الأسئلة عن توتّر عِرقي في المدرسة.

«لا أعتقد شيئاً». قال سيغوردور أولي. «هل تعرف أي شيء عن الاتّجار بالمخدرات في المدرسة؟». سأل راغي.

«ابني راغي ليس متورطاً بالمخدّرات». قالت الوالدة على الفور.

«ليس هذا مضمون سؤالي». قال سيغوردور أولي.

«لا أعرف أي شيء عن أية مخدرات في المدرسة». قال راغي.

«لا، هذا صحيح، فأنتم تُطلقون ألعاباً نارية في الممرات ليس إلا».

قال سيغوردور أولي.

«أنا». استهلّ راغي كلامه، ولكن والدته قاطعته.

«لقد عوقب بسبب ذلك». قالت. «ولم يكن هو من أحدث الضرر الأسوأ».

«هل من الممكن أن يكون هناك من يتّجر بالمخدرات وآخر يدين له بالمال، ممّا أدى إلى ما حدث لإلياس؟». سأل سيغوردور أولي، مُدركاً فجأةً كيفية تبريرِ الوالدة سلوكَ ابنها لنفسها.

فصمت راغي للتفكير للمرة الثانية أثناء حديثهما.

«لا أحد في المدرسة يتّجر بالمخدرات». قال بعد صمت قصير. «أحياناً، يتسكع أشخاص حول بوّابات المدرسة، بائعين شيئاً ما، أو في ملاهي المدرسة. هذا كل شيء. لا عِلم لي بأية حالات أخرى. لم يحاول أحد بيعي أي شيء».

«هل تعرف ما حدث لإلياس؟».

«لا».

«هل تعرف من اعتدى عليه؟».

«لا».

«هل تعرف أين كان نيران يوم تعرّض شقيقه للاعتداء؟».

«لا. رأيتُ فقط جارتان يصرعه في الطريق».

«جارتان مدرّس اللغة الأيسلندية؟».

«خدش نيران جانب سيارته الأسفل، فجنّ جنون جارتان».

حدّق سيغوردور أولي براغي، وتذكّر ما قاله كاري عن جارتان ونيران.

«هلاّ كررتَ ذلك ثانيةً».

شعر راغي بأنه قال أمراً هاماً، وبدأ على الفور بالتراجع عن كلامه.

«لم أرَ ذلك. لقد سمعتُ به ليس إلا، فقد قال أحدهم إنه هاجم نيران لأن نيران خدش جانب سيارته».

«متى؟ متى حدث ذلك؟».

«صباح يوم وفاة الفتى».

«هل تريد المزيد من القهوة؟». سألت والدة الفتى.

«شكراً، ربما أتناول كمية قليلة». قال سيغوردور أولي مُخرِجاً هاتفه. واختار رقم إرلندور.

«ماذا أيضاً؟». سأل.

«لا أعرف». قال راغي. «هذا كل ما سمعتُه».

19

لم يكن البحث عن نيران قد أسفر عن أية نتائج بعد. انضمّ حشد كبير إلى موكب المشاعل المضاءة الذي سار بصمت في اتجاه مجمَّع الشقق السكنية يتقدّمه رجل الدين المحلّي. وبدت سوني، الحاضرة مع أودين وفيروت وسيغريدور، شديدة التأثر باستعراض التضامن هذا.

ولكن ما قام به المحققون لم يكن كافياً لإقناعها بأن تَعهد بابنها إلى الشرطة. لقد رفضت بعِناد الكشف عن المكان الذي خبّأته فيه، ولن يقوم شقيقها أو أي شخص على صِلة بهما بتوفير أية معلومات في هذا الصدد.

حضر إرلندور وإيلينبورغ إلى المكان، وراقبا الموكب الذي راح يتحرك ببطء في اتجاه الشقق. كانت إيلينبورغ تحمل مِنديلاً صغيراً في يدها، راحت ترفعه بتواضع إلى عينَيها من حين لآخر.

اتصل إرلندور بفالجيردر عندما عاد إلى مكتبه. كان يعرف أن مناوبتها في المستشفى قد بدأت. وأثناء انتظاره إجابتها على مكالمته، بدأ في الواقع يَصفر لَحن إيلينبورغ الخاص بقصيدة الطالب العسكري جون كريستوفر المنتمي إلى جيش سالي، والملازم أول فالجيردر الذي أرشده إلى الطريق. وعندما أدرك ما يفعله، شتم إيلينبورغ.

«آلو». أجابت فالجيردر.

«فكرت في الاتصال بك. أنا على وشك أن أدعو ذلك انتصاراً».

«سيتعيّن عليّ العمل طوال الليل». قالت فالجيردر. «جاء فتى صغير لإجراء اختبار دم، وبدا عليه بوضوح أنه تعرّض لعُنف منزلي. هو في السابعة من عمره فقط. لقد أبلغنا الشرطة ووكالة الخدمات الاجتماعية».

«رجاءً، لا تُخبريني بالمزيد». قال إرلندور.

«آسفة... أنا...». وتلعثمت فالجيردر. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا الأمر. فقد أرادت مشاطرته أمراً ما صادفته في العمل ولكنه أحبط خطتها. نادراً ما كان يكلّمها عن الجانب القذِر للحياة التي يواجهها في عمله كمحقق. برأيه، لا علاقة لذلك بهما؛ كما لو أنه يريد حماية علاقتهما من أية قذارة. لم يكن الأمر فراراً من كل قُبح العالم وجَوره، بل استراحة وجيزة.

«في الواقع، عندما تعملين على هذا الهُراء كل يوم، فستتوقين إلى سماع شيء مختلف. سترغبين أن تعرفي أن هناك أموراً مختلفة في الحياة؛ غير تلك القذارة اللعينة اللامتناهية».

«هل أحرزتَ أي تقدّم في قضية الفتى؟».

«لم نُحرز أي تقدّم».

«رأينا الموكب على التلفاز. ألم تعثر على شقيقه بعد؟».

«والدته خائفة». قال إرلندور. «سوف تتحدث إلينا عندما تتخطى خوفها».

وكفّا كلاهما عن الكلام. كان إرلندور يحب مكالمة فالجيردر. فمجرّد سماعه صوتها عبر الهاتف كافٍ بالنسبة إليه. لديها صوت جميل، خفيض وشجيّ، يحمله على الشعور تلقائياً بأنه في حال أفضل. لم يكن بإمكانه الإشارة إلى الأمر، ولكنه يتوق أحياناً لسماعها تتكلم كما هو حالها الآن.

«تُوفّي للتوّ زميل قديم لي». قال أخيراً. «لقد ذكرتُ لك ماريون برايم، أليس كذلك؟».

«أجل، أذكر الاسم. كان شخصاً غير عاديّ».

«توفّي ماريون يوم أمس بعد صراع طويل مع المرض. ربما كانت وفاته راحة له، ولكنها وفاة موحِشة. لا عائلة لماريون. كان رئيسي طوال سنوات عدة، ولكنه تقاعد منذ مدة. لم أزُره كثيراً. لم يخطر ببالي ذلك حتى الفترة الأخيرة. لم يزُر ماريون الكثير من الأشخاص. كنت أحد الأشخاص القليلين الذين زاروه، وربما الزائر الوحيد، لا أعرف. أحياناً، ينتابني الشعور بأنني الوحيد».

لزم إرلندور الصمت، وانتظرته فالجيردر ليتابع. لم تشأ قطع حبل أفكاره، شاعرةً أنه بحاجة للتحدث إليها، ولكن الصمت امتدّ كثيراً لدرجة أنها بدأت تتساءل عما إذا كان إرلندور لا يزال على الخط.

«يا إرلندور؟». قالت عندما لم تَعُد تتحمل الصمت.

«أجل، آسف، كنت أفكر فحسب في كل ذلك. طلب مني ماريون القيام بتدابير الجنازة. هكذا انتهت الحياة. لقد عاش كل تلك الحياة الطويلة لينتهي به الأمر وحيداً ومهجوراً في سرير مستشفى».

«عمَّ تتكلم، يا إرلندور؟».

«لا أعرف. الموت...». وتلكّأ في الكلام مجدداً.

«جاءت إيفا ليند». قال أخيراً.

«ألم يكن ذلك لطيفاً؟».

«أفترض ذلك، لست واثقاً. تبدو أفضل حالاً. لم أرَها منذ أسابيع، ومن ثم ظهرت بشكل مفاجئ. إنها حالة نموذجية. لقد... أصبحت امرأة. لقد فاجأني ذلك. المزيد من النضوج كما أعتقد، كما أنها أكثر هدوءاً. ربما يهدأ

الأمر برمّته. ربما اكتفت من حياتها السابقة».

«كلنا نكبر».

«صحيح».

«ماذا كانت تريد؟».

«أعتقد أنها أرادت أن تخبرني عن حُلْم رأته».

«تعتقد!؟».

«غادرتْ قبل أن تتمكن من إخباري. أفترض أنني طلبت منها المغادرة. أعتقد أنني أعرف ما تريده. كانت تسأل عما حدث عندما مات بِرغور. تعتقد أن حُلْمها مرتبط بموته بطريقة ما، ولم أشأ أن أسمعه».

«إنه مجرّد حُلْم». قالت فالجيردر.

«تكمن المسألة في أنني لم أخبرها بكل شيء. لم أخبرها عن سبب عدم العثور عليه مطلقاً. كانت هناك نظريات متنوّعة. لقد بدت على عِلم بها كلّها».

«نظريات!».

«كان من المُفترض العثور عليه». قال إرلندور.

«ولكن...؟».

«لم يُعثر عليه قطّ».

«أي نوع من النظريات؟».

«المستنقع، أو النهر».

«ولكنك لا تريد التحدث عن الأمر، أليس كذلك؟».

«لا علاقة لأي شخص بها». قال إرلندور. «إنها قصة قديمة، ولا علاقة لأي شخص بها».

«وتريد إبقاءها لنفسك».

لم يُجب إرلندور.

«إيفا ابنتك». قالت فالجيردر. «لقد تحدثتَ إليها عن الأمر ذات مرة».

«تلك هي المُعضلة». قال إرلندور.

«اكتشفْ ما الذي تريد أن تقوله. أصغِ إليها».

«أفترض أنني سأكون مضطراً لذلك». قال إرلندور.

وصمت ثانيةً.

«أواصل التفكير في ذلك الفتى المُلقى بمفرده على الثلج وراء مجمَّع الشقق السكنية. لا أفهم ما الذي يمكن أن يكون قد حدث. لا يمكنني فهم ذلك، ولا حتى فهم حياتي».

«بالطبع، الكلمات تعجز عن التعبير عن مدى هَول الأمر».

«لقد... حملني هذا الأمر على التفكير في شقيقي. كان في مثل سنّ إلياس تقريباً؛ ربّما أصغر سنّاً بقليل. كان بمفرده. وبدأت أفكّر في كل تلك الوفيّات الموحِشة، وفي ماريون برايم».

«إرلندور، لا يتعلق الأمر بما إذا كان بإمكانك التعبير عن الأمر بالشكل الصحيح أم لا، وما إذا كان بإمكانك القيام بأي شيء. لم تكن مسؤولاً عن ذلك مطلقاً. عليك أن تفهم ذلك».

ولزم إرلندور الصمت.

«سأكون عالقةً هنا طوال الليل». كررت فالجيردر بنبرة اعتذارية. كانت قد قضت وقتاً طويلاً في التحدث معه عبر الهاتف.

«هذا ما تحصلين عليه عندما تكونين أخصائية في التكنولوجيا الحيوية». قال إرلندور.

«لم نَعُد أخصائيين في التكنولوجيا الحيوية». قالت فالجيردر.

«حقاً؟! ماذا تكونون إذاً؟».

«نحن علماء في الطب الأحيائي».

«ماذا؟».

«تتغيّر الأحوال».

«ماذا سيحلّ إذاً بالأخصائيين في التكنولوجيا الحيوية؟».

«لن نذهب إلى أي مكان، لقد غيّرنا اسمنا فحسب».

«عالِمةٌ في الطب الأحيائي؛ هذا اسم جيد تماماً».

«أنت آخر من سمع به».

«يؤسفني ذلك».

وساد الصمت.

«آسف لإثقال كاهلك على هذا النحو». قال إرلندور. «سنتحدث لاحقاً بالشكل المناسب».

«أنت لا تُثقِل كاهلي بأي شيء». قالت فالجيردر. «لا تتكلم على هذا النحو. لا التزامات لديّ مساء غد».

«إذاً ربما أراك». قال إرلندور.

«أصغِ إلى إيفا». كررت فالجيردر.

خرج إرلندور إلى الممر، ونزل إلى غرفة المقابلات حيث كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ يستجوبان جارتان عن الخدش على سيارته، ويستمعان إلى إقراره بأنه ألقى اللوم على نيران وهاجمه. لم يكن جارتان قَيد الاعتقال.

وعندما اتصل سيغوردور أولي بإرلندور ونقل له المعلومة، وقام إرلندور بمواجهة جارتان بالأمر، انفجر الأخير غضباً، وشرع برشقهم بوابل من الشتائم. ولكن بعد تعنيفهم بسبب الأكاذيب والمؤامرات لبعض الوقت، اعترف أخيراً بأنه حمّل نيران مسؤولية الخدش. ولكنه لم يؤذِ شعرة واحدة من رأسه؛ فالروايات عن قيامه بالاعتداء على نيران لا أساس لها من الصحة أبداً.

ورافقهما إلى مركز الشرطة بدون اعتراض، ومُنح سيغوردور أولي مهمة إجراء المقابلة معه. أخبره جارتان أن السيارة جديدة نوعاً ما، ومن طراز فولفو، وقد امتلكها منذ أقل من عام. كانت تخضع للتصليح في مرأب نسيبه. وبعد الإسهاب في الاستجواب، تبيّن أن الخدش قد أُصلح، وأن السيارة في انتظار إعادة رشّها. وأظهرت الصور الفوتوغرافية الملتقَطة لصالح شركة التأمين التي يتعامل معها جارتان خدشاً ضيّقاً ممتداً من المصابيح الخلفية، وفوق الأبواب، وصولاً إلى المصابيح الأمامية. وتكلفة تصليح هذا الخدش مرتفعة، ودخل جارتان في شجار مع شركة التأمين التي حاولت التملّص من الأمر. لا يمكن للصور الفوتوغرافية أن توفّر دليلاً حاسماً على نوع الأداة المستخدَمة لإحداث الخدش، ولكن استعمال السكين بدا أمراً محتمَلاً؛ عِلماً أن مِفك براغيّ؛ لا بل مفتاحاً، يمكن أن يكون تلك الأداة.

لم يكن من المؤكد بعد ما إذا كان سيتم اعتقال جارتان. كان متحمّساً جداً، لدرجة أنه من السخف تماماً ربط العمل التخريبي بالاعتداء على إلياس في وقت لاحق من ذلك اليوم. لم يلاحظ الخدش عندما غادر إلى العمل في ذلك الصباح. فقد كان الظلام دامساً في الخارج، وعندما تمّ الإلحاح عليه لم يتمكن من تأكيد ما إذا كانت السيارة قد خُدِشت في موقف السيارات في المدرسة. فهو يُقيم في حيّ مختلف، ولكنه على مسافة نصف ساعة فقط من المدرسة سَيراً على الأقدام. لقد لاحظ الخدش عندما خرج في مهمة سريعة إلى المدينة عند موعد الغداء. وبعد رؤيته نيران وصديقاً له يتسكعان قرب المكان حيث رُكنت السيارة، سألهما عما إذا كانا يعرفان أي شيء عن الخدش، ولكن نيران سخر منه. لم يضرب الفتى مطلقاً، بل تبادلا كلمات لم تكن مهذَّبة بالتحديد، كما اعترف جارتان، ولكنه لم يصرع الفتى في الشارع. كانت الشرطة بحاجة إلى مكالمة الفتى الآخر الذي شهد الحادث.

فتح إرلندور الباب ودخل غرفة المقابلات.

«لماذا لم تُخبرنا بذلك؟». سأل سيغوردور أولي. «لماذا علينا اكتشاف

الأمر من شخص آخر؟».

«لم أعتقد أنه ذو صلة». قال جارتان ناظراً إلى إرلندور الذي اتكأ على الجدار عاقداً ذراعيه على صدره. «من السخف محاولة ربط الأمر بالاعتداء على الفتى. لا أفهم كيف يمكنك ربط الحادثَين معاً. سألت نيران عما إذا كان قد ألحق الضرر بسيارتي، فسخر مني. لم أحصل منه على أية معلومات».

«إذاً، لقد ثارت ثائرتك». قال سيغوردور أولي.

«بالطبع». قال جارتان، وبدأ صوته بالارتفاع. «لو كنت مكاني لَثارت ثائرتك أيضاً. ما الذي حملك على الاعتقاد بأن رد فعلي هو كما تدّعي؟».

«استناداً إلى ما سمعناه، كنتَ سريع الغضب على نحو غير عادي في المدرسة ذلك الصباح».

«أتقصد ما حدث مع فينور؟».

فأومأ سيغوردور أولي برأسه.

«ما حدث لم يكن ذا أهمية. فنحن نتجادل على الدوام».

«هل كان نيران يحمل أداة حادّة أو قال أمراً ما أشار ضمناً إلى أنه خرّب سيارتك؟».

«أردت أن أعرف إذا كان يحمل سكيناً أو مِفك براغيّ». قال جارتان. «لذلك أمسكتُ به، ولكنّه قاوم. لم أرمِه في الشارع، بل أفلتَ مني ووقع. تركتُه وشأنه بعد ذلك، ولم أكتشف قطّ ما إذا كان يحمل سكيناً أو أي شيء. هل ستقومان باعتقالي لأجل ذلك؟».

ألقى سيغوردور أولي نظرة سريعة على إرلندور الذي لم يكن بالإمكان قراءة تعابير وجهه.

«لم أفعل أي شيء لذلك الفتى». قال جارتان. «إذا اعتقلتماني فسيكون ذلك بمثابة وَصمي بأنني القاتل. ربما تعتقلانني ليوم واحد، ولكن هذا هو كل ما يتطلبه الأمر لتشويه سُمعتي. ماذا لو لم تعثرا مطلقاً على الشخص الذي قام بالأمر؟! عندها سأوصَم بأنني قاتل مدى الحياة! وأنا لم أفعل شيئاً!».

«أنت تُعرب غالباً عن كُرهك للمهاجرين». قال إرلندور. «ليس امتعاضاً فحسب، بل كُرهاً تامّاً. ولا تُنكر ذلك، بل تُقرّ به. أنت فخور بالأمر، وتعبّر عن ذلك بطرق شتّى. أنت لا تعتقد بالتأكيد أن مهمتنا تتمثل بتنظيف صورتك، أليس كذلك؟».

«لا يحق لكما إهانتي لأنني لا أشاطركما وُجهات نظركما ليس إلا!».

«لا أحد يُهينك». قال سيغوردور أولي.

طلب إرلندور من سيغوردور أولي الخروج معه لبعض الوقت، فراقبهما جارتان وهما يغادران. «لم أفعل أي شيء!». صاح أثناء انغلاق باب غرفة المقابلات.

«لديه وُجهة نظر». علّق سيغوردور أولي عندما أصبح في الممر خارجاً.

«بالطبع». قال إرلندور. «إنه أسخف دافع لارتكاب جريمة سمعتُ به يوماً. جارتان ينبح ولا يَعضّ. لا سجلّ لديه يحتوي على أعمال عنف، وهو لم يدخل في متاعب مع الشرطة مطلقاً. سنُطلق سراحه. ولكن، احتجزْه أطول فترة ممكنة».

«إرلندور، لا يمكننا...».

«أوه، حسناً»، قال إرلندور باستياء، وعبَر الممرّ بتشامخ. «أَطلق سراحه الآن إذاً».

كانت بيرجثورا لا تزال مستيقظة عندما عاد سيغوردور أولي إلى المنزل في وقت متأخر من ذلك المساء. كانت بانتظاره. لم يكن يعود إلى المنزل كثيراً في الفترة الأخيرة، ليس بسبب مقتل إلياس فحسب، بل لأسباب أخرى أيضاً. كانت تعتقد أنه يتجنّبها. فبرأيها، إن علاقتهما عند مفترَق طرق كما قالت له. وبما أنه من المُحال أن يُنجبا طفلاً معاً، يتعيّن عليهما اتخاذ قرار في شأن ما ستؤول إليه الأمور بينهما.

دخل سيغوردور أولي المطبخ، وسكب لنفسه كوباً من العصير. كان قد زار القاعة الرياضية في طريقه إلى المنزل، وكان آخر المغادرين بعد ممارسته الرياضة على طاحونة الدَّوس ورفعه الأثقال حتى تصبّب منه العرق.

«هل هناك أي جديد في شأن القضية؟». سألت بيرجثورا، داخلةً المطبخ.

«لا». قال سيغوردور أولي. «لا شيء. حتى إننا لا نملك أية إلماعة عما حدث».

«ألم تكن الجريمة ذات دافع عِرقي؟».

«لا فكرة لدينا. سيكون علينا التحقق من الأمر».

«طفل مسكين. والوالدة لا بد من أنها تعاني الأَمرَّين».

«أجل. كيف حالك؟».

أراد سيغوردور أولي إخبارها بأن إلياس كان يرتاد مدرسته القديمة، وكم شعر بالغرابة عندما عاد بالذاكرة إلى أشباحه القديمة، ورأى صورة له منذ عصر الديسكو. ولكنه امتنع عن ذلك، ولم يعرف السبب. ربما كان

مُتعَباً.

«لستَ شديد التعَب لإغفال عملك في الخارج». هذا ما كانت ستقوله له بيرجثور بحدّة لو تذرّع بالتعب.

كان في ما مضى يشعر بالسعادة لدى مشاطرتها تفاصيل يومه.

«أنا بخير». قالت بيرجثورا.

«أعتقد أنني سأذهب إلى السرير مباشَرةً». قال سيغوردور أولي؛ واضعاً كوبه في حَوض الجلي.

«علينا التحدث». قالت بيرجثورا.

«ألا يمكننا القيام بذلك غداً؟».

«الآن هو الغد». قالت. «أواصل الانتظار للتحدث إليك، ولكنك لا تكون في المنزل أبداً. بدأت أفكر في أنك تتجنّبني».

«العمل في أَوجه في الوقت الحاضر. يكون عملك في أَوجه أيضاً في بعض الأحيان. كلانا نعمل كثيراً. وأنا لا أتجنّب أي شيء».

«ماذا تريد أن تفعل؟».

«لا أعرف يا بيغا». قال سيغوردور أولي. «يبدو الأمر أشبه بخطوة جَذرية بالنسبة إليّ».

«الناس يتبنّون أطفالاً في كل يوم من العام». قالت بيرجثورا. «لماذا لا يُفترض بنا القيام بذلك؟».

«لا أقول... أريد أن أكون حذِراً ليس إلا».

«ما الذي تخشاه؟».

«لم أتخيّل قطّ قيامي بتبنّي طفل. لم أجد يوماً حاجةً للتفكير في المسألة. إنه مفهوم جديد تماماً وغريب بالنسبة إليّ. أفهم أن الأمر ليس كذلك بالنسبة إليك، ولكنه كذلك بالنسبة إليّ».

«أعرف أنها خطوة كبيرة».

«في الواقع، إنها كبيرة جداً». قال سيغوردور أولي.

«ماذا تعني بذلك؟».

«ربما لا يصلح الجميع له؛ أقصد التبنّي».

«أتعني أنه قد لا يَصلح لك؟».

«لا أعرف. ألا يمكننا النوم الآن؟».

«هذا ما تقوله على الدوام».

«أعلم».

«اذهب إلى السرير إذاً!».

«انظري، نحن نتشاجر حول هذا الأمر منذ مدة طويلة جداً. أطفال، تبنٍّ...».

«أعلم».

«أشعر بعُقدة في معدتي طوال اليوم».

«أعلم».

«ألا يمكننا نسيان الأمر؟».

«لا». قالت بيرجثورا، «لا يمكننا».

20

كان مجمَّع الشقق السكنية لا يزال تحت حراسة الشرطة. كلّم إرلندور الضابط على الدرَج بإيجاز؛ لم يكن لديه ما يُبلِغ عنه. كان السكان قد تقاطروا من العمل إلى منازلهم قرابة المساء، وبدأت مجموعة منوَّعة من روائح الطهو تنفذ إلى فسحة الدرَج. ولزمت سوني المنزل طوال اليوم برفقة شقيقها.

كان إرلندور في طريقه إلى المنزل في وقت متأخر، ولا يزال يتعيّن عليه القيام بالقليل من الزيارات القصيرة؛ أوّلها زيارة للمشرحة في بارونستيغور حيث لاحظ على الفور حدوث أمر رهيب. لقد نُقلت جثتان مغطاتان بملاءات بيضاء إلى داخل المبنى على حمّالتين. كان الناس متجمعين، ولم يعرف إرلندور السبب حتى أُبلِغ بوقوع حادث خطير على الطريق الرئيس خارج المدينة، قرب موسفلسباور. لم يكن قد تابع نشرة الأخبار: فقد ثلاثة أشخاص حياتهم في حادث اصطدام خمس سيارات؛ امرأة مُسِنّة ومراهقان خضع أحدهما مؤخراً لاختبار في القيادة. وتوقفت سيارة إسعاف، ناقلةً الجثة الأخيرة. كان أفراد عائلات المتوفّين واقفين في الأرجاء في حالة صدمة، وعلى الأرض دماء. فتقيّأ أحدهم.

وعندما حاول إرلندور الفرار، صادف الأخصائي في عِلم الأمراض، وكانا يعرفان بعضهما. فالرجل يُظهر أحياناً حسَّ فكاهة يستحق لأجلها الإعدام شَنقاً، واعتبر إرلندور أن تلك طريقته للتعاطي مع مهنة قاسية. ولكنه لم يكن في مِزاج ملائم للدُّعابات أثناء تحديقه بإرلندور بارتباك آنيّ. فقال إرلندور إنه سيتصل به في وقت لاحق.

«فتاك في الداخل». قال الأخصائي في عِلم الأمراض وهو يومئ في اتجاه باب مُغلَق.

«سأعود في وقت لاحق». كرر إرلندور.

«لم أعثر على أي شيء». قال الأخصائي في عِلم الأمراض.

«لا بأس، أنا...».

«كان هناك تراب تحت أظافره، ولكنني لا أعتقد أنه أمر خارج عن المألوف. اثنان من أظافره مكسوران، وقد عثرنا على بقايا ألياف. لا بد أن صراعاً قد وقع؛ الأمر واضح من تمزّق معطفه أيضاً. ألم تقل الوالدة إنه كان في حالة جيدة؟ أفترض أنك ستتمكن من إقامة صِلةٍ إذا تمكنت من تتبّع مصدر الألياف التي عثرنا عليها. يقوم فريق الأدلّة الجنائية بتحليل

الألياف لاكتشاف نوع النسيجِ مصدرِ الألياف، عِلماً أنها ربما تكون من ملابسه».

«وماذا عن جُرح الطعنة؟».

«لا جديد في هذا الشأن». قال الأخصائي في عِلم الأمراض فاتحاً الباب. «اخترقت الطعنة الكَبِد، ونزف الفتى حتى الموت بسرعةٍ نسبياً. الشَّقّ ليس كبيراً بصفة خاصة، وربما تكون الأداة التي أحدثته عريضة نوعاً ما، ولكن من غير الضروري أن تكون طويلة. لا أستطيع ببساطة اكتشاف نوع الأداة».

«أيمكن أن تكون مِفك براغيّ؟».

فعبس الأخصائي في عِلم الأمراض، وتوقف قليلاً عند مدخل الباب. كانوا بحاجة إليه في مكان آخر.

«لا أظن ذلك. إنّ الأداة التي تم استخدامها أكثر حِدّة».

«ألم يُطعَن عبر معطفه؟».

«لا، كان السّحاب مفتوحاً. طُعن عبر كنزة صوفية رخيصة وصُدرة. كانتا العائقَين الوحيدَين، مصدر حمايتَه الوحيد».

«ألم يكن من المُفترض وجود بقع دماء موزّعة في الأرجاء؟».

«ليس بالضرورة. إنها طعنة واحدة مباشَرة تسببت بنَزف داخلي كبير. ما كان الدم ليصل إلى مهاجمه بالضرورة، ولكن ربما توجب عليه تنظيف نفسه».

أغلق الأخصائي في عِلم الأمراض الباب، فسار إرلندور في اتجاه الجثة، ورفع الملاءة التي تغطيه. ناظراً إلى جرح الطعنة الصغير، فكّر مليّاً في الاحتمال الذي تبادر إلى ذهنه في وقت سابق من ذلك اليوم: الأداة التي استُخدمت لطعن الفتى مماثلة لتلك التي استُخدمت لخدش سيارة جارتان. فالشّق في جَنبه صغير ويكاد لا يكون مرئياً، ولكنه في المكان الصحيح لإحداث ضررٍ لا يمكن إلغاء تأثيره. فلو كانت الطعنة على بُعد سنتيمترات قليلة لَنجا إلياس. كان إرلندور قد ناقش هذا التفصيل مع الأخصائي في عِلم الأمراض الذي لم يُلزم نفسه بهذا الاحتمال، ولكنه أقرّ بأن المعتدي كان يعرف ما يفعله.

أثناء إعادته وضع الملاءة فوق جثة إلياس، تساءل عن شعور سوني التي تعلم بوجود ابنها في هذا المكان المُخيف. ستبدأ بالتأكيد بالتعاون مع الشرطة في وقت قريب؛ فالبديل بعيد الاحتمال. ربما تعتقد أن ابنها البكر في خطر، وربما تظن أنها تحمي نيران من الصَّخَب المحتدِم في المجتمع منذ

وفاة شقيقه. وربما لا تريد صوراً له في الصحافة وعلى التلفاز. وربما لا تريد هذا القَدْر من لَفتِ الانتباهِ. وربما، ربما فقط... يعرف نيران شيئاً ما أرغم سوني على إخفائه.

كان البَرْد قد اشتد عندما انطلق إرلندور بسيارته وعيناه تعكسان الأسى المتجمّد في المشرحة.

التقته سوني عند الباب، فقد افترضت أنه يحمل أخباراً عن التحقيق، ولكن إرلندور قال على الفور إن شيئاً لم يستجدّ. كانت لا تزال مستيقظة، في حين ينام شقيقها فيروت في غرفتها، وشعر بأنها سعيدة بالرِّفقة. لم يسبق له أن كلّمها بدون حضور شقيقها أو المترجمة. دعته للدخول إلى غرفة الجلوس، ومن ثم قصدت المطبخ لإعداد الشاي. وعندما عادت، جلست على الأريكة وسكبت كوبَين.

«كل الناس يأتون ليقفوا في الخارج تضامناً معنا». قالت.

«لا نريد ذلك النوع من العنف». قال إرلندور. «لا أحد يريده».

«أنا شاكرة لكل شيء». قالت سوني. «كانت البادرة جميلة جداً».

«هلاّ ائتمنتني على ابنك». سأل إرلندور.

فهزت سوني رأسها.

«لا يمكنك تخبئته إلى الأبد».

«أنت اعثر على القاتل، وأنا سأعتني بنيران».

«حسناً».

«إلياس فتى صالح. وهو لم يفعل أي شيء».

«لا أعتقد أنه تعرّض للاعتداء بسبب شيء ما فعله. ولكن، من المحتمل أن يكون قد تعرّض للاعتداء بسب وضعه. هل تفهمين؟».

فأومأت سوني برأسها.

«هل لديك أية فكرة عمن قد يريد الاعتداء عليه؟».

«لا». قالت سوني.

«هل أنت واثقة تماماً؟».

«أجل».

«ماذا عن الفتيان في المدرسة؟».

«لا».

«ربما أحد المدرّسين؟».

«لا. لا أحد. لقد عاملوا كلهم إلياس بشكل جيد».

«ماذا عن نيران؟ لا يبدو سعيداً جداً».

«نيران فتى صالح. إنه غاضب فحسب، فهو لا يريد العيش في أيسلندا».

«أين هو؟».

لم تُجب.

«حسناً». قال إرلندور. «الأمر عائد لك، فكّري في الأمر. ربما تُخبرينني غداً. علينا التحدث إليه. الأمر بالغ الأهمية».

فنظرت سوني إليه بصمت.

«أعرف أن الأمر صعب عليك، وأنك تريدين القيام بما تشعرين بأنه مناسب. أفهم ذلك. ولكن، عليك أن تفهمي أيضاً أنه تحقيق حسّاس في جريمة قتل».

لزمت سوني الصمت.

«هل ذكر لك نيران أي شيء عن المدرّس الأيسلندي جارتان؟».

«لا».

«هل ذكر لك شيئاً عن شجار حصل بينهما؟».

«لا».

«ماذا قال لك؟».

«ليس الكثير. كان خائفاً فحسب. وأنا خائفة أيضاً».

ألقت سوني نظرة سريعة على الممر الصغير المؤدي إلى غرفتَي النوم حيث ظهر شقيقها، ورفعت يدها له.

«هل تمانعين قيامي بإلقاء نظرة سريعة على غرفة إلياس؟». سأل إرلندور واقفاً.

«حسناً». قالت سوني.

والتقت نظراتهما.

«أريد المساعدة، ولكنني أريد الاعتناء بنيران أيضاً».

ابتسم إرلندور وعبَر الممر في اتجاه غرفة الفتى. وأضاء مصباحَ طاولة صغيراً فتوهّج الضوء بضعف في أنحاء الغرفة.

لم يكن يعرف بالتحديد عما يبحث. لقد سبق لعناصر الشرطة أن فتشوا الغرفة من دون العثور على أية إلماعة عن المكان الذي يمكن لنيران أن يكون مختبئاً فيه. جلس إرلندور على كرسيّ، وتذكّر كيف كان وشقيقه بِرغور يتشاطران غرفة مماثلة في ما مضى في منزلهم في الشرق.

أثناء قيام إرلندور بتفحّص الغرفة، فكّر في العمل الوحشيّ الذي قضى على إلياس، وحاول وضعه في الإطار الجنائي الذي يعرفه جيداً، ولكنه كان

في حَيرة من أمره. لم يتمّ إبداء أية رحمة حيال إلياس عندما سقط جريحاً على الطريق. ولم يكن هناك أحد لمساعدته في نضاله المثير للشفقة للوصول إلى المنزل. كما لم يكن هناك أحد لتدفئته عندما تجمّد على الأرض شديدةِ البرودة وراء مجمَّع الشقق السكنية.

نظر حَوله، كانت هناك نماذج مصغَّرة لديناصورات من كل شكل وحجم موزّعة في أنحاء الغرفة، إضافةً إلى صورتَين لديناصورات معلّقتَين على الجدار فوق السريرَين الطبقيَّين تُظهر إحداهما تيرانوصورات مهدِّدة تكشّر عن أنيابها فوق طريدتها.

ولاحظ وجود دفتر تمارين كتابية على سرير إلياس، فمدّ يده في اتجاهه. لقد كُتب على الغلاف «دفتر قصصي» واسم إلياس، ويحتوي على تمارين للكتابة الإبداعية ورسوم. لقد كتب إلياس عن «الفضاء» ووضع رسماً توضيحياً ملوَّناً لكوكب زُحَل. وكتب أيضاً عن «رحلة إلى مركز التسوق» برفقة والدته. وحمل مقطعٌ عنوان «فيلمي السينمائي المفضَّل» وعرض فيه لفيلم سينمائي خياليّ جديد لم يسمع به إرلندور من قَبل. قرأ القصص الجذّابة المكتوبة بيدٍ طفولية، وقلّب الصفحات حتى المكان الذي وصل إليه إلياس في الدفتر. كان قد دوّن عنوان التمرين الكتابي الأخير في أعلى الصفحة، ولم يكتب أي شيء بعد ذلك.

مُغلِقاً دفتر التمارين الكتابية، أعاد إرلندور وضعه على سرير إلياس ووقف. ماذا كان يريد أن يصبح؟ أراد أن يصير طبيباً ربما، أو سائق حافلة أو شرطياً. فالاحتمالات غير محدودة، والعالم مكان جديد ومثير للدهشة. لم تكد حياته تبدأ حين قُتل.

عاد للانضمام إلى سوني في غرفة الجلوس، وكان شقيقها في المطبخ.

«هل تعرفين ماذا كان يريد أن يصبح عندما يكبر؟». سأل إرلندور.

«أجل». قالت سوني. «كان يقول في غالب الأحيان كلمة كبيرة. لقد تعلّمتُها منه».

«ما هي؟».

«عالِم أحافير».

فابتسم إرلندور.

«اعتدت أن أسمع: أريد أن أصبح شرطياً، أو سائق حافلة».

في طريقه إلى الخارج، سأل مجدداً ضابط الشرطة على الدرَج إذا كان قد لاحظ قدوم أو مغادرة أي شخص مثير للريبة على فسحة الدرَج أو قربها، ولكنه أجاب بالنَّفي. وسأل عن الجار جِستور الذي يقيم في الشقة

المقابلة لشقة سوني، ولكن الضابط لم يرَه.

«لم يكن هناك أي سبب لصعود أحد إلى هنا». قال الضابط ذلك، فألقى عليه إرلندور تحية الوَداع وغادر.

بالرغم من تأخر الوقت، كان لا يزال يتعيّن على إرلندور القيام بزيارة أخيرة لرجل اتصل به بعد الظهر، وتدبّر أمر زيارته في منزله. فتح الرجل الباب بسرعة عندما قرع عليه إرلندور، ودعاه للدخول. لقد شعر إرلندور بعدم الارتياح أثناء زيارته السابقة، ولم يتمكن من تحديد السبب بدقّة. فللأمر علاقة بالجوّ؛ بشيء ما مرتبط بمالك المنزل.

كان الرجل يشاهد التلفاز، ولكنه أطفأه وعرض عليه القهوة. فشكره إرلندور رافضاً تناولها، ونظر إلى ساعته وقال إنه لن يمكث طويلاً؛ ولم يعتذر عن تأخره على موعد زيارته. ووقع نظره على صورة فوتوغرافية للثنائي على الطاولة. كانا يبتسمان. لقد قصدا مصوِّراً فوتوغرافياً قبل حَفل الاستقبال بمناسبة الزِّفاف، والتُقطت صورة لهما بملابسهما الفاخرة. كانت تحمل باقة صغيرة.

«لا تتمتع بشعبية كبيرة لدى زوجتيك السابقتين، أليس كذلك؟». قال إرلندور. «لقد أصغيتُ إلى ما لديهما لقوله».

«أَخبرني أمراً لا أعرفه». قال الرجل.

تمكّن إرلندور من معرفة سبب وقوع النساء في غرامه إذا صودِف وأُعجبنَ به. فهو رجل نحيل وأنيق المظهر، وجهه ودود، وشعره أسود، وعيناه بنّيّتان، وبشرته زيتونية اللون جذّابة، ويداه أنيقتان. يرتدي ملابس تنمّ عن حُسن ذَوقٍ ليس من طبيعة إرلندور البتة، ومنزله مزوَّد بأثاث وافر وعلى الموضة، ومطبخه رائع، والأرضية باهظة الثمن، وتزيّن رسومٌ تصويرية مطبوعة الجدرانَ. ولكن ما ينقص هو أية دلالة على إقامة شخص ما في المكان في الواقع.

وتساءل إرلندور عما إذا كان يُفترض به إخباره عن الاتصالات الهاتفية التي يمكن أن يكون قد تلقّاها من زوجته. للرجل الحق بمعرفة ذلك. فإذا كانت شكوك إرلندور صحيحة، فإن زوجته لا تزال على قَيد الحياة، وسيحمل له النبأُ الفرح. لم يكن إرلندور يعرف في الواقع سبب عدم إخباره بكل شيء. فهناك شيء ما مزج في هذه القضية لم يتمكن من اكتشافه.

«لا، بالطبع». قال إرلندور. «ادّعت إحداهما أنك هددت بقتلها».

قال ذلك كما لو أنه أمر واقع، وكما لو أنه يعلّق على حالة

الطقس، ولكن الرجل لم يرفّ له جَفن. ربما كان يتوقع ذلك.

«تعاني سِيلا من اختلال في العقل». قال بعد أن صمت للحظات. «لم تكن سليمة العقل مطلقاً».

«إذاً، أنت تعرف الحادث الذي أشير إليه؟».

«إنه ليس سوى أمر قد تقوله أنت، وربما قلتَه بنفسك في وقت من الأوقات، ولا تعني أي شيء بقولك إيّاه».

«ليس هذا ما قالته».

«هل تُركّز تحقيقك عليّ الآن؟ أتعتقد أنني فعلت لها شيئاً ما؟ لزوجتي؟!».

«لا أعر...».

«هي مفقودة!». قاطعه الرجل. «لم ألمسها. إنها مجرد قضية شخص مفقود عادية!».

«لم يسبق لي أن سمعتُ بقضية شخص مفقود عادية». قال إرلندور.

«تعرف تماماً ما أعنيه. توقّف عن تحريف كل ما أقوله».

كان إرلندور يعرف حقاً ما الذي يعنيه بقوله: قضية شخص مفقود عادية. وتساءل عما إذا كان هناك بلد آخر في العالم يتكلمون فيه عن قضية شخص مفقود عادية. ربما علّم التاريخ الأيسلنديين عدم إحداث جَلَبة كبيرة عندما يُفقَد الناس.

«لا شيء طبيعي في اختفائها». قال إرلندور.

وتوقف للحظات. إن القضية تتخذ منحى لا يمكن العودة عنه، ومن الآن فصاعداً ستكون طبيعة الاستعلام مختلفة وأكثر جدّيّة.

«هل هددتَ بقتلها؟». سأل إرلندور.

فحملق الرجل به.

«هل تحقق الآن بالقضية باعتبارها جريمة قتل؟». سأل.

«لماذا غادرتِ المنزل؟».

«قلتُ لك مراراً وتكراراً، لا فكرة لديّ البتة عما حدث. عدت إلى المنزل ولم تكن هناك! هذا كل ما أعرفه. عليك أن تصدّقني. لم أفعل أي شيء يؤذيها، وأجد الأمر مقيتاً عندما تشير ضمناً إلى شيء آخر!».

وخطا في اتجاه إرلندور.

«أنا أعني ذلك؛ إنه مقيت».

«علينا التدقيق في كل الاحتمالات». قال إرلندور. «عليك أن تفهم ذلك. لقد أجرينا بحثاً دقيقاً جداً عنها، ومشّطنا الشواطئ، ووضعنا إعلانات

في الصحف والتلفاز. لن تعود من تلقاء نفسها. ربما فارقت الحياة. عندما يختفي الناس على هذا النحو، يكون الأمر بصورة عامة دلالة على تعاستهم لدرجة قيامهم بأمر أحمق. هل كانت زوجتك تعيسة؟ لماذا؟ هل سبب ذلك شيئاً ما فعلتَه بها؟ هل لامت نفسها؟ هل ندمتْ على الأمر برمّته؟ هل ندمتْ على العلاقة الغرامية، والطلاق، والزواج؟ هل ندمتْ على فقدان أولادها لأجلك؟ هل كان الأمر برمّته خطأ مميتاً؟».

«تحدثتَ إلى صديقاتها، أليس كذلك؟». قال الرجل.

لم يُجب إرلندور، فتابع الرجل قائلاً:

«هنّ مجنونات! لم أُحببهنّ مطلقاً، ولم يُحببنني يوماً. ماذا تتوقع؟».

«كانت مكتئبة». قال إرلندور. «لقد ندمت على فقدانها عائلتها بسببك؛ لأنها تعتقد أنك بدأت بخداعها».

«هُراء!».

«لقد عثرتَ على امرأة جديدة، أليس كذلك؟».

«امرأة جديدة! ما الذي تتحدث عنه؟».

«هل بدأتَ بخداعها؟».

«لا أعرف ما تتكلم عنه».

«تقول صديقاتها إنها اشتبهت بوجود امرأة أخرى». قال إرلندور. «هل هذا صحيح؟».

«إنها مجموعة أكاذيب ليس إلا! لا وجود لامرأة أخرى».

وتردد إرلندور للحظات ثم قال:

«في اليومين الماضيين، تلقيتُ اتصالات هاتفية من امرأة لم تكشف عن اسمها». صمت قليلاً ثم تابع: «إنها مضطربة؛ هي تعرف أنني أحقق في القضية، ولكنها لا تثق بنفسها كي تعود من تلقاء نفسها. لا أعرف إذا كان سبب ذلك عدم جرأتها، أو عدم قدرتها على القيام بذلك. ما قالته لا يساعد كثيراً، لأنها تكون مضطربة باستمرار عندما تتصل؛ كانت تقوّي عزيمتها على الأرجح لإجراء الاتصال، ولكن عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار حاسم تتراجع وتُنهي المكالمة الهاتفية».

«أتعني أنها هي؟». سأل الرجل مصعوقاً. «هي على اتصال بك؟ هل... هي حيّة؟ هل هي بخير؟».

«إذا كانت هي المتصلة». قال إرلندور ذلك؛ نادماً على الفور بسبب ذكره الاتصالات الهاتفية. كان ينبغي عليه الانتظار حتى تتصل به المرأة مرة أخرى على الأقل ويُقنعها بلقائه وإطلاعه على الحقيقة.

«إذا؟». قال الرجل. «إذا كانت هي؟! أتعني أنك غير واثق؟».

«أنا واثق بقَدْر ما يمكنني الوثوق». قال إرلندور. «ولكن ذلك لا يعني الكثير».

«يا الله! ما الذي تفكّر فيه؟ وماذا... ماذا تقول؟ لماذا تفعل ذلك؟».

«هل ما تقومان به ضرب من ضروب الاحتيال؟». سأل إرلندور.

«ضرب احتيال! لا. هل هذا ما قالته، إنه ضرب احتيال؟ هل هذا ما قالته؟».

«لا». قال إرلندور محاولاً الحدّ من لَهفة الرجل. «في الواقع، إنها لا تقول الكثير. هي...».

كان على وشك القول إن كل ما قامت به هو البكاء عبر الهاتف، ولكنه امتنع عن ذلك.

«ماذا... ماذا قالت؟ لماذا اتصلت بك؟».

«هي مكتئبة». قال إرلندور. «الأمر واضح لدى التحدث إليها. ولكنها لم تُخبرني بأي شيء. هل يمكنك تنويري؟ هل تعرف أكثر مما تُفشي؟».

«لماذا لمَ تكلّمني؟». قال الرجل.

بدلاً من الإجابة، حدّق إرلندور بالرجل ببساطة كما لو أنه يطرح عليه السؤال. لماذا لم تكلّمك؟

«لم أفعل لها أي شيء!». صاح الرجل. «إنها كذبة! أنا لا أخدعها. حسناً، حسناً، لقد خَدعتُ في السابق، ولكن ليس الآن. لم أكن أخدعها. عليك أن تفهم ذلك! عليك أن تصدّقني!».

«لا أعرف ما أصدّقه وما لا أصدّقه». قال إرلندور.

«عليك أن تصدّقني». كرّر الرجل بكل الصِّدق الذي تمكّن من إظهاره.

«إذاً مجدداً، ربما يكون السبب المرأةَ الجديدة التي تقابلها». قال إرلندور. «لديك علاقات غرامية؛ وهذه ليست كذبة. أنت عدت إلى عاداتك القديمة، والتقيت امرأة أخرى، وتشاطرتما هذا السر الصغير. بعد ذلك، اكتشفت زوجتك الأمر واختفت».

«هذا هُراء». قال الرجل.

«تردّدت زوجتك الجديدة، وشعرت بتأنيب الضمير يقضّ مضجعها، فاتصلت بي و...».

«ماذا تفعل؟». تأوّه الرجل.

«ألا يتعلّق الأمر نوعاً ما بما فعلتَه؟».

«لم أهدّد مطلقاً بقتل أي شخص». قال الرجل. «إنها كذبة!».

«هل كنت تخدع زوجتك؟». سأل إرلندور. «ألهذا السبب تركتك واختفت؟».

حدّق به الرجل لمدة طويلة من دون قول أي شيء. لم يكن إرلندور قد جلس بعد، فوقفا في غرفة الجلوس محدّقَين ببعضهما بعضاً كثَورَين غير مستعدَّين للانسحاب. رأى إرلندور الغضب يتآكل الرجل؛ لقد نجح في إثارة غضبه.

«هل اتصلت بها عشيقتك؟». سأل إرلندور.

«لا فكرة لديّ البتّة عما تتحدث». قال الرجل عبر أسنان شبه مطبقة.

«كان الأمر مؤكَّد الحدوث».

«هُراء!».

«أبهذه الطريقة اكتشفتْ زوجتك أنك تخدعها؟».

«أعتقد أنه يُفترض بك الانصراف الآن». قال الرجل.

«ليست مجرد قضية شخص مفقود بسيطة، أليس كذلك؟». قال إرلندور.

«اخرج». قال الرجل.

«يجب أن تلاحظ أن هناك أمراً ما لا يتوافق مع روايتك».

«لا مزيد لديّ لأقوله لك. اخرج!».

«أوه، باستطاعتي المغادرة». قال إرلندور، «ولكن هذه القضية لن تُقفَل. باستطاعتك مواصلة الإنكار، ولكن الحقيقة ستظهر عاجلاً أم آجلاً».

«إنها الحقيقة». صرخ الرجل. «لا أعرف ما حدث. حاول أن تفهم ذلك. حباً بالله، حاول أن تفهم! لا أعرف ما حدث!».

عندما وصل إرلندور إلى منزله أخيراً، جلس على كرسيّه من دون إضاءة الأنوار في الشقة، وأسند ظهره ممتنّاً للحصول على قسط من الراحة. ونظر إلى خارج النافذة، وحطّت أفكاره الرِّحال عند إيفا ليند والحُلْم الذي أرادت أن تُطلعه عليه.

لقد أثار ذهنُه صورة حصان يشقّ طريقه بصعوبة في مستنقع موحِل، وعيناه ناتئتان ومِنخراه مُتّسعان. وسمع صوت مياه عندما تمكّن الحصان من تحرير قائمته الأمامية قبل أن يغرق أكثر فأكثر.

كان يتوق للعيش بسلام. كان يتوق لرؤية النجوم التي احتجبت وراء السُّحُب. كان يسعى إلى العثور على العزاء فيها.

كانت العائلة قد عاشت في ظروف من الضّيق في المنزل الصغير الذي بات مهجوراً ومُهمَلاً، ويتعيّن على الشقيقَين تشاطر غرفة نوم واحدة، في

حين يشغل والداهما غرفة النوم الأخرى، وهناك مطبخ كبير يحتوي على غرفة مؤونة، وغرفة جلوس صغيرة فيها أثاث قديم، وصور فوتوغرافية للعائلة عُلّق بعضها الآن في غرفة الجلوس في شقة إرلندور. كان يقوم برحلة إلى الشرق كل بضع سنوات للنوم في أنقاض ما كان ذات مرة منزله. ويسير من هناك - أو يقود سيارته - إلى المستنقعات، حتى إنه ينام تحت قُبّة السماء. كان يستمتع بالسفر بمفرده، ويغمره الإحساس التدريجي بالعزلة العميقة مع أشباح طفولته، مُحاطاً بأماكن وأحداث من ماضٍ لا يزال نابضاً بالحياة بالنسبة إليه، فيملأه الحنين. هو يعرف أنه موجود في ذاكرته فقط، وعندما يزول لن يتبقى شيء، ويبدو الأمر كما لو أن شيئاً منه لم يكن موجوداً مطلقاً.

هو يذكر عندما كان وبِرغور مستلقيَين في ذلك المساء في ظُلمة غرفتهما، مُفرطَي الانفعال ولا سبيل لهما للنوم، وسمعا سيارة تدخل فناء المنزل، والباب الأمامي يُفتح، وصوتَي والدَيهما وهما يدعوان شخصاً ما للدخول. لقد سمعا ولكنهما لم يعرفا صوت الزائر الخفيض. نادراً ما كانوا يستقبلون زوّاراً في هذا الوقت من الليل. لم يجرؤ الشقيقان على مغادرة غرفتهما، ولكن إرلندور فتح الباب قليلاً وتمدّدا أرضاً واسترقا السَّمع. لقد تمكنا من رؤية المطبخ، وقدمَي الزائر، وحذاءه الأسود، وسِرواله الأسود، وساقَيه المتصالبتَين. ورأيا إحدى يدَيه على طاولة المطبخ، كبيرةً مع أصابع ثخينة وخاتم ذهبي يغوص في اللحم. لم يتمكنا من سماع ما يُقال. كانت والدتهما واقفة قرب الطاولة، مُديرةً ظهرها لهما جزئياً، ورأيا أحد مَنكبَي والدهما؛ حيث كان يجلس بانحراف في الناحية المقابلة للزائر. فذهب إرلندور إلى النافذة، وألقى نظرة على السيارة في الخارج. لم يعرف الطِّراز لأنه لم يسبق له أن رأى السيارة من قَبل.

وقرر السير على أطراف أصابعه إلى داخل الممر. كان يعتزم الذهاب بمفرده، ولكن بِرغور هدّده بإخبار والدَيه، لذلك سمح له بمرافقته. فتحا الباب بحِرص شديد، وتسللا إلى الخارج. لم تلاحظهما والدتهما، وكان والده والزائر خارج مدى البصر. وشرع إرلندور بسماع ما يقولانه. لقد أصبح صوت الزائر الخفيض أكثر وضوحاً، وسَهُل عليه تمييز الكلمات، واتخذت الجُمل شكلاً محدَّداً. كان يتكلم بهدوء ووضوح كما لو أنه يحرص على أن يكون لما يقوله الوَقع الصحيح. لاحظ إرلندور الرائحة التي حملها الزائر معه؛ رائحة زكية على نحو غريب تملأ الجوّ. وتسلّل مقترباً أكثر فأكثر يتبعه بِرغور، وبذل جهداً كبيراً كي لا يُحدث أي ضجيج، لدرجة أنه كان

يدبّ على يدَيه وقدمَيه «ببيجامته» المقلَّمة.

كان إرلندور حينها في السابعة من العمر، وقد سمع للمرة الأولى ذِكر الجريمة الأكثر فظاعة على الإطلاق.

«... مما يعني أن الأمر محتمَل». قال الزائر.

«متى حدث ذلك؟». سألت والدتهما.

«قرابة موعد العشاء. لقد ارتُكبت الجريمة بعد الظهر على الأرجح. كانت ساحة الجريمة مُريعة. لا بد من أن يكون قد أُصيب بالجنون. لقد أُصيب بالجنون تماماً واندفع إلى داخل الغرفة مُهتاجاً».

«بسكينٍ تستعمل لفصل العَظم عن اللحم!؟». همس والدهما.

«لا تعرف أبداً ما قد يقوم به هؤلاء الدخلاء». قال الزائر. «لقد مضى شهران على عمله في مصنع الأسماك. يقولون إنه هادئ تماماً وقليل الكلام وانطوائيّ».

«يا للفتاة المسكينة!». تأوّهت والدتهما.

«كما أقول، لم نلاحظ أحداً اليوم في هذه الناحية». قال والدهما.

«هل يمكن أن يكون مختبئاً في مكان قريب؟». سألت والدتهما، وسمع إرلندور القلق في صوتها.

«إذا كان يعتزم العبور سيراً على الأقدام، فربما سيمرّ بهذه الطريق. من المحتمَل أن يقوم بذلك، وقد أردنا أن نُعلِمكما. نحن نراقب الطرقات، ولكنني لا أعرف ما الفائدة من ذلك».

«ماذا يُفترض بنا أن نفعل؟». سأل والدهما.

«أوه، يا الله». سمع إرلندور والدته تهمس. ونظر إلى بِرغور وراءه، وأومأ له كي لا يُصدر أي صوت.

«سوف نقبض عليه». قال الزائر من وراء باب المطبخ. فحدّق إرلندور إلى حذاء الزائر الأسود. «إنها مسألة وقت فحسب. هناك دَعم قادم من ريكيافيك. سيساعدوننا. ولكنكما مُحقّين بالتأكيد؛ من المروِّع حدوث أمر مماثل هنا في الفيوردات الشرقية».

«على الأقل تعرف من يكون». قال والدهما.

«من الأفضل لكما إقفال أبوابكما الليلة ومتابعة النشرات الإخبارية». قال الزائر. «لا أريد أن أُخيفكما بدون داعٍ، ولكن أَخذ الحيطة والحذَر أفضل من الندم في ما بعد. ربما لا يزال القاتل مسلّحاً بسكين. لا نعرف ما هو قادر عليه».

«من الفتاة؟». سألت والدتهما باضطراب.

فلزم الزائر الصمت للحظات قبل أن يجيب.

«ابنة ليفي». قال أخيراً.

«لا!». شهقت والدتهما. «أنت لا تعني ذلك؟ داغا! داغا الصغيرة!».

ورأى إرلندور والدته تنهار ببطء على مقعد المطبخ، محدّقةً بالغريب بخوف.

«لا نستطيع العثور على ليفي». قال الزائر. «إنه هناك في الخارج في مكان ما مع بندقية صيد. ربما يمرّ من هذه الناحية أيضاً. إذا رأيتماه، حاولا التحدث إليه وحمله على التعقّل. فبمطاردته هذا الرجل سيجعل الأمور أسوأ. قالت سيغا إنه فقد السيطرة على نفسه».

«أوه، يا للرجل المسكين!». سمع إرلندور والدته تهمس.

«يمكنني فهمه جيداً». قال والدهما.

لم يعرف إرلندور ماذا يجدر به أن يفعل أثناء تسمّره في مكانه قرب باب المطبخ. كان بِرغور واقفاً بجانبه. لم يفهم خطورة المسألة، ولكنه أراد الإمساك بيد شقيقه الذي دسّ يده الصغيرة في يد إرلندور. فنظر إليه إرلندور، وأومأ له ثانيةً مشيراً إلى ضرورة عدم إصدار أي صوت. وسمع والدهما يطرح السؤال الذي كان قد بدأ بالاستحواذ على عقله.

«هل نحن في خطر؟».

«لا أعتقد ذلك». قال الغريب. «ولكن، من المنطقي أخذ جانب الحذَر. لن تعرفا أبداً متى يحدث أمر مماثل. أردت أن أُعلمكما. عليّ زيارة مكان آخر أيضاً، لذا...».

وأصدر الكرسيّ صوتاً فيما كان يحتك بأرضية المطبخ، ووقف الزائر. فضغط إرلندور على يد شقيقه وفرّا عبر الممرّ إلى غرفتهما، وأغلقا الباب وراءهما. سمعا والدَيهما يُلقيان تحيّة الوَداع على الرجل عند الباب الأمامي، وعندما نظرا خارج النافذة، رأيا شكلاً بشرياً طَيفياً يتوجه إلى السيارة بخطى واسعة وسريعة ويدخلها. شُغّل المحرك، وأُضيئت المصابيح الأمامية، وانطلقت السيارة وتوارت عن الأنظار.

فتح إرلندور الباب قليلاً، وحدّق إلى الخارج. رأى والدَيه يتكلمان بهدوء بجانب الباب الأمامي، ومن ثم قام والده بأمر لم يسبق له أن قام به من قبل؛ فقد أقفل الباب الأمامي بإحكام، وباب حُجرة غسل الملابس الخلفي. وتحققت والدته من النوافذ، وأغلقت بإحكام تلك المفتوحة. وعندما رآها متوجّهةً نحو غرفتهما، قفز وبِرغور إلى داخل السرير قبل أن يُفتح الباب، وظهرت عند الباب للاطمئنان عليهما. ودخلت الغرفة، وحرصت على

أن تكون النافذة مُقفَلة، ثم خرجت بعد ذلك على أطراف أصابعها وأغلقت الباب.

لم يتمكن إرلندور من النوم. لقد سمع والدَيه يهمسان في المطبخ، ولكنه لم يجرؤ على الخروج إليهما. فشقيقه - الذي لم يفهم شيئاً - غَفا، ولكن إرلندور بقي مستيقظاً تماماً في الظلام، مُطيلاً التفكير في القاتل الذي ربما يكون متوجهاً إلى منزلهم، وفي والد الفتاة الذي يطارده ببندقية صيد وقد خرج عن طَوره ويتآكله الغضب والكره والأسى. أصغى إلى أصوات الليل تتضخّم حوله. فما كان في السابق صريراً ودوداً للوحٍ رَخو من الحديد المضلَّع في حظائر الخراف أصبح الآن دليلاً مُرعباً على تربّص شخص ما بهم في الخارج. وإذا سمع ثُغاء نعجة، كان يظنّ أن القاتل يتسلل. وتشنّجت مَعِدته على وَقع عَصفة ريح هبّت على المنزل.

لقد تخيّل داغا والسكين ومسرح الجريمة المُريع، وشعر بالخوف حتى ظن أن قلبه سينفجر. كانوا يعرفون الفتاة جيداً. إنها من الفيورد المجاور، ابنة صديقي والديه؛ وكانت جَليسة الشقيقَين في عدة مناسبات عندما يُضطر والداهما للخروج.

لم يسبق لإرلندور أن سمع بأيّ جريمة، فكيف بالقتل، ولكن هذا الأمر تغيّر على الفور في ذلك المساء، وبات عالمه مختلفاً ومكاناً أكثر افتقاراً إلى الرَّحمة. هناك قوة مدمِّرة في البشر لم يدرك وجودها من قَبل؛ قوة يخشاها ولا يستطيع فهمها. في اليوم التالي، تحدّث إليه والداه وإلى بِرغور، وأخبراهما بما حدث، ولكنهما أعفياهما من التفاصيل. لقد بقوا في الداخل طوال اليوم. وسأل إرلندور عن سبب قيام الناس بهذه الأمور، ولكن والدَيه لم يُجيباه. وواصل طرح سَيل لا متناهٍ من الأسئلة؛ أراد أن يفهم ما حدث بالرغم من أن ما حدث لم يكن مفهوماً، ولكن والدَيه لم يتمكنا من توفير الإجابات التي يبحث عنها. لقد اكتشف أن الرجل ذا الخاتم الذهبي والحذاء الأسود هو الحاكم المحلي. وقدّمت نشرات الأخبار الإذاعية تقريراً عن جريمة القتل، وعن المطاردة الشاملة الجارية لإلقاء القبض على الرجل الذي ارتكب العمل الوحشي. وبينما كانت العائلة جالسة في المطبخ تُصغي، رأى إرلندور القلق على وجهَي والدَيه، وشعر بالخوف والأسى والدمار، وعرف أنه منذ ذاك الحين فصاعداً لن يعود أي شيء إلى سابق عهده.

قُبض على القاتل بعد يومَين في مدينة أكوريري الشمالية. لم يدنُ من منزلهم مطلقاً. وكان الناس واثقين من أن والد الفتاة كان سيُطلق النار

على القاتل ويُرديه لو عثر عليه أولاً. لقد هام الوالد على وجهه مع بندقيته طوال الليل ونصف اليوم التالي قبل أن تعثر عليه الشرطة رجلاً محطَّماً.

حينئذٍ، علم إرلندور بوجود شيء ما يُدعى عملية قتل. وفي وقت لاحق، وقف وجهاً لوجه مع قَتَلة. وبالرغم من عدم إظهاره ذلك، فقد كان يشعر أحياناً بانقباضٍ في الصدر كما شعر في ذلك المساء عندما قام الحاكم بزيارته غير المتوقَّعة وحذّرهم من الرجل المزوَّد بالسكين.

21

سمع إرلندور رنين الهاتف فيما كان مستغرقاً في نومه. لقد تطلّب منه الأمر وقتاً طويلاً ليصحو. كان قد غفا على كرسيّه، وكل جسده يؤلمه. ملقياً نظرة سريعة على ساعته، وجد أن الوقت يتخطى التاسعة. نظر إلى خارج النافذة، ولم يعرف للوهلة الأولى ما إذا كان الوقت ليلاً أو نهاراً. وتواصل الرنين، فوقف بجهد ليُجيب.

«هل كنت نائماً؟».

لقد اشتهر سيغوردور أولي ببدئه يومه باكراً. إذ كان يصل إلى العمل قبل أي شخص آخر بصورة عامة بعد السباحة في إحدى بِرك السباحة العديدة في المدينة، وتناول فَطور مُشبِع.

«ماذا الآن؟». همهم إرلندور، ولمّا يستفِق بعد من نومه تماماً.

«يُفترض بي أن أعرض عليك مزيج غرانولا الجديد الذي تناولته هذا الصباح: دقيق الشوفان، والسكّر، والزبيب، وجوز الهند، والبُندق. فهو سيجعلك مستعداً للقيام بمهامك على أفضل وجه».

«سيغوردور».

«أجل؟».

«هل هناك ما تريد إخباري به قبل أن...؟».

«إنه الخُدش». قال سيغوردور أولي بسرعة.

«ماذا عنه؟».

«تعرّضت ثلاث سيارات أخرى لأعمال تخريبية في محيط المدرسة في الأيام القليلة الماضية». قال سيغوردور أولي. «ظهر ذلك هذا الصباح في اجتماع افتقدْنا بشدة غيابك عنه».

«هل الأضرار هي نفسها؟».

«أجل. خدوش على امتداد هيكل السيارة».

«هل نعرف من قام بذلك؟».

«لا، ليس بعد. عناصر الأدلة الجنائية يتفحصون السيارات الأخرى التي لم يُعَد رشّها بعد. من الممكن أن تكون الأداة نفسها قد استُخدمت. وهناك أمر آخر: مَنح جارتان الإذن لتفحّص سيارته الفولفو. يدّعي أن إلياس لم تطأ قدمه سيارته مطلقاً، ولكنه يعتقد أنه من الأفضل التأكد من ذلك».

«هل هو متعاون؟». سأل إرلندور.

«حسناً، يتعاون أفضل من السابق بقليل». قال سيغوردور أولي. «وهناك أمر إضافي واحد».

«كنتَ شديد الانشغال. هل هو الغرانولار؟».

«غرانولا». صحّح له سيغوردور أولي. «ربما يُفترض بنا إلقاء نظرة عن كثب على علاقة نيران بزوج أمه».

«من أي جانب؟».

كان إرلندور يستيقظ. لم يكن يُفترض أَخذه على حين غَرّة في المنزل، ويعلم أنه يستحق الإزعاج الذي سبّبه له سيغوردور أولي.

«تعتقد إيلينبورغ أنه يُفترض بنا تبادل أطراف الحديث مع أودين مرة أخرى. سأقصد منزله وأقابله لأسأل عن نيران».

«هل تعتقد أنه سيكون في المنزل؟».

«أجل. لقد اتصلتُ به للتوّ».

«إذاً أراك هناك».

كان أودين أشعث الشعر، عيناه محتقنتان، وصوته أجشّ. كان قد مُنح إجازة من العمل تعاطفاً معه، ويمرّ من حين لآخر مع والدته لرؤية سوني، ولكنه يلازم المنزل في غالب الأحيان بانتظار أي جديد. دعا إرلندور وسيغوردور أولي إلى غرفة الجلوس، وسكب لهما بعض القهوة.

«أَخبرنا قليلاً عن نيران». قال إرلندور عندما جلس أودين معهما.

«ماذا عن نيران؟».

«أي نوع من الفتيان هو؟».

«إنه فتى عادي جداً». قال أودين. «هل يُفترض به أن يكون...؟ ماذا تعني؟».

«هل كانت بينكما علاقة جيدة؟».

« في الواقع، لا يمكنك قول ذلك. لا شأن لي به».

«هل تعرف ما إذا كان الفتى قد واجه أي متاعب مؤخراً؟».

«لم تكن لي أية صلة حقيقية به». قال أودين.

«هل كان لنيران أي سبب ليُظهر لك العداء؟». قال إرلندور. لم يكن يجيد التعبير عن السؤال بطريقة أفضل.

فنظر أودين من شخص إلى آخر.

«لم يكن يُظهر لي العداء». كانت الأمور حسنة بيننا. لا علاقة له بي ولا علاقة لي به».

«هل تعتقد أنه اختبأ بسببك؟». سأل إرلندور. «بسبب أمر ما اعتقدَ

أنك قد تقوم به؟».

«لا، لا يمكنني تخيُّل ذلك». قال أودين. «بالطبع، صُدمتُ قليلاً عندما أخبرتني عنه، ولكنني لم أتدخّل عندما أرسلت بطلبه».

«لماذا انفصلتما؟». سأل سيغوردور أولي.

«لقد انتهى الأمر».

«هل بسبب أمر ما بشكل خاص؟».

«ربما. هناك أمور مختلفة؛ على غرار أي زواج طبيعي. الناس ينفصلون ويبدأون مجدداً. هكذا تسير الأمور. سوني امرأة مستقلة، وهي تعرف ما تريده. كنا نتشاجر بسبب الفتيَين أحياناً، ولا سيما إلياس. كانت تريده أن يتكلم التايلاندية، ولكنني قلت إن الأمر سيُربكه. الأكثر أهمية بالنسبة إليه أن يتكلم الأيسلندية».

«ألم يكن سبب ذلك خوفك من عدم قدرتك على فهمهما؟ من إفلات زمام الأمور من يدك في المنزل؟ من أن يتمّ إهمالك؟».

فهز أودين رأسه.

«سوني تحب العيش في أيسلندا، باستثناء بعض الأحيان التي يكون الطقس فيها سيئاً. هو يمنحها فرصة لدعم عائلتها في تايلاندا ماديّاً، وتبقى في الوقت نفسه على اتصال وثيق بها. تريد البقاء على تواصل مع جذورها».

«ألا نريد كلنا ذلك؟». قال إرلندور.

لم يتكلم أحد.

«ألا تعتقد أنه يمكن أن يكون نيران مختبئاً بسببك؟». كرر إرلندور.

«لا قَطعاً». قال أودين. «لم أفعل له أي شيء».

ورنّ الهاتف المحمول في جَيب إرلندور. لقد تطلّب منه الأمر بعض الوقت لاكتشاف هوية المتّصل. قال إن اسمه إغيل، وإنهما تحدّثا معاً في سيارته منذ بضعة أيام؛ إنه مدرّس النِّجارة.

«أوه، أجل، مرحباً». قال إرلندور عندما عرفه أخيراً.

«في الواقع، كما تعلم، يحدث الأمر دائماً». قال إغيل، وتخيّله إرلندور بلحيته جالساً في سيارته يدخّن. «لذلك، لا أعرف إذا كان الأمر ذا أهمية». تابع إغيل. «ولكنني أردت التحدث إليك بأية حال».

«ما الأمر؟». سأل إرلندور. «ما الذي يحدث دائماً؟».

«تلك السكاكين تُسرق على الدوام». قال إغيل.

«أية سكاكين؟».

«حسناً، سكاكين نَحت الخشب». قال إغيل. «لذلك، لا أعرف إذا كنت أساعدك بأية حال».

«ما الأمر؟ ماذا حدث؟».

«ولكنني أراقبها عن كثب». تابع إغيل، كما لو أنه لم يسمع السؤال. «أحاول دائماً مراقبة السكاكين عن كثب. فهي ليست زهيده الثمن. لقد عددتُها منذ بضعة أيام، قبل أسبوعَين ربما، ولكنني لاحظتُ فقدان أحدها. لقد فُقد أحد سكاكين النَّحت من الصندوق. هذا كل ما أردت أن أخبرك به».

«وماذا؟».

«لا شيء. لم أعثر على اللص بأية حال. أردت أن أُبلغك فحسب بفقدان سكين. ظننت أنك تريد أن تعرف».

«بالطبع». قال إرلندور، «شكراً لك لإخباري. من يسرق هذه السكاكين برأيك؟».

«أوه، التلاميذ ربما».

«أجل. ولكن هل تعرف من يكونون؟ هل فاجأتَ أحداً يوماً؟ هل هم التلاميذ أنفسهم أم...؟».

«لماذا لا تأتي فحسب وتُلقي نظرة بنفسك؟». سأل إغيل. «سأكون هنا طوال اليوم».

بعد عشرين دقيقة، ركن إرلندور وسيغوردور أولي سيارتهما أمام المدرسة. كان التدريس جارياً على قدم وساق ولم يريا أحداً في الملعب.

كان إغيل في غرفة النِّجارة مع تسعة مراهقين منشغلين بمهامهم على طاولة النِّجارة، مزوَّدين بأزاميل ومناشير صغيرة، ولكنهم توقفوا عما يقومون به عندما دخل المحققان غرفة الصف. نظر إغيل إلى ساعته، وأبلغ الفتيان أن باستطاعتهم مغادرة الصف قبل عشر دقائق، فحدّقوا به مندهشين، كما لو أن عرضه لا يصدَّق، ومن ثم انكبّوا على إعادة كل شيء إلى مكانه. لقد فرغت ورشة العمل في غضون دقائق.

أغلق إغيل الباب وراء الفتيان، ونظر مطوَّلاً إلى سيغوردور أولي.

«ألم أدرّسك ذات مرة؟». سأل، ومن ثم توجه إلى خزانة في الزاوية، وانحنى، وأخرج صندوقاً خشبياً وضعه على الطاولة.

«كنت في المدرسة هنا منذ سنوات». قال سيغوردور أولي. «لا أعرف إذا كنتَ تذكرني».

«أذكرك جيداً». قال إغيل. «كنت منخرِطاً في أعمال الشغب تلك عام

1979 ».

رمق سيغوردور أولي إرلندور بنظرة سريعة، وتظاهر الأخير بأنه غافل عما يجري حَوله.

«أحتفظ بسكاكين النَّحت هنا». قال إغيل، مُخرجاً إيّاها من الصندوق كلَّ واحد على حدة وواضعاً إيّاها على الطاولة. «يُفترض وجود ثلاثة عشر منها. لم يخطر ببالي أن أتحقق منها بعد الاعتداء».

«ولا نحن». قال إرلندور مُلقياً نظرة سريعة على سيغوردور أولي.

«ليس الأمر ذا مغزى بالضرورة»، قال سيغوردور أولي كما لو أنه يبرّر ما قاله. «حتى لو كان هناك سكين مفقود».

تابع إغيل: «ومن ثم عندما كنا هذا الصباح بحاجة لاستخدامها، قدِم إليّ أحد التلاميذ وقال إنه لا يملك سكيناً يعمل به. كان هناك ثلاثة عشر تلميذاً في المجموعة، وأعرف أنه يُفترض وجود العدد نفسه بالتحديد من السكاكين. لقد عددتُها. كان هناك اثنا عشر سكيناً. لذلك جمعتُها، وأعدتها إلى الصندوق في الخزانة، وتحققتُ ثانيةً من ورشة العمل، واتصلتُ بك. أعرف أنه كان هناك ثلاثة عشر سكيناً منذ أسبوعَين لا أكثر».

«هل يتم إبقاء هذه الخزانة مقفَلة؟». سأل إرلندور.

«لا. أعني، ليس أثناء الحصص الدراسية. ولكن باستثناء هذه الفترة، تبقى هذه الخزانات مُقفَلة».

«وهل يستطيع كل التلاميذ الوصول إليها؟».

«في الواقع، أجل. لم نعتبر سكاكين ورشة العمل أدوات قاتلة محتمَلة حتى الآن».

«ولكن الناس يسرقونها! أليس كذلك؟» قال سيغوردور أولي.

«لا شيء جديد في ذلك». قال إغيل مملّساً لحيته. «تُفقَد الأشياء باستمرار. سكاكين، مِفكات براغي، لا بل مناشير أيضاً. هناك شيء ما يُفقَد كل عام».

«ألا يكون إقفال الخزائن فكرة جيدة إذاً؟». قال إرلندور. «أو وضع الأدوات تحت نوع من المراقبة؟».

فحملق إغيل به.

«هل هذا من شأنك؟». سأل.

«إنها سكاكين». قال إرلندور. «سكاكين نَحت».

«يتم إبقاء غرفة الصف مُقفَلة، أليس كذلك؟». قال سيغوردور أولي على عَجَل.

«سكاكين نَحت الخشب هي السلاح الوحيد بين أيدي الخُرْق». قال إغيل متجاهلاً سيغوردور أولي. «لماذا يُفترض ببقيّتنا أن يعانوا على الدوام بسبب عدد قليل من الخُرْق؟».

«ماذا عن...» استهلّ سيغوردور أولي، ولكنه لم يُكمل، إذ قاطعه إغيل:

«إضافةً إلى أن التلاميذ يستخدمون هذه الأدوات هنا، وقد يطعنون أنفسهم أو يدسّونها داخل حقائبهم المدرسية متى شاءوا. من الصعب إخضاعهم لمراقبة متواصلة».

«وكل التلاميذ في المدرسة حضروا على الأرجح صفوف النِّجارة منذ أن عددتَ السكاكين في المرة الأخيرة، أليس كذلك؟». أشار إرلندور.

«أجل». قال إغيل، ووجهه محمَرّ غضباً. «ورشة العمل تُقفل بين الحصص الدراسية. لا أغادر إلى أن يغادر آخر تلميذ؛ لأسباب متعلّقة بالسلامة. أُقفل الباب على الدوام بعد خروجي، وأنا من يفتح الباب دائماً في الصباح وبعد كل الاستراحات. لا أحد سواي. هكذا هو الحال دائماً».

«ماذا عن عمال التنظيف؟». سأل سيغوردور أولي.

«أوه، وهم أيضاً، بالطبع». قال إغيل. «ولكن لا عِلم لي بخلع أيٍّ من الخزائن».

«إذاً، برأيك، يتمثل السيناريو الأكثر احتمالاً بسرقة السكين أثناء حصة دراسية؟». قال سيغوردور أولي.

«لا تبدأ بلَومي على ذلك!». صاح إغيل تقريباً، وخرج عن طَوره غاضباً. «لا يُتوقّع مني مراقبة كل ما يجري هنا! فإذا أراد بعض التلاميذ الأغبياء السرقة من ورشة العمل، فلن يكون الأمر صعباً بالتحديد. وأجل، أعتقد أن السرقة حدثت أثناء حصة دراسية. لا يمكنني أن أتخيّل كيف يمكن أن تحدث بطريقة أخرى».

التقط إرلندور أحد السكاكين، وحاول أن يتذكر ما قاله الأخصائي في عِلم الأمراض عن الأداة المستخدَمة لطعن إلياس: نَصل عريض ولكنه ليس طويلاً جداً. ولسكين النَّحت رأس حادّ جداً، ونَصل قصير، وجانب خَلفي عريض قرب المِقبض الخشبي. إنه بحدّة موسى الحلاقة. وتخيّل إرلندور أنّ دفع السكين عميقاً داخل جسد شخص ما لا يتطلب قوة كبيرة. لقد صدمته أيضاً إمكانية التسبب بالخدوش المرغوب فيها على السيارات بواسطة أداةٍ كسكين النَّحت.

«كم عدد التلاميذ الذين نتحدث عنهم برأيك؟ إذا افترضنا أن السكين سُرق أثناء حصة دراسية؟».

ففكر إغيل مليّاً ثم أجاب:

«معظم التلاميذ في المدرسة، كما أتوقع».

«سيكون علينا الحصول على صورة فوتوغرافية لهذه السكاكين وتعميمها». قال إرلندور.

«هل هذا هو الفتى الذي كنت تكلّمني عنه في السيارة؟». سأل إغيل إرلندور، وعيناه مثبَّتتان على سيغوردور أولي.

وارتسمت ابتسامة ضعيفة ملتوية على شفتَي إرلندور. كان قد أغاظ مدرّس النِّجارة، وها هو إغيل يطلب الثأر.

«يُفترض بنا مواصلة التحرك». قال إرلندور لسيغوردور أولي.

«هل أخبرك بما حدث هنا عام 1979 ؟». تابع إغيل. «في شأن أعمال الشغب؟».

كانوا قد بلغوا الباب، ففتحه سيغوردور أولي وخرج إلى الممر.

«شكراً لمساعدتك». قال إرلندور، مستديراً جزئياً نحو إغيل. «يمكن لمسألة السكين هذه أن تكون على قَدْر كبير من الأهمية. لا تعرف أبداً ما الذي يمكن أن يتأتى من ذلك».

نظر إرلندور إلى سيغوردور أولي الذي لم يكن يعرف ما يحدث كما يبدو، ومن ثم أقفل الباب في وجه إغيل.

«يا للوغد المُسنّ»، قال أثناء عبورهما الممر. «عن أي أعمال شغب يتكلم؟».

«لم يكن الأمر ذا أهمية». قال سيغوردور أولي.

«ماذا حدث؟».

«لا شيء. كان مجرّد مَقلب غبيّ».

خرجا إلى الهواء الطَّلق وتوجها إلى السيارة.

«أجد أنه من الصعب تخيُّل تورّطك في مَقلب غبيّ». قال إرلندور. «لم تبقَ في هذه المدرسة لمدة طويلة. هل تورّطتَ في أي نوع من المتاعب؟».

أطلق سيغوردور أولي تنهيدة عميقة، ثم فتح باب السيارة وجلس وراء المِقوَد. وجلس إرلندور في مقعد الراكب.

«أنا وثلاثة آخرون». قال سيغوردور أولي. «لقد رفضنا الخروج أثناء فترة الاستراحة. كان الأمر بريئاً جداً بسبب رداءة الطقس، فقلنا إننا لن نخرج».

«لقد قمتَ بعمل غبيّ لعين». قال إرلندور.

«لقد اخترنا المدرّس غير المناسب». تابع سيغوردور أولي بنبرة جدّيّة. «كان مدرّساً احتياطياً مؤقتاً ولم نكن نعرفه، ولكنه تمكن من إثارة أعصابنا. هكذا بدأ الأمر على الأرجح. لقد حاول بعض الفتيان التسبب بالفوضى أثناء حصصه الدراسية من خلال السخرية منه، وما شابه... وخرجت الأمور عن السيطرة، وشرع برشقنا بوابل من الشتائم وكنا نجيبه بوقاحة. ازداد غضبه، وحاول جرّنا إلى الخارج، ولكننا قاومنا. بعد ذلك، انضم بعض المدرّسين والتلاميذ إلى المشاحنة، وتطوّر الأمر إلى عملية شغَب كبيرة في كل مكان من المبنى، وأُصيب بعض الأشخاص. لقد بدا الأمر كما لو أن الجميع ينفّسون عن غضبهم في وقت واحد؛ التلاميذ على المدرّسين، والمدرّسون على التلاميذ. وعندما أخفقت كل المحاولات لتهدئة الوضع، اتصل أحدهم بالشرطة، ونُشر الأمر في الصحف».

«وهل كنتَ السبب في ذلك؟!». قال إرلندور.

«كنت متورطاً، وفُصلتُ لمدة أسبوعَين». قال سيغوردور أولي. «لقد فُصل أربعتنا عن المدرسة، إضافةً إلى بعض الآخرين الذين شاركوا في الصِّدام. لقد جُنّ جنون والدي».

لم يسبق لإرلندور أن سمع سيغوردور أولي يتكلّم عن والده، ولم يسمعه كثيراً يذكر اسمه، فتساءل عما إذا كان يُفترض به اغتنام الفرصة لمعرفة المزيد. كان الأمر برمّته جديداً تماماً بالنسبة إليه، ولم يستطع أن يتصوّر فصل سيغوردور أولي عن المدرسة.

«لقد... أنا...» أراد سيغوردور أولي قول المزيد، ولكنه وجد صعوبة في العثور على الكلمات. «لم يكن كل ذلك منتظَراً مني البتة. لم يسبق لي أن تورّطت على هذا النحو من قبل، ولم أفقد السيطرة على نفسي مطلقاً مذاك الحين».

لم يقل إرلندور شيئاً.

«لقد أصبت المدرّس بأذى كبير». قال سيغوردور أولي.

«ماذا حدث؟».

«لهذا السبب يذكر الجميع الأمر. لقد نُقل إلى المستشفى».

«لماذا؟».

«وقع وصدم رأسه بالأرض». قال سيغوردور أولي. «لقد صرعتُه أرضاً ووقع على رأسه. في بادئ الأمر، لم أعتقد أنه سيتجاوز المِحنة».

«لا يمكنك أن تكون سعيداً جداً بما يُثقِل ضميرك».

«لم... لم أكن سعيداً جداً في ذلك الوقت. كانت هناك أمور

متنوّعة...».

«لستَ مضطراً لإخباري».

«لقد تطلّقا». قال سيغوردور أولي. «أعني والديّ؛ تطلّقا في صيف ذلك العام».

«آه»، قال إرلندور.

«انتقلتُ مع والدتي. كان قد مضى على وجودنا هنا عامان فقط».

«يكون الأمر قاسياً على الصغار دائماً عندما ينفصل أهلهم».

«هل كنتَ تحدّث مدرّس النِّجارة عني؟». سأل سيغوردور أولي.

«لا، لقد عرفك». قال إرلندور. «تذكّر أعمال الشغب».

«هل ذكر والدي بأية حال؟». قال سيغوردور أولي.

«ربما يكون قد فعل». قال إرلندور بحذر.

«كان أبي يعمل على الدوام. لا أعتقد أنه أدرك يوماً سبب انفصالها عنه».

«هل كان الانفصال متوقّع الحدوث منذ مدة طويلة؟». سأل إرلندور مندهشاً من رغبة سيغوردور أولي في مناقشة هذه المسألة معه.

«لم أكن أعرف الخلفية، وما زلت لا أعرف حقاً ما حدث. لم تكن والدتي تحب كثيراً التحدث عن الأمر».

«أنت وَحيد، أليس كذلك؟».

وتذكّر إرلندور أنه سبق لسيغوردور أولي أن لمّح إلى ذلك.

«كنت أقضي الكثير من الوقت في المنزل بمفردي». قال سيغوردور أولي وهو يومئ برأسه. «ولا سيما بعد الطلاق عندما انتقلنا من المنزل. ومن ثم انتقلنا ثانيةً. وبعد ذلك، كنا ننتقل على الدوام».

ولزم الاثنان الصمت.

«من الغريب العودة إلى هنا بعد كل هذا الوقت». قال سيغوردور أولي.

«إنه عالَم صغير».

«ماذا قال عن أبي؟».

«لا شيء».

«كان والدي سَمكرياً. لقد عُرف بِبرمافلاش».

«حقاً!؟». قال إرلندور مدّعياً جَهله الأمر.

«لقد تذكّرني إغيل بوضوح. باستطاعتي تأكيد ذلك. أذكره أيضاً، فقد كنا نخشاه قليلاً».

«حسناً، ليس السيد اللطيف بالتحديد». قال إرلندور.

«أعرف أن الناس اعتادوا دَعوة والدي بهذا اللقب؛ إنه من ذاك النوع. باستطاعتك السخرية منه. يكون بعض الأشخاص كذلك. لم يكن يمانع، ولكنني لم أستطع تحمّل الأمر».

ونظر سيغوردور أولي إلى إرلندور.

«حاولتُ أن أكون كل ما لم يكن عليه».

عند الباب، رحّبت بإرلندور امرأة باسمة، وصغيرة الحجم، في العقد السابع من العمر، شعرها كثيف وبنّي اللون وطويل يصل حتى كتفَيها، وعيناها وديّتان تشعّان جهلاً تاماً للهدف من زيارته. كان إرلندور قد خرج بمفرده عند موعد الغداء مع وجود احتمال بسيط بعثوره عليها في المنزل في كوبافوغور. كانت تدعى إيما؛ وهذا كل ما يملكه من معلومات عنها.

عرّف بنفسه، وعندما سمعت بأنه محقِّق دعته للدخول إلى غرفة جلوس مُفرطة في التدفئة. فخلع معطفه على عَجَل، وفك أزرار السترة ثم جلس. كانت درجة الحرارة في الخارج تسع درجات تحت الصفر. حيثما نظر رأى دلالات على عيشها بمفردها. كانت لديها هالةُ هدوءٍ غير عادية، دعة توحي بأسلوب حياة منعزل.

«هل كنت تعيشين بمفردك على الدوام؟». سأل لكسر الجليد ولمساعدتها على الاسترخاء؛ مُدركاً بعد فوات الأوان أنه سؤال شخصي. كانت تعتقد ذلك أيضاً.

«هل هذا أمر تحتاج الشرطة إلى معرفته؟». سألت بوجه خالٍ من أي تعبير؛ لدرجة أنه لم يكن واثقاً مما إذا كانت تتعمّد ذلك لمضايقته.

«لا». قال إرلندور بحياء. «بالطبع لا».

«ماذا تريد الشرطة مني؟». سألت المرأة.

«نبحث عن رجل كان ذات مرة جاراً لك. كنت تُقيمين في الشقة المقابلة له منذ مدة طويلة نوعاً ما، لذلك لا أعرف إذا كنت ستذكرينه، ولكنني اعتقدت أن الأمر جدير بالمحاولة».

«هل للأمر علاقة بتلك القضية المروِّعة التي سمعت عنها في النشرات الإخبارية؟ بذلك الفتى؟».

«لا». قال إرلندوروهو يفكّر في سرّه أنها ليست كذبة بكل معنى الكلمة. لم يكن يعرف بالتحديد ما الذي يبحث عنه أو سبب تطفّله على هذه المرأة.

«من المُرعب أن نُدرك أن شيئاً مماثلاً يمكن أن يحدث». قالت المرأة.

«والاعتداء على طفل بهذه الطريقة أمر غير مفهوم تماماً. إنه فظاعة غير مفهومة».

«أجل، صحيح». قال إرلندور.

«أقمتُ في حياتي كلها في ثلاثة أماكن فقط». أضافت المرأة. «المكان الذي وُلدت فيه، ومجمَّع الشقق السكنية الذي تتكلم عنه، وهنا في كوبافوغور. هذا كل شيء. عن أي عام تتحدث؟».

«لست واثقاً تماماً. ولكننا نتحدث ربما عن آخر الستينيات تقريباً، أو بداية السبعينيات. كانت هناك عائلة صغيرة مؤلفة من ابن ووالدة ربما تكون قد عاشت مع رجل عندما كانت تُقيم في المجمَّع السكني. هو من أبحث عنه. لم يكن والد الفتى».

«لماذا تبحث عنه؟».

«إنه أمر متعلق بالشرطة». قال إرلندور وابتسم. «لا شيء خطير. نحتاج فقط إلى مكالمته. تدعى المرأة سيغورفيغ، والفتى أندريه».

فترددت إيما.

«ماذا؟». قال إرلندور.

«أذكرهما جيداً». قالت ببطء. «أذكر ذلك الرجل، والفتى. كانت الوالدة، سيغورفيغ، مُدمنة. اعتدتُ رؤيتها قادمة إلى المنزل في وقت متأخر من الليل ثَمِلة. لا أعتقد أنها كانت تعتني بالفتى بشكل ملائم، ولا أعتقد أنه كان سعيداً جداً».

«ماذا يمكنك أن تخبريني عن الرجل الذي كانت تعيش معه؟».

«كان يدعى روغنفالدور. لا أعرف اسم العائلة، لم أسمع بها مطلقاً. كان يعمل في البحر، أليس كذلك؟ بأية حال، لم يكن يقصد المنزل كثيراً. لا أعتقد أنه كان يثمل، أقلّه ليس على غرارها. في الواقع، لم أفهم ماذا كان أحدهما يرى في الطرف الآخر، فقد كانا مختلفَين جداً».

«هل تعنين أنهما لم يبدوا متيَّمَين ببعضهما أم...؟».

«لم أفهم مطلقاً تلك العلاقة. لقد اعتدتُ سماعهما يتشاجران، وكان باستطاعتي سماع ذلك عبر بابهما إذا كنت على فسحة الدرَج».

وتوقفت فجأةً عن سرد روايتها كما لو أنها شعرت بأن التوضيح أمر ضروري.

«لم أكن أسترق السمع». قالت بابتسامة ضعيفة. «اعتادا الجدال بصوت مرتفع جداً. كانت غرفة غسل الملابس في الطابق السفلي، وكنت في طريقي إلى هناك أو عائدة إلى المنزل...».

«فهمتُ». قال إرلندور متخيّلاً إيّاها واقفة على فسحة الدرَج وأُذُناها منتصبتان ومصغيتان إلى جيرانها.

«كان يكلّمها كما لو أنها عديمة النَّفع، ويشوّه سمعتها على الدوام، ويسخر منها، ويذلّها. لم أكن معجبة به انطلاقاً من معرفتي القليلة به. ولكنني سمعتُ ما كان عليه حاله، كريه، شخص كريه».

«ماذا عن الفتى؟». سأل إرلندور.

«كان هادئاً كالفأرة ذلك المسكين، وكان يتجنّب الرجل تماماً. لقد تكوّن لديّ انطباع بأنه لم يكن سعيداً. لا أعرف السبب، كان مُهمَلاً وبائساً بطريقة ما. أوه، أولئك الأعزاء الصغار، يكون بعضهم عُرضة للأذى إلى حد كبير...».

«هل يمكنك أن تَصفي لي روغنفالدور ذاك؟». سأل إرلندور عندما تباطأت في إكمال جملتها.

«يمكنني القيام بأمر أفضل من ذلك». قالت إيما. «أعتقد أنني أملك صورة له في مكان ما».

«حقاً؟!».

«كان يمرّ بجانب مجمّع الشقق السكنية حين التقطت صديقتي صورة أثناء وقوفي خارج الباب الأمامي، وتبيّن أنه كان في الخلفية».

وقفت وتوجهت إلى خزانة يوجد فيها عدد من «الأَلبومات»، وأخرجت أحدها. ألقى إرلندور نظرة في أنحاء الشقة. كان كل شيء مرتَّباً تماماً. لقد توقّع أنها تضع صورها الفوتوغرافية في «أَلبوم» لحظة تظهيرها، وربما تقوم بترقيمها وكتابة التاريخ عليها، بالإضافة إلى تعليق قصير. ماذا عساها تفعل سوى ذلك حين تكون في الشقة بمفردها خلال الأمسيات الشتوية المُظلِمة والطويلة؟

«كانت إحدى سبّابتَيه مفقودة». قالت إيما أثناء إحضارها الأَلبوم. «لقد لاحظتُ ذلك ذات مرة. لا بد من أن يكون قد تعرّض لحادث».

«فهمتُ». قال إرلندور.

«ربما كان يقوم ببعض النِّجارة. كانت هناك مجرد جَدَعة في يده اليسرى».

جلست إيما حاملة الأَلبوم، وقلّبت الصفحات حتى عثرت على الصورة. كان إرلندور مُحِقاً في شأن الصور المصفوفة بعناية وفقاً للترتيب الزمني لالتقاطها، والمزوَّدة بتعريفات واضحة. لقد خامره شعور بأن لكل منها مكاناً في ذاكرتها.

«أحب كثيراً تفحّص هذه الأَلبومات بعناية». قالت إيما مؤكدةً ظنّ إرلندور.

«يمكن أن تكون ذات منفعة كبيرة؛ ذِكريات».

«ها هي». قالت. «ليست صورة سيّئة له في الواقع».

وسلّمت إرلندور الأَلبوم، وأشارت إلى الصورة. كانت إيما أصغر سناً بأكثر من ثلاثين عاماً، ومبتسمةً لآلة التصوير. كما كانت نحيلةً، وتلف وشاحاً حول رأسها، وترتدي سترة صوفية صغيرة مَحبوكة وسروال كابري. والصورة بالأسود والأبيض. ورأى خلفها الرجل الذي قالت إن اسمه روغنفالدور. كان ينظر إلى آلة التصوير أيضاً، ولكنه رفع يده كما لو أنه يُخفي وجهه، وكما لو أنه خطر بباله - ولو متأخراً - أنه قد يظهر في الصورة. كان نحيلاً مع حَدّ شعر منحسر، وعينَين ناتئتَين وكبيرتَين نوعاً ما، وحاجبَين نحيفَين تحت جبين عريض وذكيّ.

حدّق إرلندور بوجه الرجل، ومرّت ارتعاشة إلى أسفل عموده الفِقْري عندما أدرك أنه رآه من قَبل؛ منذ فترة قصيرة جداً. لقد تغيّر قليلاً بشكل ملحوظ بالرغم من مرور الوقت.

«ما الأمر؟». سألت إيما.

«إنه هو!»، تأوّه إرلندور.

«هو!». قالت إيما. «من؟».

«ذلك الرجل! هل يُعقَل؟ ما اسمه؟».

«روغنفالدور».

«لا، اسمه ليس روغنفالدور».

«أوه، إذاً لا بد من أن أكون مخطئة. هل تعرفه؟».

ورفع إرلندور نظره عن الأَلبوم.

«هل يُعقَل؟». همس.

ونظر ثانيةً إلى الرجل في الصورة. لم يكن يعرف أي شيء عنه، ولكنه دخل منزله من قَبل ويعرف من هو.

«هل يدعو نفسه روغنفالدور؟».

«أجل. هكذا كان اسمه»، قالت إيما. «لا أعتقد أنني اختلقته».

«لا أصدّق». قال إرلندور.

«لماذا؟ ما الأمر؟».

«لم يكن يدعى روغنفالدور عندما التقيتُه». قال إرلندور.

«هل سبق لك أن التقيتَه؟».

«أجل، التقيتُ ذلك الرجل».

«ماذا بعد ذلك؟ إذا لم يكن يُدعى روغنفالدور، فما كان اسمه إذاً؟».

لم يُجب إرلندور على الفور.

«ماذا كان يُدعى؟». كررت إيما.

«كان يُدعى جِستور». قال إرلندور بذُهول، محدّقاً بصورة جار سوني المقيم في الناحية المقابلة لفسحة الدرَج؛ الرجلِ الذي دعاه للدخول؛ الرجلِ الذي كان يعرف إلياس ونيران.

22

كان إرلندور حاضراً مع إيلينبورغ عندما دخلوا شقة جِستور المقابلة لشقة سوني عبر فسحة الدرَج. كانت محكمة مقاطعة ريكيافيك قد زوّدتهم بمذكرة تفتيش بعد ظهر ذلك اليوم. ووفقاً لضباط الشرطة الذين يحرسون الدرَج منذ العثور على جثة الفتى، لم يرَ أحد- باستثناء شخص واحد - جار سوني. فإرلندور هو الوحيد الذي التقاه وتحدّث إليه، ولم يشاهَد مذاك الحين.

في النهاية، لم تكن هناك حاجة لخلع الباب؛ فقد استأجر جِستور شقته على غرار السكان الآخرين، وتمكّن إرلندور من الحصول على مفتاح احتياطي. وعندما باتت كل المستندات الضرورية جاهزة، ولم يؤدِّ قرعهم الجرسَ والبابَ إلى أي إجابة، وضع إرلندور المفتاح في القفل وفتح الباب. كان يعرف أنه لا يملك سوى إلماعة أندريه بوجود شخص محبٍّ للأطفال في المنطقة، وأندريه كاذب بارع، ولكن إرلندور كان يميل لتصديقه هذه المرة. فهناك أمر ما في سلوك أندريه عندما تكلّم عن ذاك الرجل؛ خوف قديم لا يزال يلازم ذاكرته.

لم تتبدّل الشقة منذ زيارة إرلندور الأخيرة؛ باستثناء قيام أحدهم كما يبدو بمسح المكان برمّته بقطعة قماش ومعقّم. كانت رائحة سائل التنظيف تملأ المكان، والمطبخ يلمع كالمرآة على غرار الحمام. ومن الواضح أنه تمّ كَنس سجادة غرفة الجلوس مؤخراً. وبدت غرفة نوم جِستور كما لو أن أحداً لم ينَم فيها. لقد أدرك إرلندور هذه المرة مدى قلّة أثاث الشقة. عندما دخلها سابقاً، تولّد لديه انطباع بأنها أكبر من شقة سوني؛ عِلماً أنهما متماثلتان في الواقع. وفيما كان إرلندور واقفاً وسط غرفة الجلوس، ظن أنه يعرف السبب: الأثاث في شقة جِستور قليل جداً. كان إرلندور قد دخلها مساء يوم شتاء مُظلم، وأضاء جِستور مصباحاً واحداً فقط، ولكنه شعر بالفراغ بالرغم من ذلك. لم تكن هناك أية صور على الجدران، وفي غرفة الجلوس كرسيّان بدون ذراع وطاولة صغيرة منخفضة، إضافةً إلى طاولة طعام مع ثلاثة كراسٍ، وخزانة كتب تحتوي على كتب أجنبية ورقية الغلاف. كانت غرفة النوم فارغة؛ باستثناء سرير وطاولة صغيرة منخفضة. وفي المطبخ ثلاثة أطباق، وثلاثة أكواب، وثلاثة أطقم من أدوات المائدة، ومِقلاة صغيرة وقِدْران صغيرتان بحجمَين مختلفَين. لقد نُظّف كل شيء تماماً ووُضع في مكانه.

ألقى إرلندور نظرة في أرجاء الشقة. لم تكن تحتوي على أي شيء جديد. فالطاولات والكراسي مستعمَلة على الأرجح، والطاولة الصغيرة المنخفضة أيضاً. وعلى السرير الضيّق في غرفة النوم فراش. وتساءل عما إذا كان جِستور قد شرع بإزالة كل أثر له في الشقة بعد حديثهما مباشَرةً. لم تكن هناك أية أدوات حلاقة أو فرشاة أسنان في الحمام، بل كانت الشقة خالية من كل الأمتعة الشخصية. حتى إن الرجل لم يكن يملك جهاز كمبيوتر، ولم يتم العثور في الأدراج على أية فواتير أو رسائل من أي نوع، أو على صحف أو مجلات؛ لا توجد أي دلالة على أن أحدهم كان يُقيم هناك.

دنا رئيس فريق الأدلة الجنائية من إرلندور برفقة اثنَين من مساعديه.

«عمّ نبحث؟». سأل.

«عن مسيء للأطفال». قال إرلندور.

«لم يترك وراءه الكثير بالتحديد». أشار رئيس فريق الأدلة الجنائية.

«ربما كان مستعداً للمغادرة في وقت قصير», قال إرلندور.

«أشك في العثور على بصمة إصبع».

«وأنا أيضاً. ولكن ابذلْ قُصارى جهدك بأية حال».

كانت إيلينبورغ تسير بصمت في أنحاء الشقة عندما رنّ هاتفها. لقد تكلّمت عبر الهاتف لمدة طويلة قبل إعادته إلى جَيبها والتوجه نحو إرلندور قائلة:

«أتمنى لو أن شقتي تبدو كهذه لمرة واحدة فقط. هل تعتقد أن جِستور اعتدى على إلياس؟».

«إنه احتمال كأي احتمال آخر».

«يبدو أنه وضّب كل شيء على عَجَل، أليس كذلك؟».

«ربما أخرج أدوات التنظيف لحظة مغادرتي». قال إرلندور.

«أليس من الممكن أن يكون شديد الاعتناء بمظهر البيت، وأنه غادر لبضعة أيام؟».

«لا أعرف». قال إرلندور.

«لا يستطيع سيغوردور أولي إيجاد أي شيء عن هذا الرجل». قالت إيلينبورغ. «لا أحد بهذا الاسم في السجلات لدينا التي تعود لعقود مضت. وهو الآن يُجري مطابقة للصورة على قاعدة بياناتنا البصرية. لقد أرسل أفضل تحيّاته».

«قاعدة البيانات البصرية». قال إرلندور. «أكره هذه التعابير الرنّانة. لماذا لا يدعونها ملفات الصور فحسب؟ ما خَطْب هذا التعبير؟».

«أوه... دَع الناس يتكلمون كما يحلو لهم».

«أفترض أنني أصارع عدواً وهمياً بأية حال». قال إرلندور.

«لا يبدو أنه أحضر أطفالاً إلى هنا». علّقت إيلينبورغ.

لم تكن تقصد أن يكون تعليقها مثيراً للسخرية؛ وإرلندور يعرف جيداً ما تعنيه. إذ كانا قد دخلا منازل بدت كما لو أنها تجسيد لحكايات الأطفال. غير أنه لا وجود لأي شيء هنا من هذا القَبيل، ولا حتى سكاكر، أو لعبة كمبيوتر.

«كان جِستور يعرف إلياس. مفترِضين أنه يكذب». قال إرلندور. «يُفترض ببحثنا أن يتركز على ذلك. ولكن كما تقولين، إذا كان إلياس قد أتى إلى هنا، فقد طمس جِستور كل دلالة على ذلك».

«ربما يكون لديه مخبأ آخر يحتفظ فيه بالشوكولا والكاتوه».

«لن تكون المرة الأولى».

«هل يُفترض بنا مكالمة أندريه مجدداً؟». سألت إيلينبورغ.

«أجل، سيكون علينا القيام بذلك». قال إرلندور من دون إظهار حماسة كبيرة.

كانا قد حاولا جمع المزيد من المعلومات عن جِستور أثناء انتظارهما وصول مذكرة التفتيش. وتوجّه إرلندور وإيلينبورغ لمقابلة صاحب الشقّة، الذي يملك معظم الشقق في ذلك القسم من المبنى؛ في مكتبه في وسط المدينة. هو شخص مهووس نوعاً ما، في العقد الرابع من العمر، كان قد باع حصّته في شركة الأسماك التي ورثها في الشمال، وانخرط في العمل العقاري في ريكيافيك؛ محققاً بعض النجاح كما يبدو. لقد أخبرهما بأنه يخطط لبيع الشقق في ذلك القسم من المبنى لأن التأجير أكثر إجهاداً ويجتذب أنواع المستأجرين كافة. كان يؤجر أيضاً شققاً في ناحية أخرى من المدينة، ويتورط بنزاعات قانونية، وبالإخلاء، وجَبي الديون.

«هل كان جِستور هذا يدفع في الوقت المحدد؟». سألت إيلينبورغ.

«دائماً. استأجر الشقة لمدة عام ونصف، ولم أعانِ من متاعب معه مطلقاً في أي وقت من الأوقات».

«هل يدفع من خلال حساب مصرفي؟».

فتردد صاحب المُلك.

«هل يدفع نَقداً؟». سأل إرلندور. «هل يأتي إلى هنا ويدفع لك شخصياً؟».

فأومأ صاحب الشقّة برأسه.

«أراد إتمام الأمر بهذه الطريقة. هو من أصرّ على ذلك. في الواقع، لقد جعل ذلك شرطاً».

«لم تتحقق من رقم هويّته عندما أجّرته الشقة، أليس كذلك؟». سألت إيلينبورغ.

«لا بد من أكون قد نسيت».

«أتعني أن لا ضريبة تطاله؟». سأل إرلندور. «ماذا عن الإيجار الذي يدفعه لك؟».

لم يُجب صاحب الشقة، وتنحنح.

«إحِم... هل يتعيّن المضيّ في الاستجواب؟». سأل بتردد. لم يُطلعاه على سبب قيام الشرطة بطرح أسئلة عن هذا المستأجر بالتحديد. «هل يتعيّن على جابي الضرائب معرفة ذلك؟».

«فقط إذا كنت حقيراً كاذباً». قال إرلندور.

«إن...»، قال صاحب الشقة بارتباك. «أقوم بأنواع الصفقات كافة، اتفقنا؟! جاء هذا الرجل وأراد معرفة ما إذا كان بالإمكان التوصل إلى ترتيب ما. لم يمانع دفع كامل المبلغ، ولكنه لم يُرِد أي عمل كتابي. قلتُ له إنني بحاجة إلى أن يقوم بملء اتفاقية إيجار، ولكن الرجل المُسنّ كان مُقنعاً جداً. قال إنه سيدفع مسبَقاً إيجار ستة أشهر، وباستطاعتي اعتبارُ إيجار ثلاثة أشهر وديعةً. لقد دفع نَقداً، وقال إنه مُسنّ جداً لكل ذلك الهراء الإلكتروني. لقد صدّقته. هو أحد أفضل المستأجرين الذين حظيتُ بهم يوماً. لم يتأخر قطّ في أية دَفعة».

«هل رأيته بأية حال؟». سألت إيلينبورغ.

«التقيتُه مرتَين ربما مذاك الحين. هذا كل شيء. هل ستحمل هذا الأمر إلى سلطات الضرائب؟».

«إذاً، الشقة غير مسجلة باسم أحد، أليس كذلك؟».

«لا». قال صاحب الشقة، هازّاً كتفَيه، كما لو أنه يعترف بسَهْوٍ قليل الأهمية.

«أخبرني بأمر آخر، سوني التي تُقيم في الناحية المقابلة له، هل تدفع في الوقت المحدد على الدوام؟». سأل إرلندور.

«أتعني التايلاندية؟». سأل صاحب الشقة. «إنها تدفع على الدوام».

«نَقْداً؟». سألت إيلينبورغ.

«لا، لا». قال صاحب الشقة. «كل شيء منجَز وفقاً للأصول. كلهم يدفعون وفقاً للأصول باستثناء ذلك الرجل».

وصمت قليلاً ثم تابع:

«حسناً، وربما اثنان أو ثلاثة آخرون، ولكن ليس أكثر. وقلت لها إنني سأرميها خارجاً بسرعة مضاعَفة إذا لم تدفع. لا أحب تأجير من يتأخرون في الدفع، ولكن السوق كابوس، لأولئك الأشخاص الذين نؤجّرهم! سأتخلى عن الأمر يوماً ما، وأبيع الشقق. لم أعُد أستطيع التحمّل».

كل ما قاما به عندما دخلا الشقة هو أنهما وقفا في غرفة جلوس الرجل الذي يدعو نفسه جِستور أو روغنفالدور، محتارَين تماماً. لم يكونا يملكان أية فكرة عن المكان الذي يبحثان عنه فيه، ولم يكونا يعرفان من هو. في الواقع، لا شيء لديهما لمواصلة بحثهما سوى كلمة مجرم معروف.

«من الغريب كيف يستمر الناس بالاختفاء في هذه القضية». قالت إيلينبورغ. «أولاً نيران، والآن هذا الرجل».

«أخشى أن يكون اقتفاء أثر هذا الرجل أكثر صعوبة من اقتفاء أثر نيران». قال إرلندور. «يبدو الأمر كما لو أنه فعل الشيء نفسه من قَبل، كما لو أنه أُرغم على الاختفاء بسرعة من قَبل».

«أتعني، إذا كان حقاً كما يقول عنه أندريه؟».

«الأمر محضَّر بشكل جيد بطريقة ما». قال إرلندور، «وقد تمّ التخطيط له جيداً بشكل مُسبَق. ربما يكون لديه مكان آخر يمكنه الاختباء فيه إذا حدث ما يلفت الانتباه إليه».

«حتى إنه لا يحتفظ بأية مقتنيات له هنا!». قالت إيلينبورغ. «لم يترك شيئاً وراءه، كما لو أنه غير موجود - كما لو أنه لم يتواجد مطلقاً».

كان صاحب الشقة قد أخبرهما - عندما سلّمهما المفتاح الاحتياطي - أنه يملك الأشياء الصغيرة والقِطَع الموجودة في الشقة. حتى إن الأغلفة الورقية في خزانة الكتب مُلك له. كان هناك تلفاز قديم في غرفة الجلوس ومسجِّلة راديو-كاسيت في المطبخ. والتلفاز لصاحب الشقة أيضاً.

«علينا التحدث إلى جيرانه». قال إرلندور متنهّداً. «لنسأل عن تحركاته، وما إذا كان قد أبدى أي اهتمام خاص بالأطفال في هذا القسم من المبنى أو في الحيّ. لنسأل عن ذلك النوع من الأمور. هلاّ تولّيتِ هذه المهمة؟».

فأومأت إيلينبورغ برأسها.

«هل تعتقد أن سوني قد خبّأت نيران بسبب هذا الرجل؟». سألت.

«لا أعرف». قال إرلندور. «لا يزال كل شيء ضبابياً».

«لماذا لا تُخبرنا بما تخشاه لنتمكن من مساعدتها؟».

«ابحثي لي عن السبب».

عبر إرلندور فسحة الدرَج في اتجاه شقة سوني عندما وصلت غودني. وكان قد اتصل بها لمساعدته. لم يكن يعرف بالتحديد كيفية صياغة الأسئلة لاكتشاف ما يريد معرفته من دون إحزان سوني. فجلس هو وغودني معها تحت التنّين الأصفر، وأخبرها عن جارها في الشقة المجاورة وعن شُبُهاتهم حول إمكانية أن يكون شخصاً مؤذياً إلى حد كبير. أصغت سوني إلى كلامه بانتباه، وطرحت أسئلة، وأجابت عن أسئلته بدون تردد، واقتنع إرلندور بأن الرجل لم يتصرف مطلقاً بطريقة غير ملائمة مع ابنَيها.

«أنا واثقة من ذلك». قالت سوني بحزم. «لم يحدث ذلك مطلقاً».

«كان يعرف نيران وإلياس كما يبدو».

«هما يعرفانه لأنه يعيش في الشقة المقابلة تماماً». ترجمت غودني. «ومُحال أن يكونا قد دخلا شقته. قصد إلياس المتجر مرتَين لشراء حاجيات له، هذا كل شيء».

لم يكن السكان الآخرون في ذلك القسم من المبنى على علاقة بالرجل؛ فقد كان يأتي ويذهب من دون أن ينتبه له أحد، ولم يصدر أي ضجيج من شقته. «كان يزحف في الأرجاء كفأرة». قالت فاني.

لاحظت إيلينبورغ أن إرلندور بدا منشغل البال عندما عاد من شقة سوني.

«هل حدّثك سيغوردور أولي يوماً عن والده؟». سأل أثناء نزولهما الدرَج. «هل تعرفين أي شيء عنه؟».

«سيغوردور أولي؟ لا. لا أذكر. إنه لا يتكلّم أبداً عن نفسه. لماذا تسأل؟ ماذا عن والده؟».

«أوه، لا شيء. كنت أتحدث إلى سيغوردور أولي اليوم، وخطر ببالي فجأةً أنني لا أعرف أي شيء عنه».

«لا عِلم لي بوجود من يعرف عنه أي شيء». قالت إيلينبورغ.

قالت ذلك على سبيل المُزاح، ولكنها شعرت بأن إرلندور جدّيّ، فندمت على كلماتها. غالباً ما تُعلّق على سيغوردور أولي بتهكّم لأنه يعرّض نفسه للمشاكل بسبب عِناده في وجهات نظره، وتحذلُقه، وافتقاره إلى التعاطف. هو لا يسمح لعمله بالتأثير في مشاعره مهما حدث، ويبدو غير مُبالٍ تماماً. كانت إيلينبورغ تعرف أن هذا هو الفارق بين إرلندور وسيغوردور أولي؛ إنه مصدر الاحتكاك بينهما.

«أوه، لا أعرف». قال إرلندور. «ليس شرطياً سيئاً، وليس بالسوء الذي تتخيّلينه».

«لم أقل مطلقاً إنه سيّئ». أجابت إيلينبورغ. «ولكنني لا أشعر بالرغبة في قضاء كثير من الوقت معه ليس إلا».

«لقد شعرتُ بغرابةِ عدمِ معرفتي به مطلَقاً عندما تحدثتُ إليه اليوم. فأنا لا أعرف عنه شيئاً، ولا تزيد معرفتي بماريون برايم في الواقع عن معرفتي به. أتعرفين أن ماريون قضى نَحبه؟».

فأومأت إيلينبورغ برأسها. كان النبأ قد انتشر في قسم الشرطة، ولكن قلةً من الأشخاص يتذكرون ماريون؛ باستثناء العناصر الأكثر قِدماً. لم يبقَ أحد على تواصل معه باستثناء إرلندور الذي تساءل منذ وفاة ماريون عن الأساس الذي قامت عليه شراكتهما وصداقتهما. لكن أفكاره تحوّلت بعد ذلك إلى سيغوردور أولي وإيلينبورغ، زميلَيه المقرَّبَين. لم يكن يعرفهما حق المعرفة، وأدرك أن هذا ليس خطأه على الأقل. كان يَعي جيداً أنه رجل غير اجتماعي.

«هل تفتقد إلى ماريون؟». سألت إيلينبورغ.

وخرجا إلى البَرْد القارس. توقف إرلندور وأغلق معطفه حوله بإحكام. لم يكن قد تسنّى له الوقت للتفكير مليّاً في السؤال حتى واجهه فجأةً. هل يفتقد إلى ماريون؟

«أجل. أفتقد إلى ماريون. سوف أفتقد...».

«ماذا؟». قالت إيلينبورغ عندما كفّ إرلندور عن الكلام فجأةً.

«لا أعرف لماذا أُثقل كاهلك بهذا الأمر». قال وسار في اتجاه سيارته.

«أنت لا تُثقل كاهلي». قالت إيلينبورغ. «إنك لا تفعل ذلك أبداً». أضافت واثقةً من أن إرلندور لم يسمعها.

« إيلينبورغ». قال إرلندور واستدار.

«أجل».

«كيف حال ابنتك؟ هل تتحسن حالها بعد إصابتها بإنفلونزا مَعِدية؟».

«إنها تستعيد عافيتها». قالت إيلينبورغ. «شكراً لسؤالك».

وصلا إلى منزل أندريه بعد موعد الغداء بوقت قليل. كان في المنزل مُرهَقاً، ولكنه لم يكن ثَمِلاً جداً، وكان بإمكانه إجراء حديث. كانت الشرطة قد أطلقت سراحه بعد المقابلة الأولية؛ فهم لا يملكون دوافع كافية لمواصلة احتجازه. أدخلهما بابتسامة عريضة أثارت أعصاب إرلندور على الفور، فيما أغلق سيغوردور أولي الباب وراءهما؛ لم تكن إيلينبورغ برفقتهما لأنها ذهبت إلى المنزل. كان سيغوردور أولي قد قضى معظم اليوم في البحث عن أدلّة يمكن أن تساعدهم على اقتفاء أثر جِستور، ولكنه لم يعثر على أي شيء

عنه في سجلات الشرطة، وكان يشعر بالتعب. كانت شقة أندريه مُظلمة، وهناك رائحة طَهو خانقة أشبه برائحة كريهة؛ كما لو أنه يتناول زَلّاجة متعفّنة بسبب تبلّلها. وقفا في غرفة الجلوس، وجلس أندريه أمام التلفاز. كانت هناك قوارير شراب مبعثَرة على الطاولة بجانبه، وأخرى فارغة على الأرض. لقد جلس مُديراً لهما ظهره، وصابّاً كل انتباهه على التلفاز؛ كما لو أنهما غير موجودَين، والتوهُّج الوامض المنبعث من الشاشة هو الإضاءة الوحيدة في الغرفة. لم يكن مرئياً باستثناء أعلى رأسه الذي بدا من فوق ظهر الكرسي العالي.

«كيف تسير الأمور؟». سأل أندريه، والتقط قارورة شراب، وتناول جُرعة وتجشأ.

«لقد عثرنا عليه». قال إرلندور. «أعني زوج أمك».

فأعاد أندريه القارورة إلى مكانها ببطء.

«أنت تنطق بالهُراء».

«يدعو نفسه جِستور. وهو يُقيم في مجمَّع الشقق السكنية حيث يُقيم الفتى الذي تعرّض للاعتداء».

«وماذا لو كان الأمر كذلك؟».

«أَخبرنا أنت».

«ماذا تعني؟».

«أين هو؟».

«انتظر لحظة، ألم تقل لي للتوّ إنكم عثرتم عليه؟».

«عثرنا على شقته». قال إرلندور.

ومدّ أندريه يده لتناول قارورة شراب ثانيةً.

«ولكنكم لم تجدوه؟».

«لا». قال إرلندور.

وساد الصمت.

«لن تعثروا عليه أبداً». قال أندريه.

«هل تعرف أين هو؟». سأل إرلندور.

«وماذا لو كنت أعرف؟».

«إذاً، أَخبرنا». قال سيغوردور أولي بغضب.

«هل دخلتم منزله؟». سأل أندريه.

«لا شأن لك بذلك». قال إرلندور.

«كيف كانت شقته؟ هل تشبه شقتي؟». سأل وهو يمدّ يده التي

تحمل قارورة الشراب كما لو أنه يدعوهما لتأمل منزله الذي ليس سوى كومة قُمامة.

«يمكننا اعتقالك بسبب العرقلة». قال سيغوردور أولي.

«هل يمكنكما القيام بذلك الآن؟».

«ولرفضك التقدّم بشهادتك». قال سيغوردور أولي.

«أووه، أنا أتغوّط على نفسي». قال أندريه.

«هل تعرف أين هو؟». سأل سيغوردور أولي.

«وصلتما إلى حائط مسدود، والآن تتوقعان من أندي الصغير إنقاذكما. هل هذا ما تريدانه؟ هل هذا ما تتوقعانه؟ رجال الشرطة حقيرون؛ متى ساعدتم أي شخص؟».

نظر إرلندور إلى سيغوردور أولي. لقد تمتم كلمتَي «أندي الصغير» وهز رأسه كما لو أنه مندهش.

«أيّ اسم كان يعتمد عندما عرفتَه؟». سأل إرلندور.

«كان يدعو نفسه روغنفالدور». أجاب أندريه. «كان معروفاً بروغنفالدور في تلك الأيام. لقد كنتَ في شقته، أليس كذلك؟ ويبدو أنك لم تعثر على أي شيء. لن تكتشف أي شيء عنه، ولا تعرف من هو ذلك الرجل. فقط أندي الصغير باستطاعته أن يساعدك. ولكن، دعني أقول لك شيئاً: لن يقوم أندي بمساعدتك. لن يقوم أندي الصغير بأي شيء حتى بمِقدار رفع إصبعٍ صغيرة. هل تعرف السبب؟».

«لماذا؟». سأل إرلندور.

«أيّ هُراء هو أندي الصغير هذا؟». سأل سيغوردور أولي مديراً كرسي أندريه. فأمسك إرلندور بسيغوردور أولي ليمنعه، ولكن بعد فوات الأوان. فقد دار الكرسي ببطء حتى بات أندريه يحدّق بهما.

«أيها الغبي اللعين!». صاح إرلندور بسيغوردور أولي.

«قُل له ذلك، يا صاحبي!». قهقه أندريه.

«انتظر خارجاً». أمر إرلندور.

«ماذا؟». شرع سيغوردور أولي بالاعتراض، ولكنه صمت على الفور. وبعد التحديق بإرلندور أولاً، ومن ثم بأندريه، خرج من دون قول أي كلمة. فقهقه أندريه بازدراء.

«أجل، اخرج من هنا». قال أثناء خروج سيغوردور أولي.

«لماذا لا تساعدنا؟». سأل إرلندور عندما خرج سيغوردور أولي.

«لا شأن لك بما أفعله». قال أندريه مستديراً للحملقة بالتلفاز مجدداً.

«هل تكذب علينا، يا أندريه؟».

وومض التوهّج المنبعث من الشاشة في أنحاء الشقة الصغيرة، مُضيئاً القذارة والإهمال، فشعر إرلندور بعدم ارتياح. لا وجود لأي شيء هنا باستثناء تدمير الذات.

«أنا لا أكذب». قال أندريه.

«أي نوع من الرجال هو؛ ذاك الرجل الذي يدعو نفسه روغنفالدور؟». سأل إرلندور. «من هو؟».

لم يُجب أندريه.

«قلتَ لنا إنك رأيتَه مؤخراً مرة ثانية. هل تعرف أين هو؟».

«لا فكرة لديّ البتة». قال أندريه. «لن أساعدك بهذا الأمر. هل تفهم؟».

«متى لاحظتَه للمرة الأولى في الحيّ؟».

«منذ عام».

«وهل تقوم بمراقبته مذاك الحين؟».

«لن أساعدك».

«هل تعرف أين يعمل؟ وماذا يفعل طوال اليوم؟ ماذا يفعل لكسب رِزقه؟ هل يعمل؟».

لم يُجب أندريه.

وضع إرلندور يده داخل جَيبه وأخرج الصورة الفوتوغرافية للرجل الذي عُرف باسم روغنفالدور عندما كان يُقيم مع والدة أندريه. ألقى نظرة سريعة ووجيزة على وجه الرجل الذي يبحث عنه، ومن ثم حمل الصورة فوق الظهر العالي لكرسيّ التلفاز، فأخذها أندريه.

«هل هذا هو؟». سأل إرلندور.

لم يُجب أندريه.

«هل تعرف الرجل البادي في الصورة الفوتوغرافية؟».

«إنه هو». قال أندريه أخيراً.

«هل هكذا كان يبدو عندما كنتَ تعرفه؟».

«أجل، إنه هو».

«أي نوع من الرجال هو؟». كرر إرلندور. «ماذا يمكنك أن تخبرني عنه؟».

لم يُجب أندريه. لم يكن بإمكان إرلندور رؤية أي شيء باستثناء أعلى رأسه فوق الكرسي، ولكنه توقّع أن يكون حاملاً الصورة أمامه.

«هل هو قادر على قتل طفل؟». سأل إرلندور.

مرّ بعض الوقت، ومن ثم بدأ الكرسي بالدوران مرة أخرى، وظهر أندريه مجدداً. لقد أزال الابتسامة العريضة عن وجهه الذي كان يكتسي تعبيراً ينمّ عن إرهاقٍ وصَحوٍ من الثمالة عندما نظر في عينَي إرلندور، وأعاد الصورة.

«أعتقد أنه قادر». قال أندريه. «وربما قام بذلك، منذ سنوات».

«ماذا تعني؟ ربما قام بماذا؟».

«تبّاً. لن تحصل على أي شيء آخر مني. اخرج من هنا. هذا الأمر من شأن خاص بي. سأعالج المسألة».

«ماذا فعل؟».

«تبّاً، دَعني وشأني». قال أندريه.

«هل تقول إنه قاتل؟».

استدار أندريه نحو التلفاز. وبالرغم من كل محاولات إرلندور، لم يتمكن من جعله يتفوه بأية كلمة عن الرجل المقيم في الناحية المقابلة لشقة سوني.

23

كان أحد الموظفين الأصغر سنّاً في مستودع إعادة التدوير يشعر برِضى تام عن يومه. فقد عثر على أسطوانتَي فينيل جديرتَين بالاحتفاظ بهما. وبالطبع، كان يُفترض به تسليمهما للسوق التي تُباع فيها سِلعٌ من مستودع إعادة التدوير، وذلك بدلاً من اصطحابهما معه إلى المنزل. ولكن، لا أحد يراقب ما يتمّ أخذه من مستودع القُمامة. في الواقع، باستطاعة الجميع التنقل في أرجاء المستودع والقيام بالبحث. أحياناً، ينتهي جامعو الأسطوانات، وجامعو الكتب أيضاً، في آلة السَّحق تقريباً. سيقوم في وقت لاحق بحمل الأسطوانتَين إلى متجر للسِّلع القيّمة، وسيحصل على سعر جيد لقاءهما. لم يكن مهتماً بالأسطوانات أو الموسيقى بصفة خاصة، ولكن بعد العمل طوال سنتَين في المستودع، بات يعرف السِّلع القيّمة. ذات يوم، عثر على مجموعة كاملة من عصيّ الغولف بجانب مستوعَب الكِسَر المعدنية كان أحدهم قد نسي إعادتها إلى السيارة بعد تخلصه من قُمامته. كانت الحقيبة رثّة نوعاً ما بخلاف المجموعة التي كانت في حالة ممتازة، وباعها في وقت لاحق بمبلغ كبير. لقد تمكن حينها من إبرام صفقة جيدة. وبعد يومَين من عثوره على المجموعة، جاء المالك بَحثاً عنها، ولكنّ ذلك المسكين خُدِع بسهولة عندما صدق أنّ العصيّ انتهى بها الأمر في القُمامة؛ لسوء الحظ.

أثناء وجوده في المستودع، تعلّم البقاء متيقّظاً، والبحث عن الأغراض المفيدة؛ أشياء ربما يكون قادراً على بيعها أو استعمالها بنفسه. هو يعرف أن بعض الجامعين يتذمرون من ذلك؛ إذ لا ينتهي كل شيء في سوق السِّلع المستعمَلة وفقاً للقواعد، ولكنه لا يأبه بأولئك الأشخاص غريبي الأطوار. في الواقع لديه عمل إضافي يتمثل بمراقبة ما يرميه الناس؛ فالشركة ليست كريمة بأجورها بالرغم من كل شيء. إنه أجرٌ هُراء لعمل هُراء.

لم يكفّ مطلقاً عن الاندهاش ممّا يرميه الناس. فهم يتخلصون من أي شيء، وغالباً ما كان يرى شاحنات صغيرة مُقفلة تنقل مكتبات كاملة إضافةً إلى أثاث سليم كما يبدو، وملابس في حالة جيدة، وأدوات مطبخية، لا بل أيضاً تجهيزات سمعية جديدة.

كان شديد الانشغال في ذلك اليوم، بالرغم من البَرْد والريح الشمالية العاصفة التي تحاول اقتلاعه من مكانه. فالناس يرمون القُمامة طوال اليوم، وعلى مدار السنة، أيّاً تكن حال الطقس. كانت شاحنات صغيرة ومُقفَلة تحمل ممتلكاتٍ شخصية لأشخاص متوفّين تحضر إلى المكان باستمرار؛ إذ

يتخلّص أحدهم من مغطس الاستحمام، ويستبدل آخرون مجموعات مطبخية كاملة. ومن ثم هناك فريق جمعِ قوارير الشراب. كان جمع القوارير العملَ الأقل تفضيلاً لديه. وهم يحاولون على الدوام الكَذب في شأن العدد؛ عندما يتكبد عناء عدّ محتويات الأكياس أحياناً (عمل نظيف)، يتبيّن له أن تقديرهم مختلف إلى حد كبير عن إحصائه. ولا يتسبب لهم هذا الأمر بأيّ إحراج، بل يُطلقون ابتسامات عريضة ويتصرفون كما لو أنهم مندهشون بشكل تام.

دنت سيارة من البوّابة، وتوقفت عند اللافتة الكبيرة التي تطلب من الجميع التوقف وانتظار التوجيهات. كان معظم القادمين يُطيعون. وعندما وجد أن أحداً لم يتقدّم لمساعدة السائق، توجّه نحو السيارة باسترخاء.

«لديّ سرير قديم هنا». قال الرجل أثناء إنزاله زجاج النافذة.

كان في سيارة جِيب كبيرة، والسرير مفكَّك لتتسع له الناحية الخلفية للجِيب. لا يمكن لأحد الاستفادة منه إذاً.

«هل يأتي مع الفِراش وكل شيء؟» سأل.

«أجل، كل شيء». قال الرجل.

«تقدّم بخط مستقيم، الفِراش إلى اليمين، والألواح الخشبية إلى اليسار، اتفقنا؟».

رفع الرجل زجاج نافذته. راقبه الموظف وهو ينطلق، ومن ثم وضع رأسه وراء باب كوخ الموظفين قرب البوّابة. كانت نشرة أخبار الساعة السابعة قد بدأت للتوّ، فتساءل عما إذا كان يُفترض به الدخول إلى الدفء لدقيقة من الزمن. لم يكن باستطاعته سماع التلفاز، ولكنه كان يرى الشاشة؛ الحشود ترمي الحجارة في الشرق الأوسط، الرئيس الأميركي يلقي خطاباً، الخِراف الأيسلندية، السكين على الطاولة، أحد الوزراء يقصّ شريطاً، رئيس أيسلندا يستقبل ضيوفاً...

توقفت سيارة أخرى عند البوّابة، وأُنزل زجاج النافذة.

«لديّ برّاد». قال الرجل.

«هل يعمل؟». سأل. كان يدقّق على الدوام في حالة البرّادات للتحقق مما إذا كانت تعمل، وإن كان باستطاعته الحصول على برّاد جيد.

«آسف، إنه متوقف عن العمل تماماً». قال الرجل مبتسماً.

ولاحظ من زاوية عينه ظهور السكين مجدداً على شاشة التلفاز، وانتابه فجأةً شعور بأنه رآه من قَبل.

«إلى أين آخذه؟». سأل السائق.

«هناك، إلى اليمين». قال مشيراً إلى مكان تجميع الأدوات المطبخية المُهمَلة والمتروكة في الريح العاصفة المزمجرة.

أسرع إلى داخل الكوخ وجلس أمام التلفاز الصغير. كان المذيع يقول إن سلاح الجريمة قد يكون مماثلاً للسكين الظاهر على الشاشة؛ إنه سكينٌ لنَحت الخشب من النوع المستخدَم في وُرش أعمال النِّجارة. كان يعرف الجريمة التي يتحدثون عنها؛ تلك التي وقع ضحيتها الفتى الآسيوي بجانب مجمَّع الشقق السكنية. كان قد رأى التحقيق الإخباري.

أخرج السكين من قِرابه وتفحّصه. إنه مماثل للسكين الذي رآه على التلفاز. كان قد عثر عليه في مستوعَب الكِسَر المعدنية وصنع له قِراباً، ومن ثم عثر على حزام يوضع فوق بذلة العمل، وثبّت القِراب عليه، وفي القراب وضع السكين. إنه أداة ممتازة لقطع الأسلاك، أو فتح أكياس عُبُوّات الشراب، أو بَرْي قِطع خشبية صغيرة في الكوخ عندما يكون العمل بطيئاً. حدّق بالسكين في يده عندما تبادرت إلى ذهنه فكرة حمله سلاح جريمة.

وتوجهت سيارة نحو البوّابة وتوقفت.

سيتعيّن عليه ربما تسليم السكين وإبلاغ الشرطة. هل يقوم بذلك؟ ما علاقته بذلك؟ إنه سكين جيد لعين.

رآه السائق يتباطأ في الكوخ، فأطلق بوق السيارة.

لم يسمع البوق، كان يفكر في إمكانية قفز الشرطة إلى الاستنتاج بأنه قتل الفتى لأنه يملك السكين. هل سيصدقون أنه عثر على السكين في صندوق الكِسَر المعدنية؟ وأنه تسلل إلى الداخل وحصل عليه عندما لمح المِقبض الخشبي الصغير؛ لأنه مدرَّب بشكل جيد على رؤية الأشياء الملائمة؟ كانوا يُفرغون المستوعَب كل بضعة أيام عندما يكون مليئاً حتى نصفه. لقد جاء أحدهم إلى المستودع ورمى السكين في المستوعَب.

القاتل؟!

لقد قال المذيع إنه من المحتمَل أن يكون سلاح الجريمة من هذا النوع. وفي هذه الحالة، ربما يكون القاتل على صلة بالمدرسة بطريقة ما.

أطلق السائق الذي كان صبره ينفد أكثر فأكثر بوق سيارته ثانيةً، وهذه المرة لمدة أطول، فقفز الموظف ونظر إلى الخارج.

ربما لن يصدقوه. كان قد وُصِف بأنه منحاز عندما وصف كيفية إحضار الآسيويين أكياس العُبُوّات، وكذب في شأن العدد.

ولكنه قد يصبح شهيراً.

نظر إلى السائق الذي يحملق به، واعتقد أنه سيخرج ويتولى أمره،

فابتسم.

أطلق السائق صيحة غضب عندما قابله الموظف بابتسامة عريضة مخبولة. غير أن الموظّف التقط الهاتف الموضوع أمام عينَيه مباشَرةً وشرع بإجراء اتصال.

لقد طلب رقم الطوارئ، 112 .

ربما سيصبح شهيراً.

كان سيغوردور أولي ينتظر إرلندور في الممر خارج شقة أندريه.

«كيف سارت الأمور؟». سأل أثناء نزولهما الدرَج.

«لا أعرف». قال إرلندور منشغل البال. «أعتقد أن الأمور تختلط على أندريه في الواقع».

«هل حصلتَ على أي شيء مفيد منه؟ هل قال أي شيء؟».

«لا شيء عن إلياس».

«ماذا بعد ذلك؟ ماذا قال؟».

«أولاً، عرف الرجل في الصورة». قال إرلندور. «إنه زوج أمه. لقد أشار ضمناً إلى أن الرجل ارتكب جريمة منذ مدة طويلة».

«ماذا؟!».

«لا أعرف». قال إرلندور. «لا أعرف ماذا أصدّق».

«أية جريمة؟».

«لا أعرف».

«أليس مجرد استنتاج؟».

«ربما». قال إرلندور. «ولكن، ثَبُتت دقةُ القليلٍ مما قاله حتى الآن».

«أجل، ولكنه لا يشير إلى الكثير».

«قال بعد ذلك إنه سيعالج المسألة بنفسه، أيّاً يكن معنى ذلك. يُفترض بنا مراقبة أندريه في الأيام القليلة القادمة».

«أجل. بأية حال، إنهم يعتقدون أنهم عثروا على السكين». قال سيغوردور أولي.

«حقاً؟!».

«لقد اتصلوا للتوّ. تخلّص منه أحدهم في مستوعَب للقُمامة. لا يزال يتعيّن علينا التحقق مما إذا كان السكين نفسه، ولكن من المحتمل أن يكون سلاح الجريمة. أعتقد أنه مماثل. لقد عرضوا صورته على نشرة الأخبار، وتبيّن أن فتى ما حصل عليه من مستوعب للنفايات. ربما نعثر على أثر ما؛ عِلماً أن الفتى الذي عثر عليه استخدم السكين في العمل، ولا

بد من أن يكون قد نظّفه أولاً بشكل جيد. ولكن عناصر الأدلة الجنائية يتمكنون دائماً من العثور على شيء ما بواسطة تجهيزاتهم المتطورة تلك».

وتوجها بالسيارة إلى مستودع لإعادة التدوير. كان فريق الأدلة الجنائية قد أقفل المكان، فيما شريط الشرطة الأصفر يرفرف في الريح. وكان التقنيون يبحثون عن إلماعات تشير إلى من رمى السكين؛ حتى لو كان ذلك مجرد شكليات. فقد مر يومان على عثور الموظف على السكين، ودخل عدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من الأشخاص والسيارات إلى المستودع منذ ارتكاب الجريمة، ولم يلاحظ أيٌّ من الموظفين أيَّ أمر غير عادي، ولم يُرَ أحد وهو يتسلل إلى المستوعَب. لم تكن هناك أية كاميرا للمراقبة على البوّابة، ولا تملك الشرطة أية وقائع كافية.

كانوا قد اتصلوا بمدرّس النِّجارة إغيل، وعُرض عليه السكين، وقال إنه من الممكن أن يكون قد أُخذ من مستودع سكاكين النِّجارة. ولكنه أشار إلى أنه من الممكن العثور على سكاكين مماثلة في كل ورشة عمل في مختلف مدارس البلد.

وشرع إرلندور باستجواب الموظف الشاب الذي عثر على السكين، وتثبّت بعد فترة وجيزة من أنه يقول الحقيقة. سأل الموظف إرلندور عما إذا كان بإمكانه بيع قصته للصحف، وعمّا إذا كانت الصحف الشعبية تدفع لقاء ذلك، وكم تدفع في هذه الحالة؛ كان يحمل السكين ويستخدمه منذ عثوره عليه.

أحمق، فكّر إرلندور في سرّه.

عاد إلى المنزل في وقت لاحق. كان الوقت متأخراً، وقد توقف عند متجر محلّي يفتح طيلة اليوم لشراء وجبة جاهزة من اليَخنة الأيسلندية. دسّها في الميكروويف، وضبط جهاز التوقيت على ثلاث دقائق. اتصلت به فالجيردر وتحدثا؛ لقد زوّدها بآخر مستجدات التحقيق من دون إفشاء الكثير من الأمور. سألت عما إذا كان على اتصال بإيفا ليند، وأخبرته أنها ستتولى نوبة عمل إضافية، ولن تتمكن من رؤيته في المساء، لذلك قررا الالتقاء في مساء اليوم التالي عندما لا يكون لديها عمل.

«تعالَ إلى منزلي». أصرّت.

«حسناً، ولكن، ربما في وقت متأخر».

«لا يهمّ». قالت.

وأنهيا الاتصال.

أخرج اليَخنة من الميكروويف، وأحضر ملعقة، وجلس يتناولها بسلام

من الصينية البلاستيكية التي وضعها على طاولة المطبخ. لقد حاول عدم التفكير مطوَّلاً بالقضايا التي ينظر فيها، ولكن أفكاره كانت تعود باستمرار إلى إلياس في الحديقة وراء مجمَّع الشقق السكنية. وتساءل عن الأشخاص الذين يُدخلون إلى البلد ثلاث نساء مثل سوني أو أربعاً، ويتزوجون بهنّ، ثمّ يتخلّون عنهنّ بعد ذلك عندما ينتهي المرح. أم إن النساء هنّ اللواتي يهجرنهم لأنهنّ مهتمات فقط بالحصول على إقامة وإذن للعمل. كيف تحدث أمور مماثلة؟ وفكّر في نيران الذي استدعته سوني بعد عدة سنوات من الانفصال، ولكنه لم يتمكن من التكيّف في البلد الجديد، فانتهى به الأمر غريباً يسعى إلى رِفقة فتيان يشاطرهم الخلفية والخبرة نفسها، فتيان لم يتمكنوا من التأقلم مع مصيرهم، ولم يتمكنوا من فهم البلد أو لغته وتاريخه، ولم يكونوا مهتمّين بأية حال بفهم أيّ منها. كان يتعاطف معهم.

وفكّر في سوني وحزنها.

وعندما شرع هاتفه المحمول بالرنين، افترض أن سيغوردور أولي يتصل به مجدداً في وقت متأخر. ولكن الصوت كان صوت امرأة تهمس كما لو أنها تستخدم الهاتف سرّاً، ولم يتمكن إرلندور من سماع ما تقوله.

«ماذا؟ آسف...؟».

«... وأخذ... ولكنه لن يفهمني. هو يرفض كلّيّاً. لقد حاولتُ التحدث إليه. الأمر ميؤوس منه».

«لقد اكتفيتُ من ذلك». قال إرلندور عندما عرف المتكلّمة. وقرر اتّباع أسلوب جديد مع هذه المرأة التي يبحث عنها منذ ما قبل 25 كانون الأول. «إما أن تأتي لتريني أو تنسي الأمر. لا يمكنني التعاطي مع هذا النوع من الهُراء!».

«أنا أُخبرك، لن...».

«أعتقد...». قاطعها إرلندور.

«أنا بحاجة إلى المزيد من الوقت ليس إلا».

«أعتقد أنه يُفترض بك الكفّ عن العبث معي بهذه الطريقة».

«آسفة». قالت المرأة ثم تابعت: «الأمر شديد الصعوبة. لا أريده أن يكون على هذا النحو».

«ما الغاية من كل ذلك؟». سأل إرلندور. «ما الذي تخططان له كلاكما؟ أي هُراء هو هذا؟».

لم تُجب المرأة.

«تعالي وتحدّثي إليّ».

«أواصل محاولة فهمه. ولكنه لا يحاول فهمي».

«كُفّي عن التصرف بغباء». قال إرلندور. «يُفترض بك العودة إلى المنزل، إليه، وكُفّي عن إزعاجي. تغدو المسألة مثيرة للسخرية!».

ساد الصمت في الطرف الآخر من الخط.

«ذهبتُ ورأيتُ زوجك». قال إرلندور.

مع ذلك، لم تقل المرأة شيئاً.

«أجل، ذهبتُ ورأيته. لا أعرف ما الذي تخططان له كلاكما، ولا علاقة لي بذلك. كُفّي عن إجراء هذه الاتصالات فحسب. كُفّي عن مضايقتي بهذا الهُراء الغبي».

وساد صمت طويل.

بعد ذلك، أنهت المرأة المكالمة.

حدّق إرلندور بالهاتف في يده. لم يكن يملك أية فكرة عما فعله. لقد توقع إلى حد ما أن تعيد المرأة الاتصال به على الفور. ولكن عندما لم يحدث أي شيء، وضع الهاتف على طاولة المطبخ ووقف. تناول الكتاب الذي كان قد قرأ مقاطع منه لماريون برايم في المستشفى، ثم جلس على كرسيّه. كان الكتاب يحتوي على قصصٍ لمسافرين واجهوا مِحَناً وحوادث مميتة في الفيوردات الشرقية. وزن الكتاب بين يدَيه كما كان يفعل في غالب الأحيان، ثم فتحه على قصة يعرفها جيداً ولكنها لا تحتوي إلا على جزء من القصة الحقيقية فقط.

مأساة عند مستنقع إسكيفيوردور

وشرع بقراءتها للمرة المئة، ولكن سرعان ما قاطعه قَرع هادئ على الباب. واضعاً الكتاب من يده، نهض وذهب ليفتح. كانت إيفا ليند واقفة في الخارج على فسحة الدرَج برفقة سيندري سناير.

«ألا تنامان أبداً؟». سأل أثناء دخولهما.

«لا ننام أكثر منك». قالت إيفا منسلّةً بجانبه. «هل كنت تتناول اليَخنة؟». سألت وهي تشمّ الهواء.

«من الميكروويف». قال إرلندور. «لا يمكنك أن تسميها طعاماً في الواقع».

«أنا واثقة أن باستطاعتك طهو وجبة ملائمة لك». قالت إيفا، وجلست على الأريكة في غرفة الجلوس. «ماذا تقرأ؟». سألت عندما رأت الكتاب مفتوحاً على الطاولة بجانب كرسيّه. وجلس سيندري بجانبها. لقد مرّ عام ويوم واحد على زيارتهما الأخيرة له معاً.

«قصص أسفار». قال إرلندور. «ما الذي تخططان له؟».

«أوه، في الواقع، شعرنا بالرغبة في معرفة كيفية تدبّرك أمورك».

«كيفية تدبّري أموري!».

«هل هي قصص عن أشخاص فُقدوا في القَفر؟». سأل سيندري.

«أجل».

«أخبرتَني ذات مرة بوجود قصة مماثلة لقصتك وأخيك في أحد تلك الكتب». قالت إيفا.

«صحيح، هناك قصة مماثلة».

«ولكن، ألن تُريني إيّاها؟».

لم يعرف سبب عدم قيامه بتسليم إيفا ليند الكتاب. كان مفتوحاً على الطاولة بينهما، وبالرغم من عدم احتوائه على القصة كاملةً، فقد اعتبر أنه يكفي لتزويدها وسيندري بفكرة وافية عما حدث. لم يُطلعهما إرلندور سوى على الحقائق المجرَّدة عن مِحنة الشقيقَين. في الواقع، لم تُضف الرواية المزيد لم يَعُد يعرف ما الذي يتشبّث به بهذا القَدْر من العِناد. ليته عرف ذلك يوماً. عندما كان سيندري يعيش في الشرق سمع عن تلك الأحداث؛ لم يبدُ الأمر كما لو أنه سرّ.

«حلمتُ به». قالت إيفا. «لقد أخبرتك بذلك. أنا واثقة من أنه شقيقك».

«هل ستبدئين بذلك مجدداً؟ لا أعرف القصص التي ملأتَ بها رأسها، يا سيندري».

«لم أخبرها أي شيء». قال سيندري، مُخرِجاً علبة سجائره.

«إنه مجرد حُلم. لماذا تخشى الأحلام إلى هذه الدرجة؟ لا يمكنني أن أتصوّر أنك تأخذها على مَحمَل الجِدّ».

«أنا لا آخذها على مَحمل الجِدّ، بل أجد صعوبة في نَبش ذِكرى ما حدث».

«أجل، صحيح». قالت إيفا ليند، وهي تومئ في اتجاه الكتاب على الطاولة. «تقرأ دائماً عما حدث أو عن حادث مماثل. لا يبدو أنك نسيتَ الأمر!».

«لا أريد نَبش الذِّكريات مع أشخاص آخرين». صحّح إرلندور.

«آه». قالت إيفا. «إذاً، تريد أن تبقي الأمر لنفسك. هل تريد ذلك؟».

«لا أعرف ما هو ذلك».

«لا تريد أن يقوم أحد بأخذه منك؟».

« إنني أعتقد أنك لا تدركين ما تتفوّهين به». قال إرلندور.

«أريد أن أخبرك بحلُمي ليس إلا. لم يسبق لي أن رأيت حُلْماً مماثلاً. لا أعرف سبب رفضك سماعه. بأية حال، يكاد لا يكون حُلماً بل أشبه بكوني مستيقظة مع صورة في رأسي».

«كيف تعرفين أنه شقيقي؟».

«لم أستطع التفكير بشخص آخر». قالت إيفا.

«الأحلام لا تعني شيئاً، أنت تعرفين ذلك». قال سيندري.

«هذا ما أحاول قوله له بالتحديد». قالت إيفا.

وساد الصمت.

«كيف مات؟». سألت إيفا.

«لقد أخبرتُك. مات بِرغور بسبب تعرّضه للبَرْد. كان في الثامنة من عمره. لقد افترقنا. عُثر عليّ، ولم يتمّ العثور على جثته مطلقاً. ربما حلمتِ به حقاً. لا يهمّ، لا تتحمّسي كثيراً للحُلم. أَخبراني عنكما بدلاً من ذلك. ماذا تفعلان في هذه الأيام؟».

«هل يمكن أن يكون قد غرق؟». سألت إيفا لِيند.

فحدّق إرلندور بابنته. هي تعلم أنه لا يريد مناقشة المسألة أبداً، ولكنها لم تسمح لذلك بردعها. وحدّقت به بالمِثل وبتحدٍّ، فيما نظر سيندري إلى الطاولة بينهما.

«قال لي سيندري إن الغرق كان إحدى النظريات التي سمع بها عندما كان في الشرق».

فرفع سيندري عينَيه. «الكثير من الناس هناك يعرفون القصة هناك أشخاص كثر يذكرون الأمر برمّته».

لم يُجب إرلندور.

«ماذا حصل برأيك؟». سألت إيفا لِيند.

لم يُجب إرلندور أيضاً.

«كان هناك ظلام». قالت إيفا. «كنت في الماء. ظننتُ في بادئ الأمر أنني أسبح ولكن الأمر كان مختلفاً. لم أذهب يوماً للسباحة منذ أن كنت في المدرسة. ولكنني وجدتُ نفسي في الماء فجأةً، وكانت باردة بشكل لا يصدَّق...».

«إيفا...». ونظر إرلندور إلى ابنته نظرات مترجية.

«قلتَ لي إن باستطاعتي رواية حُلمي في وقت آخر. هل نسيتَ؟».

فهز إرلندور رأسه ببطء.

«جاء فتى باتجاهي، ونظر إليّ وابتسم، وذكّرني بك على الفور. ظننتُ في بادئ الأمر أنك ذلك الفتى. هل كنتما متشابهَين؟».

«هذا ما كان الناس يقولونه».

«بأية حال، لم نكن نسبح أو موجودَين في بِركة سباحة». قالت إيفا. «كنا في مياه من نوع ما تحوّلت إلى وَحل وطين. بعد ذلك، كفّ الفتى عن الابتسام، وغدا كل شيء أسود. لم يكن باستطاعتي التنفس، وشعرت كما لو أنني أغرق أو أختنق. لقد استيقظتُ لاهثةً. لم يسبق لأي حُلم أن ترك أثراً مماثلاً في نفسي. لن أنساه أبداً، لن أنسى وجهه».

«وجهه؟».

«عندما اسودّ كل شيء...».

«ماذا؟».

«رأيتك أنت». قالت إيفا ليند.

«أنا؟!».

«أجل. رأيتك أنت فجأةً».

ولزم الجميع الصمت.

«هل حدث ذلك بعد أن أخبرك سيندري عن المستنقعات الموحِلة؟». سأل إرلندور، مُلقياً نظرة سريعة على سيندري.

«أجل. كيف مات شقيقك؟ ماذا عن المستنقعات الموحِلة؟».

«هل غرق؟». سأل سيندري.

«ربما يكون قد غرق». قال إرلندور بصوت منخفض.

«هناك أنهار في الفيورد». قال سيندري.

«أجل».

«يقول بعض الأشخاص إنه لا بد من أن يكون قد وقع في أحدها».

«قد تكون إحدى الفرَضيات أنه وقع في نهر إسكيفيوردور».

«ولكن هناك فرَضية أخرى، وهي الأسوأ، أليس كذلك؟». قالت إيفا ليند.

فتجهّم وجه إرلندور، وعادت إلى ذِهنه ذِكرى قديمة لرجال يحاولون إنقاذ حصان هام على وجهه بعيداً داخل المستنقع الموحِل، حيوان كبير ورائع يملكه رجل من القرية. تخبّط الحصان حينها مرسلاً رذاذاً من الوحل، ولكن كلما حاول الخروج من مِحنته غاص أكثر فأكثر؛ حتى بقي رأسه فقط فوق صفحة الماء، وغاص مِنخراه وعيناه المضطربتان في الوحل بلا رحمة. كان منظراً مُريعاً؛ كانت ميتة مُريعة. وكلما فكر في بِرغور عادت

إلى ذهنه صورة الحصان وهو يغوص أكثر فأكثر داخل المستنقع حتى اختفى.

«هناك مناطق موحِلة في المستنقعات». قال إرلندور أخيراً. «أراضٍ موحِلة يمكن أن تكون خطيرة. هي تتجمد في الشتاء، ولكنها تذوب من حين لآخر. ربما تكسّر الجليد ووقع بِرغور وعلق. إنها فَرَضية لأننا لم نعثر على رُفاته مطلقاً».

«إذاً، هل ابتلعته الأرض؟».

«بحثنا طوال أسابيع وأشهر، وساعدنا مزارعون محليون، وأصدقاؤنا، وأنسباؤنا. ولكن بدون فائدة. إذ لم نعثر على شيء. لم نعثر على أيّ أثر. لقد بدا الأمر كما لو أن الأرض ابتلعته».

وأمعن سيندري النظر بوالده.

«هذا ما قاله الناس».

لم يتكلم أحد للحظات طويلة.

«لماذا لا يزال الأمر شديد الصعوبة عليك بعد كل تلك السنوات؟». سألت إيفا.

«لا أعرف». قال إرلندور. «لأنني أعرف أنه لا يزال هناك في مكان ما ضائعاً ووحيداً، لا شيء يتطلّع إليه باستثناء الموت».

جلسوا صامتين لمدة طويلة، وصفير الريح الشمالية هو الصوت الوحيد المسموع. فوقفت إيفا ليند وسارت في اتجاه نافذة غرفة الجلوس.

«يا للفتى الصغير المسكين!». قالت وهي تنظر إلى ليل الشتاء البارد.

عندما غادرا، جلس على كرسيّه ثانيةً، وتبادرت إلى ذهنه جملة قرأها في دفتر إلياس للتمارين الكتابية؛ تعليق صغير أو فكرة دوّنها إلياس في أسفل الصفحة، كما لو أنه دوّنها في الأسفل بدون تخطيط. ربما أراد سؤال والدته.

كم شجرة يتطلب الأمر لصنع غابة؟

24

استيقظ إرلندور من نوم أَرِق. كان هناك كتاب مفتوح على الطاولة الصغيرة المنخفضة بجانب السرير، وكان الكتاب عن الانهيارات الثلجية في أيسلندا، وبجانبه كدسة كتب إضافية: روايات أيسلندية، وكتب تتضمّن وصفاً لرحلات شاقة على دروب جبلية، وحكايات شعبية وأساطير، وقصص أشباح، وحكايات مسافرين في الأيام الغابرة، إضافةً إلى روايات مأساوية في الغالب عن الموت والدمار في طقس بالغ الصعوبة. كانت فالجيردر قد سألته عما إذا كانت الروايات التي يوليها كل هذا الاهتمام تتناول الموت والإصابات ليس إلا، فقال إرلندور إن العديد منها يتناول عمليات إنقاذ عجائبية، ويدور حول قدرة الناس اللامحدودة على التحمّل لينجوا من مِحن غير عادية إلى حد كبير. ذلك هو المغزى من القصص كما قال. لهذا السبب هي مطابقة جداً لمقتضى الحال.

وأقرّ بأنها تتضمن القليل من الحوادث المُضحكة؛ عِلماً أنه يجد من حين لآخر ومضة خافتة لتسلية ظريفة وسط كل التجارب والمِحن. وقبل خلوده إلى النوم، كان قد قرأ رواية في سجلٍّ يعود للعام 1847 عن عامل مزرعة توغّل في الجبال بحثاً عن خروف بعد أن حُذِّر من خطر الانهيارات الثلجية. وعندما تخلّف العامل عن العودة في الساعة المحدَّدة، أُرسل رجلان للبحث عنه. وبعد البحث لبعض الوقت، اعتبرا أنه ربما يكون قد وقع عن منحدر ثلجي وغمره الثلج بالكامل في ما بعد. حفر الرجلان الثلج بأيديهما. وبعد الحفر مسافة أربع أقدام، كشفا عن عَقِبَي قدمَي العامل. مفترضَين أنه لقي حتفه، كفّا عن الحفر وعادا إلى المزرعة. ولكن، عندما أَبلغا عن اكتشافهما، حدث اضطراب. لم يسلّم سكان المزرعة بوفاة العامل، وأمروا بعودة الرجلَين إلى الجبل، مزوَّدَين هذه المرة برَفش، وبعض قَطرات هوفمان وزيت الكافور. وعندما أخرجا الرجل من الثلج، تبيّن أن رأسه كان في اتجاه الأسفل وسط كومة الثلج، ومع ذلك فقد بقي على قَيد الحياة وخرج مع قدرة كبيرة على الكلام.

ابتسم إرلندور لنفسه أثناء نهوضه من السرير، وسكب بعض القهوة. اتصل بسيغوردور أولي، وأجريا حديثاً وجيزاً عن السكين الذي أُخذ من مستودع إعادة التدوير. باستطاعة أي شخص من المدرسة أخذ السكين من ورشة العمل؛ مفترضَين أنها مصدر السكين في المقام الأول بسبب تدفق التلاميذ، والمدرّسين، وأفراد آخرين من الهيئة التعليمية إلى غرفة صف

النِّجارة بشكل متواصل. فإغيل مُحِق لأن سكاكين النَّحت المستخدَمة في المدارس الأيسلندية متماثلة، ومن غير المؤكَّد ما إذا كانا سيتمكنان من العثور على دليل لربط السكين بالاعتداء على إلياس. فالموظف الذي اكتشفه استخدمه في عمله وادّعى أنه كان برّاقاً جداً عندما عثر عليه؛ لدرجة أنه لا بد من أن يكون قد نُظِّف قبل وصوله إلى مستوعَب الكِسَر المعدنية.

رنّ الهاتف ثانيةً. هذه المرة، كانت إيلينبورغ هي المتصلة.

«لقد عُثر عليها». أعلنت بدون مُقدِّمات. «المرأة المفقودة».

«من؟».

«المرأة المفقودة. حيث قلتُ إننا سنعثر عليها بالتحديد؛ على ريكجانس، في حقل الحمم جنوب منشأة الألومنيوم».

á á á

كان عناصر فريق الأدلة الجنائية واقفين قرب الجثة، ملفوفين جيّداً بسترات سميكة وطويلة. وبجانب الجثة مِنصَب ثلاثي القوائم ثُبِّت عليه مِصباحان قَوسيّان سُلِّط ضوؤهما المتوهّج على المكان الذي استقرّت فيه الجثة. كان إرلندور قد سلك الطريق القديم بسيارة الفورد بقَدْر ما مكّنته جرأته من ذلك قبل ترجّله من السيارة، واجتيازه المسافة الأخيرة سَيراً على الأقدام. فالمكان يُعرَف بهرون، وهو على مسافة قصيرة من منشأة الألومنيوم في سترومسفيك. والشاطئ الحُمَميّ تقسّمه الفيوردات إلى خلجان صغيرة مليئة بجُزر صغيرة مسنَّنة، والثلج يتساقط بدَفقات متقطّعة، والبحر الغاضب أمواجه تتحطم على الصخور. كان إرلندور يعرف أن المكان قد استُخدم في ما مضى لترسو فيه مراكب التجذيف، ولاحظ الخطوط الكفافية للجدران المقوَّضة، وهي كل ما تبقّى من أكواخ صيادي الأسماك القدماء وحظائرهم.

لقد جُرفت الجثة إلى أحد الخُلجان. كان فريق صغير من عمّال إنقاذ متطوّعين من هافنارفيوردور القريبة يقوم بعملية بحث عند الفجر، ممشِّطاً الشواطئ جنوب منشأة الألومنيوم - بالرغم من إيقاف البحث الرسمي عن المرأة منذ بعض الوقت - عندما عثر على الجثة. كانت إيلينبورغ تتحدث إلى عناصر الفريق في إحدى سيارات الدَّورية التي شقّت طريقها حتى البحر. وهناك سيارة إسعاف وسيارات شرطة أخرى مركونة على بُعد مسافة قريبة من الجثة، ومصابيحها الأمامية تُضيء الخليجَ الضيّق والموجاتِ المتكسِّرةَ على الشاطئ والأشكالَ البشرية المنحنية فوق الجثة.

ترجّلت إيلينبورغ من السيارة عندما رأت إرلندور يدنو.

«هل أبلغ أحدهم الزوج؟». سأل متوقفاً.

«أعتقد أنه في طريقه».

«هل هي نفسها بالتحديد؟».

«لا مجال للشك. عثرنا على بطاقة هويّتها. ألن تُلقي نظرة عليها؟».

«أجل، بعد دقيقة». قال إرلندور، مُخرِجاً علبة سجائره ومُشعِلاً سيجارة. كان يكره هذه اللحظة. ستكون هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها المرأة، وتمنى لو أن الأمر لم ينتهِ بها على هذا النحو، جثةً على شاطئ ريكجانس. وتذكّر حديثهما الأخير عبر الهاتف؛ لم يكن متعقّلاً. لقد أسِف لذلك.

كان المأمور الطبي في مقاطعة هافنارفيوردور قد استُدعي للتوقيع على شهادة الوفاة. وعندما انتهى من تفحّص الجثة، سار في اتجاههما.

«هل تمكنتَ من رؤية أية إصابات؟». سأل إرلندور.

«لا، ليس من النظرة الأولى». قال المأمور الطبي.

كانت الاتصالات الهاتفية التي تبادلها معها موجَزة جداً ومبتورة. وتساءل إرلندور عما إذا كان بالإمكان أن يكون رد فعله مختلفاً. هل كان بإمكانه مساعدتها؟ هل كان ينبغي عليه الإصغاء إليها بشكل أفضل؟

«أنا هنا لتوقيع شهادة الوفاة فحسب». قال المأمور الطبي. «سيكون على الأخصائي في عِلم الأمراض التابع للشرطة أن يحدد سبب الوفاة».

رأوا سيارة جِيب تقترب، فرمى إرلندور عَقِب سيجارته. توقف الجِيب بجانب سيارات الشرطة، وقفز زوج المرأة منه وشرع بالركض نحوهم.

«هل عثرتم عليها؟». نادى.

فتبادل إرلندور وإيلينبورغ نظرات سريعة. واعترض ضباط شرطةٍ طريق الرجل.

«هل هذه هي؟». صاح الرجل محدّقاً في اتجاه الجثة. «أوه، يا الله! ماذا فعلتْ؟».

وحاول خرق صفوفهم، ولكن ضباط الشرطة منعوه من ذلك.

«ماذا فعلتِ؟». صاح في اتجاه الجثة.

فوقف إرلندور وإيلينبورغ بلا حراك في البَرْد، ناظرَين إلى بعضهما. والتفت الرجل إلى إرلندور.

«انظر إلى ما فعلته!». صاح بيأس كبير. «لماذا فعلتْ ذلك؟ لماذا؟».

أخذ الضباط الرجل جانباً، وحاولوا تهدئته.

احتمى إرلندور مع إيلينبورغ والمأمور الطبي بعرَبة شرطة كبيرة، وانتقل بأفكاره إلى أطفال المرأة وزوجها السابق. هو يعلم أنه كلما انقضى

وقت على اختفائها، نَحَتْ مخاوفهم في اتجاه الأسوأ أكثر فأكثر، وها هي أسوأ كوابيسهم تتحقق.

كان إرلندور قد أخبر الزوج عن الاتصالات الهاتفية، ولم يكن يملك أية فكرة عما يتعيّن عليه القيام به بعد وفاتها. لقد شعر أنه من الأفضل ربما التكتّم في شأنها. لقد سمع صوتها، وسمع يأسها وخوفها وذلك التردد الغريب، والجُمل غير المكتملة التي جعلت من الصعب عليه معرفة ما تريده منه. تنهّد بعمق وأشعل سيجارة أخرى.

«فيمَ تفكّر؟». سألت إيلينبورغ.

«في الاتصالات الهاتفية اللعينة تلك». قال إرلندور.

«منها؟». سألت إيلينبورغ.

«لا تزال تستحوذ على ذهني. في المرة الأخيرة التي تكلّمتُ معها فيها كنت... كنت قاسياً معها قليلاً».

«إنه أمر عادي». قالت إيلينبورغ.

«أعتقد أنها كانت تعاني، ولكنني شعرت بأنها تخطط لأمر ما. لم أمنحها وقتاً كافياً. يا لِغبائي المُطبَق!».

«ما كنتَ لتتمكن من تغيير أي شيء».

«اعذراني». تدخّل المأمور الطبي. «متى تحدثتَ إليها؟».

كان أكبر رجل في السنّ يعرفه إرلندور.

«مساء أمس». قال إرلندور.

«هل كنت تتحدث إلى تلك المرأة مساء أمس؟».

«أجل».

«إنه أمر غريب».

«لماذا؟».

«لم تتصل تلك المرأة بأحد مؤخراً».

«حقاً؟!».

«ولا يوم أمس بالتأكيد».

«أقول لك إنها اتصلت بي عدة مرات في الأيام القليلة الماضية».

«بالطبع، أنا طبيب عادي ليس إلا». قال المأمور الطبي. «لستُ خبيراً، ولكن الأمر مُحال. انسَ ذلك. لا يمكن تمييزها».

فأطفأ إرلندور سيجارته بكعب حذائه وحدّق بالمأمور الطبي.

«ماذا تقول؟!».

«كانت في البحر منذ أسبوعَين على الأقل». قال المأمور الطبي.

«ويستحيل أن تكون حيّة منذ يومَين. الأمر مستحيل تماماً. لماذا تعتقد أنهم لم يسمحوا لزوجها برؤيتها؟».

فحدّق إرلندور به عاجزاً عن الكلام.

«ماذا يحدث بحق الله؟!». وتنهّد وشرع بالسير نحو جثة المرأة.

«أتعني أنها ليست هي؟». قالت إيلينبورغ وهي تسير وراءه.

«ماذا...؟».

«من يمكن أن تكون سواها؟».

«لا أعرف».

«إذا لم تكن هي من اتصل، فمن المتّصلة؟».

ونظر إرلندور إلى الجثة، عاجزاً تماماً عن الفهم. لقد تعرّضت جثتها للتآكل أثناء بقائها في البحر.

«مَن المتّصلة إذاً؟». وتأوّه. «مَن المرأة التي اتصلت بي وتحدّثت إليّ عن... عن... ماذا قالت؟ لا يمكنني القيام بذلك؟».

كان الرجل الذي شكا في بادئ الأمر من الخدوش على سيارته قد تذمّر من لا مبالاة الشرطة عندما أبلغ عن عملية التخريب. لقد أبدوا قلّة اهتمام برأيه، لأنهم أعدّوا تقريراً لشركة التأمين، ولم يَبلغه أي جديد مذاك الحين. فاتصل للاستفسار عن التقدم الذي يحققونه في مسألة القبض على الأوغاد الذين خرّبوا سيارته، ولكنه لم يجد مَن يمكنه تزويده بأية إلماعة عما يجري.

لقد استمرّ الرجل بالتشدّق في كلامه لبعض الوقت، ولم يتكبّد سيغوردور أولي عناء مقاطعته. في الواقع، لم يكن يُصغي بل كان منشغل البال ببيرجثورا ومسألة التبنّي. فبعد اختبارات مُضنية، تبيّن أن المشكلة تكمن لدى بيرجثورا؛ إذ لا يمكنها الإنجاب، عِلماً أنها تتوق إلى ذلك من كل قلبها. كانت العملية برمّتها قد أصابت علاقتهما بحالة من الإجهاد والتوتر قبل أن يكتشفا أن بيرجثورا لا تُنجب؛ بعد خبرة مريرة وعدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من الزيارات لأخصائيين. وازدادت الحال سوءاً بعد اكتشافهما ذلك. كان سيغوردور أولي يشعر بأن بيرجثورا لم تتعافَ بعد. لقد وصل بنفسه إلى الاستنتاج القائل إنه يُفترض بهما ربما قبول الوضع وتركه على حاله «بما أنه واقع الحال»؛ كما قال لبيرجثورا. وتمّ التطرّق إلى الموضوع مجدداً عندما عاد من العمل إلى المنزل مساء أمس وشرعت بيرجثورا بالقول إن الأزواج الأيسلنديين يتبنّون بصفة رئيسة أطفالاً من جنوب شرق آسيا والهند والصين؛ كما يعرف سيغوردور أولي تماماً.

«لا أقضي الكثيراً من الوقت بالتفكير في الأمر بقَدْر ما تفكّرين فيه». قال بأكبر قَدْر من الحِرص.

«إذاً، ألا تُبالي؟». سألت بيرجثورا.

«بالطبع، أنا أُبالي». قال سيغوردور أولي. «أُبالي بمشاعرك، وبمشاعرنا. لا أعرف...».

«ماذا؟».

«لا أعرف إذا كنتِ في حالة تسمح لك باتخاذ قرار متسرّع في شأن التبنّي. إنها خطوة كبيرة جداً».

فأخذت بيرجثورا نفَساً عميقاً وقالت:

«لن نتفق أبداً على هذا الأمر».

«أشعر أننا بحاجة إلى المزيد من الوقت للتعافي ودراسة الموضوع».

«بالطبع، باستطاعتك الحصول على طفل متى شئت». قالت بيرجثورا بطريقة ساخرة.

«ماذا؟».

«لو كنتَ تملك أدنى رغبة في ذلك؛ وهو أمر لم تُعرب قطّ عن رغبتك فيه».

« بيرجثورا...».

«لم تكن مهتماً بالأمر مطلقاً، أليس كذلك؟».

لم يُجب سيغوردور أولي.

«يمكنك العثور على امرأة أخرى». قالت بيرجثورا، «وإنجاب أطفال منها».

«هذا ما أعنيه بالتحديد. لستِ... لا يمكنك مناقشة الأمر بعقلانية. لِنمنحِ الأمر بعض الوقت. لن يضرّنا ذلك».

«لا تواصل إخباري بأية حالة أنا». قالت بيرجثورا. «لماذا عليك الاستخفاف بي على الدوام؟».

«أنا لا أستخف بك».

«تعتقد على الدوام أنك أفضل مني بطريقة ما».

«لستُ مستعداً للتبنّي في ظل هذه الأحوال».

فحدّقت به بيرجثورا مطوَّلاً من دون قول أية كلمة، ومن ثم أطلقت ابتسامة شاحبة.

«هل لأنهم أجانب؟». سألت. «هل لأنهم ملوَّنو البشرة؟ أو صينيون؟ أو هنود؟ هل هذا هو السبب؟».

ووقف سيغوردور أولي قائلاً:

«لا يمكننا الحديث في ظل هذه الظروف».

«هل هذا هو السبب؟ تريد أن يكون أطفالك أيسلنديين، أليس كذلك؟».

«بيرجثورا، لماذا تتكلمين بهذه الطريقة؟ هل تعتقدين أنني...؟».

«ماذا؟».

«ألا تعتقدين أنني أُعاني أيضاً. ألا تعتقدين أنني أشعر بالحزن عندما لا ينجح الأمر، عندما نفقد الط...» وتوقف.

«لم تَقُل أي شيء يوماً». قالت بيرجثورا.

«ماذا كان يُفترض بي أن أقول؟». قال سيغوردور أولي. «ما الذي يُفترض بي قوله دائماً؟».

وخرج من حُلم اليقظة عندما رفع الرجل صوته.

«أجل، إحِم... لا، آسف؟». قال سيغوردور أولي مُنساقاً مع أفكاره.

فحملق به مالك السيارة المتضرّرة.

«حتى إنك لا تُصغي إليّ». قال باشمئزاز. «إنها القصة نفسها دائماً معكم أيها الشرطيون».

«آسف، كنت أتساءل عما إذا كنتَ قد رأيتَ الشخص الذي خدش سيارتك».

«لم أرَ أي شيء». قال الرجل. «وجدتُها مخدوشةً فقط».

«هل لديك أية فكرة عمّن يمكن أن يكون قد قام بذلك؟ عن شخص ما يريد تصفية حساب معك؟».

«لا فكرة لديّ البتة. أليس هذا الأمر من مهمامكم؟ ألا يندرج العثور على الوغد في إطار مهامكم؟».

بعد ذلك، تمكن سيغوردور أولي من التقاء جارة الرجل، وهي شابة تدرس الطب في الجامعة وتستأجر شقة صغيرة في المجمّع السكني المجاور. فجلست معه لتبادل أطراف الحديث، وبذل سيغوردور أولي جهداً للتركيز بشكل أفضل من تركيزه أثناء حديثه إلى الرجل الذي غادر وهو يشعر باستياء شديد.

كانت المرأة في الخامسة والعشرين من العمر تقريباً، وبدينة نوعاً ما. ولمح سيغوردور أولي مطبخها الذي تهيمن عليه علب الوجبات السريعة.

لقد أخبرت سيغوردور أولي بأن لا شيء مميَّز بسيارتها، ولكن وجود خدوش عليها على هذا النحو هو أمر شنيع.

«ما سبب الاهتمام المفاجئ الآن؟» سألت. «بالكاد تكبّدت مجموعتكم عناء القدوم إلى هنا عندما أبلغتُ عن الأضرار».

«تعرّضت عدة سيارات أخرى لأعمال تخريبية». قال سيغوردور أولي، «ويمتلك إحداها شخص يُقيم في مجمَّع الشقق السكنية المجاورة. لذا، علينا وضع حدّ لذلك».

«أعتقد أنني رأيتهم»، قالت المرأة، مُخرِجةً علبة سجائرها. كانت تفوح من الشقة رائحة دخان.

«حقاً؟!». قال سيغوردور أولي، مراقباً إيّاها وهي تقوم بإشعالها. وفكّر في علب الوجبات السريعة تلك في المطبخ، وتعيّن عليه تذكير نفسه بأن هذه المرأة تدرس الطب.

«كان هناك فتَيان يتسكعان في الخارج». قالت زافرةً الدخان. «في الواقع، كنت في المنزل عندما حدث الأمر. كان الأمر غريباً جداً، وتعيّن عليّ الركض إلى الداخل لأنني نسيتُ غدائي. لقد تركتُ السيارة غير مُقفَلة، والمفاتيح في آلية الإشعال، وهو أمر لا يُفترض بك القيام به أبداً».

ونظرت إلى سيغوردور أولي كما لو أنها تقدّم له نصيحة هامة.

«عندما خرجتُ بعد دقائق قليلة فقط، رأيتُ هذا الخدش المُريع على سيارتي».

«هل حدث ذلك في وقت مبكّر من الصباح؟» سأل سيغوردور أولي.

«أجل، كنت في طريقي إلى المحاضرات».

«متى حدث الأمر؟».

«منذ أسبوع تقريباً».

«هل رأيتِ من قام بذلك؟».

«أنا واثقة من أن الفتيَين هما اللذان قاما بذلك». قالت المرأة مُطفئةً سيجارتها. كان هناك وعاء صغير على الطاولة يحتوي على طُوفي [4] . فوضعت قطعة في فمها، وقدّمت الوعاء لسيغوردور أولي الذي شكرها، رافضاً قبول عرضها.

«ماذا رأيتِ؟».

«أطلعتُ رجال الشرطة على كل شيء في الأسبوع الماضي، ولكنهم لم يبدوا مهتمّين بالخدش في ذلك الوقت».

«وقعت أحداث أخرى كما قلت لك». قال سيغوردور أولي. «سيارتك ليست الوحيدة التي تعرّضت للتخريب. ونحن نريد إلقاء القبض على الفاعلين».

«كانت الساعة الثامنة تقريباً»، «والظلام لا يزال دامساً بالطبع، ولكن هناك مصباح مناراً قرب مدخل المجمَّع، لذا تمكنت من رؤية فتيَين يمرّان أمام المدخل عندما كنت أصعد الدرَج. لا يمكن أن يكونا قد تخطيا الخامسة عشرة من العمر، ويحمل كل منهما حقيبة مدرسية. أخبرتُ الشرطة بكل ذلك».

«هل لاحظتِ الاتجاه الذي سلكاه؟».

«في اتجاه الصيدلية».

«الصيدلية؟».

«والمدرسة». قالت المرأة ماضغةً حبة الطُّوفي، «حيث قُتل الفتى».

«لماذا تظنين أن ذَينك الفتيَين خدشا سيارتك؟».

«لأنها لم تكن مخدوشة عندما صعدتُ الدرَج، وكانت مخدوشة عندما نزلتُ ثانيةً. كانا الشخصَين الوحيدَين اللذين رأيتهما في ذلك الصباح. أنا واثقة من اختبائهما في مكان ما، ساخرَين مني. أي نوع من الناس أولئك الذين يخدشون السيارات؟ أَخبرني. أي نوع من الأوغاد هم؟».

«إنهم فاشلون مثيرون للشفقة». قال سيغوردور أولي. «هل بإمكانك أن تتعرفي إليهما إذا رأيتهما؟».

«لست واثقةً تماماً من أنهما الفاعلان».

«لا، أعرف ذلك».

«ذو شعر طويل أشقر. كانا يرتديان معطفين، وأحدهما ويعتمر الآخر قبّعة صوفية».

«هل يمكنك معرفتهما من الصور الفوتوغرافية؟».

«ربما. لم تتكبدو عناء منحي تلك الفرصة في ذلك اليوم».

á á á

أغلق إرلندور الباب عندما عاد إلى مكتبه في هفرفيسغاتا، وجلس إلى طاولته واضعاً يدَيه في حضنه، وحدّق في الفضاء بعينَين غير مُبصرتَين. لقد ارتكب خطأً عندما خرق إحدى القواعد الذهبية التي حاول على الدوام التقيّد بها. فالقاعدة الأولى التي علّمه إيّاها ماريون برايم: هي لا شيء يكون كما تتخيُّله. لقد بالغ في الثقة بنفسه، كان متعجرفاً. لقد نسي الحذر الذي يحميه من الوقوع في الخطأ، وذلك عندما لم يتمكن من التمييز. لقد جعله التكبّر يضِلّ طريقه ويتغاضى عن احتمالات جليّة؛ وهو أمر لم يكن يُفترض أن يحدث له.

حاول أن يتذكر الاتصالات الهاتفية، وما قالته المرأة، في كل منها، وما

كان بالإمكان استشفافه من صوتها، وفي أي وقت من اليوم اتصلت. لقد أساء تفسير كل ما قالته. لا يمكن للأمور أن تستمر على هذا النحو، تذكّر فجأةً ما قالته في اتصالها الأول. وفي آخر اتصال، رفض الإصغاء إليها.

هو يعرف أن المرأة أرادت الحصول على مساعدته. كان لديها ما تُخفيه، ويعذّبها، ولذلك لجأت إليه. هناك تفسير ممكن واحد. إذا لم تكن المرأة المفقودة، فالأمر مرتبط بالتأكيد بقضية واحدة. إنه يحقق في قضية وفاة إلياس؛ لذا لا بد من أن تكون الاتصالات الهاتفية مرتبطة بذلك. لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك. تملك هذه المرأة معلومات يمكن أن تساعدهم في التحقيق في مقتل الطفل، وطلب منها الامتناع عن الاتصال.

ضرب إرلندور بقبضتَيه المكوَّرتَين على الطاولة بأكبر قوة ممكنة، فتطايرت الأوراق والاستمارات.

واصل التفكير في ما كانت المرأة تحاول إخباره به من دون أن تنجح في ذلك. أمِل في أن تتصل به مجدداً؛ عِلماً أن الأمر غدا بعيد الاحتمال بعد طريقة معاملته لها في المرة الأخيرة.

سمع قرعاً على الباب، وسرعان ما أدخلت إيلينبورغ رأسها، فرأت الأوراق على الأرض، ونظرت إلى إرلندور.

«هل كل شيء بخير؟».

«هل تريدين شيئاً؟».

«الكل يرتكبون الأخطاء». قالت إيلينبورغ مُغلقةً الباب وراءها.

«هل من جديد؟».

«يراجع سيغوردور أولي الصور الفوتوغرافية لتلاميذ أكبر سنّاً في المدرسة مع مالكة إحدى السيارات. كان اثنان من التلاميذ يتسكعان خارج مجمّع شققها السكنية عندما تعرضت سيارتها للتخريب.

وشرعت إيلينبورغ بالتقاط الأوراق عن الأرض.

«دَعيها». قال إرلندور وبدأ بمساعدتها.

«يتفحص الأخصائي في عِلم الأمراض الجثة». يبدو أن المرأة قد غرقت. ووفقاً للانطباع الأول، لا دلالات على أي شيء يثير الشك. كانت في البحر منذ أسبوعَين أو ثلاثة أسابيع على الأقل».

«كان يُفترض بي أن أعرف». قال إرلندور.

«ماذا تقصد؟».

«ارتكبتُ خطأ في الحكم على الأمور».

«ما بالك!؟ لم تكن لِتعرف».

«كان يُفترض بي التحدث إليها بدلاً من معاملتها بعدائية. لقد حكمتُ عليها بسبب ما فعلته، حتى إنها لم تكن المرأة التي ظننتُ أنها هي».

وهزت إيلينبورغ رأسها.

«اتصلت بي تلك المرأة لأطمئنها وأقنعها بمساعدتنا لأنها تعرف أن ما تقوم به هو الأمر الصحيح. ولكنني منعتها من مواصلة ما تقوم به. هي تعرف شيئاً ما عن مقتل إلياس. إنها امرأة في سنّ غير محدّدة، ذات صوت أجشّ تقريباً بسبب التدخين ربما. الآن، وبعد ما حدث، أدرك مدى قلقها وفزعها وتخوّفها. ظننتُ أن المرأة المفقودة وزوجها يخططان لأمر ما. لم أتمكن من فهم ذلك. لم أتمكن من اكتشاف ما ينويان القيام به، فوضعتُ حداً للأمر. ويتبيّن لي الآن أنني كنت أُمسك بالطرف الخاطئ للعصا».

«ما الذي كانت تفكر فيه؟ لماذا رمت بنفسها في البحر؟».

«أعتقد...». وتلكأ إرلندور عن الإجابة.

«ماذا؟».

«أعتقد أنها أُغرمت. لقد ضحّت بكل شيء من أجل الحب: العائلة، الأطفال، الأصدقاء. كل شيء. قال لها أحدهم إنها تغيّرت وأصبحت شخصاً مختلفاً. الأمر أشبه بعثورها على عُمر جديد، واكتشافها ذاتها الحقيقية أثناء تلك الفترة».

وصمت إرلندور ثانيةً، مستغرقاً في التفكير.

«وماذا حدث؟».

«اكتشفت أنها خُدعت. كان زوجها قد بدأ بخداعها. لقد شعرت بالمَذلّة. كل... كل ما فعلتْه، كل ما ضحّت به، ذهب هباءً».

«سمعتُ عن رجال مماثلين». قالت إيلينبورغ. «هم مُدمنون على العلاقات الجديدة، وعندما يخبو شغفهم يبحثون عن الشغف لدى امرأة أخرى».

«ولكن حبها له كان حقيقياً». قال إرلندور، «ولم تتحمّل الأمر عندما اكتشفت أن حبها له ليس متبادَلاً».

25

قرع سيغوردور أولي جرس الباب عند مدخل مجمَّع شقق سكنية من أربعة طوابق قرب المدرسة. ووقف وانتظر، ومن ثم قرع الجرس ثانيةً. وهبّت ريح باردة على ساقَيه، فضرب قدمَيه بالأرض. لم يكن هناك أحد في المنزل كما يبدو. وبخلاف المجمّع السكني حيث تُقيم سوني مع ابنَيها، لم يكن هذا المجمّع في حالة صالحة تماماً. إذ لم يتمّ طلاؤه منذ مدة طويلة، والجدار عند المدخل لا يزال يحمل بُقَع سُخام ناجمة عن نار اندلعت في مستودع القُمامة. إنه الغسَق. كانت دَفقات الثلج الصباحية قد تحوّلت إلى عاصفة ثلجية، وعلقت السيارات في الطرقات، وأطلق مكتب الأرصاد الجوّية تحذيراً من ازدياد حالة الطقس سوءاً في ذلك المساء. لقد ذهب سيغوردور أولي بأفكاره إلى بيرجثورا. لم تتصل به طوال اليوم. كانت قد ذهبت إلى عملها عندما استيقظ عند انبلاج الفجر، وبقي مستلقياً بمفرده يفكّر.

وأصدر «الأنترفون» طقطقة.

«آلو؟». سمع صوتاً يقول.

فعرّف سيغوردور أولي بنفسه، شارحاً أنه من الشرطة.

وساد الصمت في الجهة الأخرى.

«ماذا تريد؟». سأل الصوت أخيراً.

«أريدك أن تفتح الباب». قال سيغوردور أولي ضارباً قدمَيه بالأرض.

ومرّت لحظات طويلة قبل أن يُحدث القفل طقّة، ويدخل سيغوردور أولي الرَّدهة. صعد إلى فسحة الدرَج حيث يُقيم الشخص الذي تحدّث إليه، وقرع الباب. وحين فتح الباب، ألقى فتى في الخامسة عشرة من عمره تقريباً نظرة خادِعة إلى الممر.

«هل أنت أَنتون؟». سأل سيغوردور أولي.

«أجل». قال الفتى.

لقد بدا في صحة جيدة إذا أخذنا الظروف بعين الاعتبار؛ كان يرتدي ملابس جيدة، وعلى خدَّيه بعض التورّد. ولاحظ سيغوردور أولي انبثاق رائحة بيتزا من داخل الشقة. وعندما ألقى نظرة إلى الداخل، رأى معطفاً معلَّقاً على كرسي، وعلبةَ بيتزا مفتوحة فُقدت منها شريحة. كان قد أُبلغ أن أَنتون مريض، وأنه تغيّب عن المدرسة في الأيام القليلة الأخيرة.

«أتشعر بتحسن؟». سأل سيغوردور أولي، داخلاً الشقة بدون أية دعوة.

فتراجع الفتى إلى الوراء، فيما أغلق سيغوردور أولي الباب. ولاحظ أن

الفتى قد وفّر لنفسه كل أسباب الراحة أمام التلفاز؛ كالبيتزا، وشراب فوّار، وشريطَي فيديو أو ثلاثة. كان فيلم تشويق يُعرَض على الشاشة.

«ماذا يجري؟». سأل الفتى مذهولاً.

«خَدْش السيارة شيء يا أَنتون، وقتْل شخص شيءٌ آخر». قال سيغوردور أولي، متناولاً شريحة بيتزا «هل والدتك ووالدك في المنزل؟».

فهز الفتى رأسه.

«منذ عدة أيام، شوهدتَ وأنت تخدش سيارةً قرب هذا المكان». قال سيغوردور أولي، وقضم البيتزا، فيما كان يراقب الفتى أثناء مضغه.

«لم أخدش أية سيارة». قال أَنتون.

«من أين حصلتَ على السكين؟». سأل سيغوردور أولي. «ولا تكذب عليّ».

«أنا...». تردد أَنتون.

«أجل؟».

«لماذا قلت قتْل شخص؟».

«الفتى الآسيوي الصغير الذي طُعن، أعتقد أنك قمتَ بذلك أيضاً».

«لم أقُم بذلك».

«أنا واثق من قيامك بذلك».

«لم أفعل أي شيء». قال أَنتون.

«أين يمكنني العثور على والدتك؟». سأل سيغوردور أولي. «سيتوجب عليها مرافقتنا إلى مركز الشرطة».

حدّق أَنتون بارتباك بسيغوردور أولي الذي أنهى شريحة البيتزا بهدوء، وعاين الشقة كما لو أن لا صلة لأَنتون بالأمر. كانت طالبة الطب قد عرفت الفتى لدى رؤيتها صورة فوتوغرافية حديثة التُقطت لتلاميذ صفّه، وتعتقد أنه أحد الفتيَين اللذَين رأتهما خارج مجمَّع الشقق السكنية عندما تعرّضت سيارتها للخدش. لم تكن واثقة تماماً عندما عُرضت عليها صورة ثورفالدور - رفيقه في الصف - بالرغم من قولها إنه ربما يكون الفتى الآخر. كان كل شيء ضبابياً جداً لدرجة أن سيغوردور أولي لم يكن يملك وقائع تمكّنه من قرع جرس باب أَنتون، وقرر التصرف كما لو أنها قضية واضحة، وكل ما يتبقى فعله هو اصطحاب الصديقَين إلى مركز الشرطة كإجراء شكليّ ليس إلا. لقد نجح هذا التكتيك مع الفتى كما يبدو.

لم يكن سيغوردور أولي يملك الكثير من المعلومات بعد عن أَنتون وثورفالدور. كانا في الصف نفسه، ويقضيان الكثير من الوقت معاً، ويتورطان

في متاعب أحياناً مع المدرّسين وإداريّي المدرسة بسبب تعطيل نشاطات المدرسة؛ كما يُدعى تصرّفهما. لقد هاجما ذات مرة ناطوراً وفُصلا من المدرسة لمدة يومَين. هما شخصان نموذجيان عديما النَّفع ومسبّبان للمتاعب يقصدان المدرسة لا لشيء إلا لتعطيل الآخرين.

«أنا لم أطعن أحداً». قال أَنتون عندما ذكر سيغوردور أولي والدته ومركز الشرطة.

«اتصل بوالدتك». قال سيغوردور أولي. «اطلب منها أن تلتقينا في المركز».

وجد أَنتون أن سيغوردور أولي جادّاً للغاية. فهذا الشرطي يعتقد في الواقع أنه طعن الفتى الآسيوي. لقد حاول استيعاب الوضع الذي وجد نفسه فيه فجأةً، ولكنه لم يتمكن من فهمه. كانا قد خدشا عدداً قليلاً من السيارات؛ ربما خدش سيارة واحدة فقط، فيما قام دودي بخدش معظمها، وها قد أمسكوا بهما. ولكن الانطباع الذي تكوّن لدى الشرطي هو أنه هاجم الفتى وقتله. وقف أَنتون مرتعداً أمام سيغوردور أولي، متأمّلاً في خياراته. ستُجَنّ والدته إن عرفت بالأمر، فهي غالباً ما كانت تهدده بطرده من المنزل. نظر إلى الفيديو الذي استأجره، وإلى البيتزا المتجمّدة، وأكثر ما أسف له هو حرمانه من يوم هادئ أمام التلفاز.

«لم أفعل أي شيء». كرر.

«يمكنك قول ذلك لوالدتك». قال سيغوردور أولي. «لقد وشى بك رفيقك ثورفالدور على الفور، شاكياً وباكياً. قال إنك خدشت السيارات كلها، فيما رافقك فحسب».

«هل قال دوري ذلك؟».

«إنه الشخص الأكثر ضعفاً الذي صادفتُه يوماً». قال سيغوردور أولي؛ عِلماً أنه لم يقتفِ أثر ثورفالدور بعد.

وترنّح أَنتون أمامه.

«إنه يكذب، لا يمكن أن يكون قد قال ذلك».

«أجل، صحيح». قال سيغوردور أولي. «باستطاعتكما مناقشة الأمر معاً في المركز».

وتظاهر بالإمساك بذراع أَنتون واقتياده إلى الخارج، ولكن الفتى أفلت منه.

«لقد خدشتُ سيارة واحدة فقط. «دودي هو الذي خدش الأخرى. إنه يكذب!».

أطلق سيغوردور أولي تنهيدة عميقة.

«لم نفعل أي شيء لذلك الفتى». أضاف أَنتون كما لو أنه يوضح الأمر تماماً.

«أتعني أنت ورفيقك؟». قال سيغوردور أولي.

«دودي، أجل. إنه يكذب! هو من خدش السيارات».

وحان الوقت لتخفيف الضغط قليلاً، لذلك ابتعد سيغوردور أولي عن الفتى خطوة إلى الوراء.

«كم عدد السيارات إذاً؟».

«لا أعرف. عدد قليل».

«هل تعرف سيارة مدرّس اللغة الأيسلندية جارتان؟».

«أجل».

«هل خدشت سيارته خارج المدرسة؟».

فتردد أَنتون قبل أن يجيب.

«دودي قام بذلك. حتى إنني لم أعرف إلاّ لاحقاً حين أخبرني بالأمر. هو لا يُطيق جارتان. هل عِلمت أمي بهذا الأمر؟».

«بواسطة ماذا أحدثتَ الخدوش؟». سأل سيغوردور أولي متجاهلاً سؤاله.

«بواسطة سكين». قال أَنتون.

«أي نوع من السكاكين؟».

«كان سكين دودي».

«قال إنه سكينك». كذب سيغوردور أولي.

«كان سكينه».

«أي نوع من السكاكين؟».

«إنه مماثل لذلك الذي ظهر على التلفاز». قال أَنتون.

«على التلفاز!».

«ذلك الذي كانوا يعرضون صوراً له. إنه مماثل لسكيننا».

فقد سيغوردور أولي القدرة على الكلام، وحدّق بالفتى الذي فهم بالتدريج واقع أنه قال أمراً هاماً، وتساءل عما يمكن أن يكون. وعندما خطر بباله، كان الأمر أشبه بصفعة على الوجه. لم تتبادر هذه الفكرة إلى ذهنه من قَبل. بالتأكيد، إنه السكين نفسه! كان قد رأى صوراً له على التلفاز من دون إقامة أية صلة بين جريمة القتل والضرر الذي ألحقه مع دودي بعد قليل من السيارات أثناء توجههما إلى المدرسة. وشرع برؤية وضعه كجزء من أمر أشمل وأكثر جدّيّة.

أخرج سيغوردور أولي هاتفه.

«لم أفعل ذلك». قال أَنتون. «أُقسم».

«هل تعرف أين يوجد السكين الآن؟».

«إنه مع دودي. كان مع دودي منذ البداية».

راقب سيغوردور أولي الفتى أثناء انتظاره قيام إرلندور بالإجابة على الاتصال، ومن ثم ألقى نظرة على أرجاء الشقة الصغيرة، ملاحظاً كيف وفّر أَنتون لنفسه الراحة قبل أن يفاجئه.

«اتصل بوالدتك. «سترافقني. اطلب منها ملاقاتنا في مركز الشرطة».

«أجل». أجاب إرلندور على هاتفه.

«أعتقد أنني توصلت إلى شيء ما». قال سيغوردور أولي. «هل أنت في المركز؟».

«ما الذي حصلتَ عليه؟» سأل إرلندور.

«هل السكين هناك؟».

«أجل، ماذا ستفعل؟».

«أنا في طريقي إليك». قال سيغوردور أولي.

عندما وصل رجلا الشرطة لاصطحاب دودي بعد ساعة تقريباً، لم يكن في المنزل. لقد فتح رجلٌ في أوائل العقد الخامس من العمر البابَ لضابطَي الشرطة، ونظر إليهما من رأسَيهما إلى أخمص أقدامهما. وظهرت والدة دودي في المدخل أيضاً. لم يكونا يعرفان مكان وجود الفتى، وطالبا أن يتم إطلاعهما على الخطأ الذي ارتكبه. فقال الضابطان إنهما لا يعرفان، وإنهما أُرسلا فحسب لإحضاره إلى مركز الشرطة في هفرفيسغاتا مع وصيّ.

«بما أنه قاصر». أضاف أحدهما.

كان الضابطان ببِذلتَيهما الرسميّتَين، وجاءا بسيارة دَورية بهدف زرع الخوف في نفس دودي. وأثناء وقوفهما عند عتبة باب المنزل الصغير حيث يُقيم دودي، شارحَين الهدف من زيارتهما، صاح الرجل - الذي تبيّن أنه زوج أم الفتى - قائلاً إن دودي قد وصل!

«تعال إلى هنا! «يا دودي، تعال إلى هنا!».

كان الفتى يستدير عند زاوية منزل قريب، سالكاً ممر مشاةٍ يخترق المنطقة، عندما تسمّر في مكانه لدى سماعه نداء زوج أمه، ومن ثم رأى سيارة الشرطة، والضابطَين ينظران في اتجاهه، ورأسَ والدته الممدود نحو الخارج. لقد تطلّب منه الأمر لحظات قليلة لفهم الوضع، وفكّر في الهرب ولكنه تيقّن من أنه لا جدوى من ذلك.

بعد استجواب دام نحو ثلاث ساعات، اعترف دودي أخيراً لسيغوردور أولي بأنه سرق سكين نَحت من المدرسة، واستخدمه لخَدش بعض السيارات التي مرّ برفقة صديقه أَنتون بجانبها أثناء توجههما إلى المدرسة. ولكن الفتَيين نفيا بشكل مُطلَق لمسهما إلياس، مدّعيَين أنهما لم يكونا يعرفانه، ولا فكرة لديهما عمن قتله. كان قد مرّ أكثر من أسبوع على مقتله عندما خدشا السيارة العائدة للشابة التي رأياها تندفع راكضة إلى داخل مجمّع شققها السكنية، تاركةً المحرك يعمل. لم يُدركا أنها رأتهما. في بادئ الأمر، أرادا سرقة السيارة لأنها قُدّمت لهما على طبَق من فضة بسبب ترك محركها مُداراً، ولكن عندما حان وقت العمل عزفا عن القيام بذلك. فسار دودي بجانبها، خادشاً السطح المَدهون برأس السكين المستدق، ومن ثم ركضا واختبآ. كانت تلك هي المرة الأولى التي يريان فيها مالكة إحدى السيارات التي خدشاها، وقد رفع هذا الأمر مستوى الأدرينالين في دمهما. لقد انتظرا خروج المرأة ثانيةً بهدف التحقق من رد فعلها عندما ترى الخدش. وسرعان ما اندفعت خارج المنزل ثانيةً، وفتحت باب السيارة، ولكنها تسمّرت في مكانها عندما رأت الخدش على امتداد هيكل السيارة، فانحنت لتنظر إليها عن كثب، ومن ثم ألقت نظرة على أرجاء المكان، وتوجهت إلى مرأب السيارات وأمعنت النظر في كل الاتجاهات قبل أن تلقي نظرة مضطربة على ساعتها، وتعود إلى سيارتها وتنطلق.

كان السكين الذي عُثر عليه في مستودع إعادة التدوير في علبةٍ في غرفةِ المقابلات، فعرفه دودي على الفور. وأكد الأخصائي في عِلم الأمراض التابع للشرطة أنه ربما يكون سلاح الجريمة أيضاً.

كانت إيلينبورغ في غرفة مقابلات أخرى مع أَنتون. لقد ثَبت أن إفادات الفتى مطابقة بكل التفاصيل الرئيسة. فدودي هو من سرق السكين، وكان صاحب المبادرة المتمثلة بإشباع رغبتهما في التسبب بأضرار.

«كيف وصل سكين النَّحت إلى صندوق إعادة التدوير؟». سألت إيلينبورغ أَنتون الذي كان متعاوناً إلى أبعد حدود منذ وصوله إلى مركز الشرطة.

«لا أعرف». أجاب أَنتون.

«هل استعملته للاعتداء على إلياس؟».

«لا». قال أَنتون. «لم ألمسه».

«لماذا رميت السكين؟».

«لم أرمِه».

«ماذا عن رفيقك، دودي؟».
«لا أعرف. كان آخر من حمل السكين».
«يقول إنه كان معك».
«إنه يكذب».
«هل تعرف أن السكين استُخدم لقتل إلياس؟».
«لا».
«هل تعرف نيران، شقيق إلياس؟».
«لا، على الإطلاق. باستثناء أنه في مدرستي، أنا لا أعرفه، ولا أعرف شيئاً عنه البتة».
في غرفة المقابلات الأخرى، طُرحت أسئلة مماثلة على دودي الذي ادّعى أن أَنتون هو آخر من حمل السكين.
«منذ كم من الوقت أخذتَ السكين من ورشة عمل النِّجارة؟». سأل سيغوردور أولي.
«منذ عشرة أيام أو...» وفكّر دودي. «أجل، شيء من هذا القَبيل. حدث ذلك بعد عُطلة 25 كانون الأول مباشَرةً».
«أين رأيت السكين في المرة الأخيرة؟».
«لقد أخذه معه أَنتون إلى المنزل».
«يقول إنه كان معك».
«إنه يكذب».
«هل تعرف من كان إلياس؟».
«أجل».
«هل كنت تعرفه؟».
«لا. لا، على الإطلاق».
«هل طعنته حتى الموت؟».
«لا».
«هل طعنته حتى الموت بالسكين الذي سرقتَه من ورشة عمل النِّجارة؟».
«لا. لم أفعل أي شيء».
«لماذا خدشت تلك السيارات؟».
«لا أعرف».
«لا تعرف؟!».
«كنا نشعر بالسأم».

في الغرفة الأخرى، حدّقت إيلينبورغ بأَنتون لمدة طويلة من دون قول أية كلمة، ومن ثم وقفت. كانت جالسة بدون حراك لمدة طويلة من الزمن، فآلمها جسمها بأكمله. اتكأت على الجدار وشبكت ذراعيها.

«أين كنت عندما تمّ الاعتداء على إلياس؟». سألت.

لم يتمكن أَنتون من إعطاء جواب واضح عن مكان وجوده. ففي بادئ الأمر، قال إنه عاد من المدرسة إلى المنزل مباشَرةً. ومن ثم، تذكر فجأةً أنه قصد متجر ألعاب الكمبيوتر مع دودي.

«ستوجَّه لكلَيكما تهمة قتل إلياس». قالت إيلينبورغ. «كنت تملك السكين، لقد قتلته».

«لم أفعل». قال أَنتون.

«ماذا عن صديقك؟».

«يستحيل أن يكون قد قام بذلك».

«ما هو موقفك من المهاجرين الأجانب؛ الأشخاص ملوّني البشرة؟».

«لا أعرف».

تردد دودي عندما طُرح عليه السؤال نفسه، فكرّر سيغوردور أولي السؤال، ولكن دودي حدّق به فحسب من دون أن يجيبه. فسأله سيغوردور أولي للمرة الثالثة.

«لا موقف لي منهم». قال دودي أخيراً. «لا أفكّر فيهم أبداً».

«هل هاجمتَ أي أطفالٍ مهاجرين؟».

«لا، أبداً». قال دودي.

لم يسبق له أن تورّط في متاعب مع القانون، وكذلك أنتون. فوالدة أَنتون تربّي ولديها بمفردها، وتناضل كي لا تتخطى في إنفاقها حدود أَجرها المنخفض. فلأنتون أخ غير شقيق في الثالثة من عمره، ويرى والده لمدة وجيزة مرةً واحدة في الشهر تقريباً. ولدودي شقيقان وأخت غير شقيقة. لقد أخبرهما أن والده - الذي لا صلة له به - مراقبُ عمال في مشروع سَدّ كارانجوكار.

«لماذا اعتديتَ على إلياس؟». سأل سيغوردور أولي.

«لم أعتدِ عليه».

«سنوجّه لك تهمة قتل إلياس». قال سيغوردور أولي. «لا خيار آخر لدينا».

فحدّق به دودي، واتضح من تعابير وجهه أنه فهم تماماً المعاني الضمنية لما قاله سيغوردور أولي. كان الفتى صلب العود. طالما استجوب

سيغوردور أولي مراهقين لم يقدّموا معلومات عن أي شيء أو أي شخص، وكانوا يجيبون بوقاحة وقهقهات ازدراء، لا بل بتهديدات للشرطة أيضاً. لقد شعر بأن دودي لم يبلغ هذه المرحلة بعد؛ فهو شخص يجيد مواجهة الصعاب. وخَدْش السيارات عمل أخرق لا أكثر، أقلّه في الوقت الحاضر.

«لقد وهب السكين». قال دودي.

«وهبه! مَن؟».

«أنا سرقته، ولكن أَنتون هو آخر من احتفظ به، ولقد وهبه. لم أكن أعرف أنه استُخدم في عملية القتل. وأنا واثق من أنه لم يقم بذلك أيضاً.

كانت إيلينبورغ لا تزال متكئة على الجدار، مكتوفة اليدَين، عندما دخل سيغوردور أولي إلى غرفة المقابلات. فجلس أمام أَنتون، وحدّق به لمدة طويلة من دون قول أية كلمة، وعزفت إيلينبورغ عن طرح أية أسئلة. عندها، شعر أَنتون بالاضطراب، وتلوّى في كرسيّه، مثبّتاً نظره على سيغوردور أولي وإيلينبورغ بالتتابع. كان شديد القلق.

«هل تعرف فتى يدعى هالور؟». سأل سيغوردور أولي.

كانت إيلينبورغ تهمّ بمغادرة غرفة المقابلات عندما رنّ هاتفها المحمول. لقد تطلّب منها الأمر بعض الوقت لاكتشاف هويّة المتصل، ولكن تبادرت إلى ذهنها أخيراً صورة ربطة العُنُق المزخرَفة لرجل العلاقات العامة في شركة التأمين التي كان أحدهم يُجري منها اتصالات بسوني.

«كنت منشغلاً بإجراء تحقيق كبير لصالحك». قال رجل العلاقات العامة برزانة.

«حقاً؟!». قالت إيلينبورغ.

«أجل، حقاً. لقد تحدثت إلى عدد من الأشخاص هنا في الشركة، وبشكل سرّي بالطبع، وليس أيٌّ منهم على علاقة بتلك المرأة بحسب معلوماتي».

«حقاً؟!».

«لا. على الأقل، لا يمكن تأكيد أي شيء».

«ماذا عن الأمور التي لا يمكن تأكيدها؟».

«حسناً، هناك شائعات عن رجل واحد».

«أجل؟».

«لا أعرفه. هو في أواخر العقد الخامس من العمر، وقد عمل في قسم المطالَبات طوال سنوات. تقول الفتيات إنه يواعد امرأة آسيوية».

«أية فتيات؟».

«مندوبات قسم خدمة الزبائن. لقد رأته إحداهنّ في مطعم منذ شهر تقريباً. كان برفقة إحدى أولئك النساء».

«أي نساء؟».

«تايلانديات، ربما».

«هل تحدثتَ إليه؟».

«لا».

«جيد. ما اسمه؟».

«تريد الفتيات أن يعرفنَ إذا كان بطريقة ما على صِلة بوالدة الفتى الذي مات».

«اطلب منهنّ الاهتمام بشؤونهنّ!».

26

قاد إرلندور ببطء أمام المنزل، وركن السيارة بعد مروره بعدد من المنازل، ثم خرج منها، وسار إلى المنزل بدون استعجال، ناظراً حَوله بحذر. لقد رأى نقطة الالتقاء مع ستيريماناستيغور، والمبنى الخشبي الكبير الذي كان ذات مرة كلّية سيمان التي تحمل الطريق اسمها. كان موظف شركة التأمين يعيش في منزل خشبي جميل مزيَّن بحديد مضلَّع. لقد خضع للترميم على نحو جيد، وهذا ما لاحظه إرلندور أثناء وقوفه في البَرْد، متفحّصاً المنزل بعناية؛ فالأنوار مضاءة في نافذتَين. كان الشارع هادئاً، وخشي إرلندور أن يلفت الانتباه أثناء مشيه الهُوَينا ذهاباً وإياباً. أراد مواصلة عمله باحتراس.

كان الوقت متأخراً، والثلج يتساقط، والريح تتسارع، وهناك توقع بهبوب عاصفة ثلجية كبيرة. وحذّرت الإذاعة الناس من عدم ترك أي شيء في الخارج غير مثبَّت بإحكام، وطلبت منهم تجنُّب الخروج إلا عند الضرورة القصوى. كانت الطرقات قد أُغلقت في المناطق الريفية غداة العاصفة المتوجهة نحو المدينة.

كان إرلندور لا يزال يفكر في هوية المرأة التي اتصلت به، وفي سبب اتصالها. ولم يتمكن من التوصل إلى أي شيء، وأمل أن تعمد إلى الاتصال به مرة إضافية واحدة. يجب عليها أن تمنحه فرصة أخرى. كان يَعي أنه من غير المحتمل حدوث ذلك، ولكنه يعرف على الأقل أن خطوته التالية مرتبطة باتصالها به.

كان على وشك عبور الطريق المؤدي إلى المنزل عندما فُتح باب الطابق السفلي، وظهر شكل بشري في إطار النور المستطيل. إنه صغير جداً، واعتقد إرلندور أنه ربما يكون نيران. لم يتمكن من رؤية وجهه الذي بدا مخبّأً بشيء ما، وكان يرتدي سترة جلدية قصيرة ويعتمر قبعة بيسبول ذات حافة ناتئة كبيرة. أَغلق الشخص الباب بعناية، وسلك الشارعَ في اتجاه وسط المدينة، فتبعه إرلندور غير واثق من خطوته التالية. ولاحظ أن الشكل البشري يضع لِفاعاً ملفوفاً حول وجهه، ولا يمكن رؤية أي شيء سوى عينَيه، ويحمل شيئاً ما لم يتمكن إرلندور من رؤيته.

أحنى الشكل البشري رأسه، وسار في اتجاه وسط المدينة مباشَرةً. إنه مساء السبت، والنوادي والمطاعم مفتوحة وفيها عدد من الأشخاص. فضّ الشكل البشري ما يحمله، كاشفاً عن كيس كبير. دنا من سلّة مُهمَلات

ونظر إلى داخلها، ثم نقّب فيها لمدة وجيزة، وبعد ذلك واصل السير. لقد اختفت داخل الكيس قارورتا شراب كانتا تحت مقعد، ومن ثم انتقل الشكل البشري إلى سلّة المُهملات التالية. فالشكل البشري يجمع قناني وصفائح مستعمَلة، ويتحرك بصمت وتصميم كما لو أنه قام بهذا الأمر مرات عدة من قَبل من دون أن يلاحظه المارّة.

تبعه في وسط المدينة لبعض الوقت، وسرعان ما امتلأ الكيس. انتقل إرلندور إلى متجر في إحدى الزوايا، ودخله، واشترى قارورتي شراب. وعندما خرج ثانيةً، أفرغ محتوياتهما في قناة الصرف الصحي، وسار بعد ذلك في اتجاه الشكل البشري الذي كان قد توقف بجانب سلّة مُهمَلات في زقاق صغير على مقربة من ساحة أوستورفولور.

«خذ هاتين». قال إرلندور حاملاً القارورتين.

فنظر الشكل البشري إليه بذُهول، واللِّفاع يغطي وجهه تماماً، وقبعة البيسبول مسحوبة فوق عينَيه. قَبِل الشكل البشري القارورتين بتردد، ووضعهما في الكيس، وهمّ على الفور بمواصلة عمله من دون قول أية كلمة.

«أُدعى إرلندور، هل يمكنني التحدث إليك للحظات؟».

فوقف الشكل البشري ونظر إلى إرلندور مدقّقاً.

«أريد التحدث إليك فقط، إذا لم تكن تمانع». قال إرلندور.

فتراجع الشكل البشري إلى الوراء من دون أن يجيب.

«لا تقلق». قال إرلندور، مقترباً منه.

شعر الشكل البشري بالتوتر وهمّ بالفرار، ولكنه لم يرغب في التخلي - كما يبدو - عن الكيس المليء جزئياً بالقناني والصفائح؛ مما منح إرلندور فرصةً للإمساك بسترته. فحاول الشكل البشري ضربه بالكيس والإفلات منه، ولكن إرلندور أحكم الإمساك به بكلتا يدَيه، وناضل الشكل البشري للإفلات من دون جدوى. فكلّمه إرلندور بطريقة مطمْئنة.

«أحاول مساعدتك». أنا بحاجة للتحدث إليك. هل تفهم؟».

لم يلقَ أي جواب. وحاول الشكل البشري بكل قواه التحرر، ولكن قوة إرلندور حالت دون فراره.

«هل تفهم اللغة الأيسلندية؟».

لم يُجب الشكل البشري.

«لا أريد منك القيام بأي عمل غبيّ. أريد مساعدتك».

لا جواب.

«سأُفلتك. «لا تهرب. أريد التحدث إليك».

أرخى قبضته تدريجيّاً، وتمكن الشكل البشري من الإفلات أخيراً ولاذَ بالفرار على الفور. فطارده إرلندور قليلاً، ورآه يركض عبر الساحة. أثناء مراقبته إيّاه متسائلاً عما إذا كان يملك أية فرصة للّحاق به، بدأ ذلك الشخص يتباطأ، وتوقف أخيراً تحت تمثال لبطل الاستقلال، جون سيغوردسون. ثم التفت ونظر إلى إرلندور الواقف بدون حِراك، منتظراً ما سيحدث. ومرّ وقت طويل قبل أن يشرع الشكل البشري أخيراً بالعودة إليه ببطء.

في طريقه، خلع قبعة البيسبول كاشفاً عن شعر كَثّ أسود. وعندما وصل إليه، فكّ اللِّفاع عن وجهه ليتمكن إرلندور من معرفته.

كان هالور جالساً بين والدَيه ويُصرّ على عدم معرفته أي شيء عن سكين نَحت الخشب الذي ادّعى أَنتون إعطاءه إيّاه. لقد عثرت الشرطة على اسمه وعنوانه الكاملَين في سجل المدرسة. كان على معرفة بدودي وأَنتون لأنهما في مثل سنّه، ولكنهما في صف مختلف. ولكنه لم يكن يعرفهما جيداً لأنه حديث العهد في هذه الناحية من المدينة. فقد انتقلت عائلته إلى المنطقة منذ نحو ستة أشهر. وهالور ابن وحيد. وهو قصير القامة، وذو شعر طويل قاتم يغطّي عينَيه. كان يهزّ رأسه تكراراً كلما أعاق شعرُه بصرَه، وينظر بهدوء وبعينَين واسعتَين إلى سيغوردور أولي وإيلينبورغ بالتتابع.

كان والداه مِضيافَين جداً، ولم يتضايقا مطلقاً من تعرّضهما للإزعاج من قِبل سيغوردور أولي وإيلينبورغ في ذلك الوقت المتأخر من المساء. فتبادلوا أطراف الحديث حول الطقس المجنون المرتقَب، وقدّمت الوالدة القهوة للمحققَين. هم يقيمون في منزل منفصل من طابقَين.

«أفترض أنكما تتحدثان إلى الكثير من تلاميذ المدرسة في شأن تلك القضية المروِّعة. هل توصلتما إلى شيء في استعلاماتكما؟».

كان الوالد ينظر إليهما بصمت.

«نحقق بعض التقدم». قالت إيلينبورغ ناظرةً إلى هالور.

«اعتقدنا أنكما ستمرّان بنا ربّما. ألا تتحدثان إلى كل الصغار في المدرسة؟ هل تعرف أي شيء عن ذلك السكين يا عزيزي هالور؟». سألت ابنها.

«لا». قال هالور للمرة الثانية.

«لم أرَه مطلقاً يحمل سكيناً». قالت الأم، ثم تابعت: «لا يمكنني أن أصدّق أن أحدهم أخبركما بأن هالور يمتلك ذلك السكين. أنا... الأمر صادم

نوعاً ما عندما تفكران في ذلك. أعني، يمكن للناس إلقاء تُهَم مماثلة من دون تفكير، ألا تعتقدان ذلك؟».

ونظرت إلى إيلينبورغ كما لو أنه يُفترض بالنساء التضامن.

«مع ذلك، ليس الأمر أسوأ من تعرّض ابنك للطعن حتى الموت». قالت إيلينبورغ.

«لا سبب يدعونا لعدم تصديق شهادة الفتيَين اللذين أخبرانا بذلك». قال سيغوردور أولي.

«هل تعرف أي شيء عن هذَين الفتيَين؛ دودي وأَنتون؟». سألت المرأة زوجها. «لم يسبق لي أن سمعت بهما. ينبغي علينا أن نعرف كل أصدقاء هالور».

«ليسا صديقَيه». قال سيغوردور أولي، «عِلماً أن أحدهما، أَنتون، يريد أن يكون صديقه. لهذا السبب أعطى هالور السكين، وتلكأ في إطلاعنا على الأمر لأطول مدة ممكنة. أليس هذا صحيحاً؟». سأل سيغوردور أولي، ناظراً إلى هالور.

«لا أعرف أَنتون حقاً». قال هالور. «لا أعرف العديد من الأشخاص في المدرسة».

«هو هناك منذ الخريف ليس إلا؛ منذ انتقالنا». قالت والدته.

«انتقلتم! متى؟ في الصيف الماضي؟».

«أجل». أجابت الوالدة.

«كيف تجري الأمور في مدرستك؟». سألت إيلينبورغ.

«في الواقع... بشكل جيد».

«ولكن، لا أصدقاء لك البتة هناك، أليس كذلك؟».

وساد الصمت.

«هو يتكيّف بشكل جيد». قالت المرأة أخيراً، ناظرةً إلى زوجها الذي لم يكن قد شارك في الحديث بعد.

«هل غيّرتَ المدارس بشكل متكرر؟». سأل سيغوردور أولي.

فنظر هالور إلى والدته.

«ثلاث مرات تقريباً».

«ولكننا سنبقى حيث نحن هذه المرة». أضافت المرأة رامقةً زوجها بنظرة أخرى.

«قال أَنتون إنك كنت برِفقة فتى آخر عندما التقاك وأعطاك السكين». قال سيغوردور أولي. «لم يعرفه أَنتون، وقال إنه ليس تلميذاً في المدرسة.

من ذلك الفتى؟».

«لم يُعطني أي سكين». قال هالور. «إنه يكذب».

«هل أنت واثق؟». سألت إيلينبورغ.

لقد اعترف أَنتون أثناء الاستجواب بإعطائه السكين لهالور الذي كان برفقة فتى لم يسبق له أن رآه. فهالور جديد في المدرسة ويبقى بعيداً عن الأنظار، عِلماً أن أَنتون قال إنه قصد ذلك المنزل الكبير لرؤيته. ووفقاً لأَنتون، كان هالور يتكلم عن والدَيه بصراحة، واصفاً والدته بالمتعجرفة الفظيعة التي تتدخل باستمرار، وبأنها مهووسة تماماً بحب السيطرة. ويواجه والداه صعوبات مالية على الدوام؛ لقد تم استرداد منزلهم ذات مرة، ولكن هذا الأمر لم يمنعهم من العيش ببعض الرفاهية. ولهالور أكبر مجموعة من ألعاب الكمبيوتر رآها أَنتون يوماً.

لم يكن يعرف سبب رغبة هالور في السكين؛ إلا لأنه مسروق ربما. لقد رآه هالور وهو يحمله، وعندما أخبره أَنتون أن دودي قد سرقه من ورشة عمل النِّجارة، أصبح هالور فجأةً متلهّفاً لامتلاكه. التقوا في منزل أَنتون، واصطحب هالور معه فتى آخر في مثل سنّه، ولكن أَنتون لم يكن يعرف اسمه.

«ذهبتَ إلى منزل أَنتون، وأعطيتَه لعبة فيما أعطاك السكين».

«إنها كِذبة». قال هالور.

«كان هناك فتى معك حين ذهبت إلى منزل أَنتون». قالت إيلينبورغ. «من كان؟».

«كان ابن خالي معي».

«ما اسمه؟».

«غوستي».

«متى حدث ذلك؟».

«لا أذكر، منذ عدة أيام».

«يدعى آغوست، هو ابن شقيقي». قالت المرأة. «يقضي وهالور الكثير من الوقت معاً».

فدوّن سيغوردور أولي الاسم.

«لا أعرف سبب ادّعاء أَنتون أنه أعطاني السكين». قال هالور. «ولكنه يكذب. إنه سكينه، وهو يحاول تلفيق اتهام باطل لي».

«لماذا؟».

«لا أعرف».

«هل يمكنك أن تخبرنا أين كنت بعد ظهر يوم الثلاثاء الماضي عندما طُعن إلياس؟». سألت إيلينبورغ.

«هل هذا ضروري حقاً؟». سأل والد هالور. «أنتما تتحدثان إليه كما لو أنه قام بأمر خاطئ».

«نحن نتحقق فقط من مدى إمكانية الوثوق بإفادة الشاهد التي تقدّم بها، لا أكثر». قالت إيلينبورغ من دون أن ترفع نظرها عن هالور. «أين كنت؟».

«كان في المنزل». قالت المرأة. «كان نائماً في غرفته. لقد أنهى دوامه المدرسي عند الواحدة ونام حتى الرابعة. كان في المنزل».

«هل هذا صحيح؟». سألت إيلينبورغ الفتى.

«أجل».

«تنام كثيراً في النهار، أليس كذلك؟».

«أحياناً».

«لا نتمكن أبداً من إقناعه بالخلود إلى النوم مساءً». قالت والدته. «فهو يبقى مستيقظاً طوال الليل. ويكاد يكون نومه في النهار أمراً مثيراً للدهشة».

«ألا تخرجين للعمل؟». سألت إيلينبورغ مخاطبةً الوالدة.

«أعمل نصف نهار فقط». في الصباح».

عندما رفع الشكل البشري اللِّفاع، وجد إرلندور نفسه وجهاً لوجه مع فيروت، شقيق سوني. كان لا يزال يحمل الكيس.

«أنت!» قال إرلندور.

«كيف عثرتَ عليّ؟». سأل فيروت.

«أنا... ماذا تفعل خارجاً في هذا الطقس؟».

«هل كنت تتبعني؟».

«أجل». قال إرلندور. «هل تجمع الصفائح؟».

«إنها تعود عليّ بقليل من المال».

«أين نيران؟». سأل إرلندور. «هل تعرف؟».

«نيران بخير». قال فيروت.

«هل تعرف أين هو؟».

فلزم فيروت الصمت.

«هل تعرف مكان وجود نيران؟».

نظر فيروت إلى إرلندور لمدة طويلة، ومن ثم أومأ برأسه.

«لماذا تخبّئه؟». سأل إرلندور. «أنت تزيد الأمور سوءاً. كنا قد بدأنا بالاعتقاد أنه اعتدى على شقيقه، وما قمتما به يدعم الفكرة ليس إلا؛ عندما أبعدتماه على هذا النحو وخبّأتماه».

«الأمر ليس كما تعتقد». قال فيروت. «لم يفعل أي شيء لإلياس».

«علينا التحدث إليه». قال إرلندور. «أعرف أنكما تحاولان حمايته، ولكن الأمر تخطى الحدود. لن تستفيدا شيئاً بإبقائه مخبّأً».

«لم يعتدِ على إلياس».

«إذاً ماذا؟ لِمَ تخفيانه على هذا النحو؟».

لم يتكلم فيروت.

«أَجبني». أمره إرلندور. «ماذا كنت تفعل في منزل صديق شقيقتك؟».

«أزوره».

«هل نيران معه؟». سأل إرلندور.

لم يُجب فيروت، فكرر إرلندور سؤاله. وهبّت عليهما ريح قارسة في الزقاق، وخطر ببال إرلندور أن فيروت يتجمد بَرداً. كان حذاؤه الرياضي الخفيف مبلَّلاً بالماء، وكان يرتدي سروال جينز فقط، وسترة جلدية قصيرة ورقيقة، ويضع لِفاعاً، إضافةً إلى قبّعة بيسبول. شاعراً بأن فيروت يرتعد، طرح إرلندور السؤال للمرة الثالثة.

«عليك أن تثق بي، سوف نحرص على ألا يحدث شيء لنيران».

فنظر فيروت إليه لمدة طويلة؛ كما لو أنه يفكر مليّاً في ما يتعيّن عليه القيام به، وما إذا كان بإمكانه الوثوق به. أخيراً، اتخذ قراره كما يبدو.

«تعال، تعال معي».

27

رنّ الهاتف المحمول في جَيب إرلندور. إنها إيلينبورغ، وهي تتصل لتخبره عن اللقاء مع هالور ووالدَيه. فطلب منها إرلندور الاتصال به في وقت لاحق، وقالت إيلينبورغ إنها ستذهب بعد ذلك مع سيغوردور أولي لزيارة آغوست ابن خال هالور الذي ربما يكون قادراً على تزويدهما ببعض الإجابات عن السكين. وأنهيا المكالمة الهاتفية.

أعاد إرلندور الهاتف إلى جَيب معطفه.

«أين نيران الآن؟» سأل.

«إنه مع جوهان»، قال فيروت.

«حيث كنتَ منذ قليل؟».

«أجل».

«هل جوهان معه؟».

«أجل».

في طريقهما إلى المنزل، أخبره فيروت عن جوهان الذي التقته سوني في الخريف الماضي. هما يريان بعضهما مذاك الحين، ولكن جوهان كان متردداً جداً، وأراد للأمور أن تسير ببطء. فهو مطلَّق، ولا أولاد له.

«هل يخططان للعيش معاً؟ أعني سوني وجوهان؟». سأل إرلندور.

«ربما. أعتقد أنهما سيتزوجان».

«ونيران؟».

«جوهان يساعد نيران؛ إذ تقوم سوني باصطحابه إليه».

«لماذا؟».

«ساعد جوهان نيران الذي كان غاضباً جداً ويصعب التعامل معه جداً. بعد ذلك، حدث الأمر».

كان والدا ابن خال هالور، آغوست، يشاهدان ما يجري أثناء قيام إيلينبورغ باستجواب ابنهما. وكانت الوالدة تشهق، فيما يقفز الوالد على قدمَيه من شدة التأثر عندما تسأل إيلينبورغ الفتى مباشَرةً عما إذا كان قد قتل إلياس. لقد أجاب آغوست عن كل الأسئلة على غرار هالور، وكانت روايتاهما متطابقتين بكل تفاصيلهما الرئيسة. لم يتلقَّ آغوست أو هالور أي سكين من أَنتون. وقال آغوست إنه التقى أَنتون في تلك المناسبة فقط في منزله، ولم يتمكن من تفسير سبب ادعاء الفتى بأنه بادل لعبة كمبيوتر بسكين لنَحت الخشب. فهو لم يكن يعرفه على الإطلاق.

كان آغوست يرتاد مدرسة مختلفة عن مدرسة ابن عمّته هالور، ولكن ظروفهما متشابهة جداً. فوالدا آغوست لا ينقصهما المال كما يبدو؛ إذ يُقيمون في منزل منفصل جذّاب، ويملكون سيارتَين مركونتَين خارج المرأب.

«هل تعرف فتى يدعى نيران في مدرسة ابن عمتك؟». سأل سيغوردور أولي.

فهز آغوست رأسه. وعلى غرار هالور، بدا غير منزعج من زيارة الشرطة، وأعطى انطباعاً بأنه مهذّب وتلقّى تربية جيدة. هو ابن وحيد، وتبيّن أنه وهالور أشبه بشقيقَين ويتسكعان معاً على الدوام. لقد أظهر بحث سريع قام به المحققون أنه لم يواجه متاعب مع القانون مطلقاً.

«هل كنت تعرف شقيقه إلياس؟».

هز آغوست رأسه ثانيةً.

«أين كنتَ عندما ارتُكبت جريمة القتل؟».

«كان مع والده في هافرافاتن». قالت الوالدة. «نملك كوخاً صيفياً بجانب البحيرة».

«هل تذهبون إلى هناك في منتصف الأسبوع بشكل متكرر؟». سألت إيلينبورغ ناظرةً إلى الوالد، فأجابها:

«نذهب إلى هناك كلما رغبنا في ذلك».

«وهل كنتما هناك طوال اليوم؟».

«حتى المساء». قال الوالد. « كنّا نرمّم موقِداً قديماً في الكوخ. هل تقولين لي إنك أتيتِ إلى هنا في وقت متأخر من الليل، ووسط عاصفة ثلجية، لتطرحي عليّ سلسلة من الأسئلة بالغة السخف، اعتماداً على مجموعة من الأكاذيب التي أطلقها يافعان؟».

«هذا هو الغريب في الأمر». قال سيغوردور أولي. «لماذا يكذبان في شأن هالور وآغوست، وهما لا يعرفانهما؟».

«أليس هذا أمراً يُفترض بك التحقق منه؟ إنه أمر فظيع أن تأتي إلى هنا وتزعج الفتى ليلاً بأسئلة سخيفة؛ إنطلاقاً من معلومات قدّمها بعض اليافعين الذين يحاولون إبعاد أنفسهم عن المتاعب، كما يبدو لي».

«ربما». قالت إيلينبورغ. «ولكننا نقوم بعملنا ليس إلا. أنت مرحَّب بك للاحتجاج لدى رؤسائنا».

«ربما سأقوم بذلك».

«هل تريد مني إجراء الاتصال لك؟».

«كفى يا أوتار». قالت زوجته.

«لا، أنا جدّي». قال الرجل. «هذا التصرف فظيع».

فأخرجت إيلينبورغ هاتفها المحمول. كان يوماً طويلاً، وشعرت بأنها مستعدة لتقديم أي شيء مقابل العودة إلى المنزل. كان باستطاعتها مكالمة سيغوردور أولي والاتفاق معه على العودة في الصباح معتذرةً مرة ثانية، ولكن هذا الرجل يزعجها بشكل جدّي. فكل ما يقوله صحيح، ولكنه يتعمّد استفزازها وإثارة أعصابها. وقبل أن تَعي ما تفعله، اختارت رقم إرلندور وسلّمت الرجلَ الهاتف.

«إنه الرجل الذي تريد مكالمته». قالت.

á á á

دنا إرلندور من المنزل مع فيروت. لقد تطلب منهما الأمر عشر دقائق سَيراً على الأقدام من وسط المدينة. ضغط فيروت على الجرس، ففتح الباب، وظهر رجل افترض إرلندور أنه جوهان، وقد بدا منزعجاً، وشرع بالتحدث إلى فيروت بعَجَلة. لم يلاحظ وجود إرلندور في بادئ الأمر، ولكن عندما تقدّم، أجفل الرجل وحدّق بهما بالتتابع.

«هل أنت من الشرطة؟». سأل رامقاً إرلندور بنظرة ارتياب.

فأومأ إرلندور برأسه.

«أنت جوهان، أليس كذلك؟».

«أجل».

«ماذا يجري هنا؟».

«أرادت سوني أن يجري الأمر بهذه الطريقة. أحاول مساعدتها».

«أين نيران؟» سأل فيروت.

«نيران اختفى»، قال جوهان.

«هل تعرف إلى أين ذهب؟». سأل إرلندور.

«لا».

«ربما ذهب إلى المنزل؟» اقترح إرلندور.

«لا، اتصلتُ بسوني». قال جوهان. «إنها قلقة بشكلٍ يائس».

«أين يمكن أن يكون قد ذهب؟».

«يستحيل معرفة ذلك. كان مهتاجاً اليوم أكثر من المعتاد. هو في حالة سيئة، إذ يشعر بأنه كان يُفترض به الاعتناء بإلياس بشكل أفضل».

«متى غادر؟».

«لم أسمعه يخرج».

تقدّم جوهان إرلندور إلى المطبخ.

«منذ خمس عشرة دقيقة أو عشرين دقيقة على الأكثر. كان يتعيّن عليّ الذهاب إلى المتجر، وعندما عدت لم أجده».

كان القلق بادياً على وجه جوهان. هو متوسط الطول، وأشقر الشعر، ونحيل، يرتدي قميص جينز أزرق وسروالاً أسود، ولديه لحية مرتَّبة يواصل تمرير أصابعه عليها بدءاً من فمه ووصولاً نحو الأسفل.

«سمعتُ في العمل أن الشرطة تطرح أسئلة عني».

«لا بد من أنك وسوني تعرفان بعضكما منذ بعض الوقت بما أنها ائتمنتك على نيران».

«أجل، منذ تسعة أشهر تقريباً».

«ولكنك تكتّمتَ على الأمر تماماً».

«لا. لا أعرف. تكتّمتُ لأننا أردنا التزام الحذر. تطلّقتُ منذ أربع سنوات، وأعيش بمفردي مذاك الحين. سوني هي المرأة الأولى التي التقيتها منذ طلاقي، وهي تُعجبني حقاً. إنها مميَّزة».

«هل تخططان للعيش معاً؟».

«تحدّثنا عن انتقالي إلى منزلها في الصيف».

«هل زرتَ منزلها؟».

«أجل، عدة مرات. لم أستطع تصديق ما حدث لإلياس الصغير المسكين. لم أسمع بالحادث حتى اليوم التالي لأنني كنت في الفيوردات الغربية في عمل، ولم أتابع النشرات الإخبارية. عندما سمعتُ الناس يتحدثون عن الجريمة، فكرت في سوني على الفور. بعد ذلك، اتصل بي شقيقها فيروت من هاتفه المحمول، وكلّمتني سوني، وأخبرتني بما حدث. أخبرتني عن نيران، وعن كونه في حالة صدمة، وفي حال رهيبة، وسألتني عما إذا كان بإمكانه البقاء معي لأيام قليلة. كان خائفاً ومتأثراً جداً بما حدث كما يمكنك أن تتوقع، وكانت خائفة عليه؛ خائفة من إمكانية حدوث شيء ما له أيضاً، أو قيامه بأمر غبيّ. عدتُ إلى المدينة عند موعد العشاء، ووجدتهم منتظرين خارج منزلي. كان نيران في وضع مُريع، مدمَّراً تماماً. وطلبت مني سوني الاعتناء به، ولم يكن بإمكاني رفض ذلك أو الدخول في جدال معها. إنه أمر تعيّن عليّ القيام به».

فنظر جوهان إلى إرلندور.

«لم يكن نيران غير ودّيّ معي كما توقعت سوني. لقد انسجمتُ مع إلياس على الفور، ولكنها كانت قلقة حيال كيفية تصرّف نيران إذا بدأنا بالعيش معاً. ولكن نيران لم يشعر بالنّفور مني. لم يرحّب بي ربما بذراعَين

مفتوحتَين، ولكنه في الوقت نفسه لم يشعر بالنفور مني. لم يُبدِ اهتماماً كبيراً بي في زياراتي القليلة لهم؛ عِلماً أنني تمكنت من تبادل أطراف الحديث معه قليلاً عن كرة القدم. كنت سأختار له جهاز كمبيوتر جديداً ليتمكن من التواصل مع أقربائه عبر شبكة الإنترنت. كان متحمساً جداً لهذا الأمر».

«وتحدّثتما عن كرة القدم؟».

«كلانا ندعم الفريق الإنكليزي نفسه». قال جوهان هازّاً كتفَيه.

«الم تفكّر في الاتصال بالشرطة؟».

«لا، قمت بذلك لأجل سوني؛ لأجلها، ولأجلي، ولأجل نيران».

«ألم يخطر ببالك أن يكون لديهم ربما ما يُخفونه؟».

«ما كان باستطاعة نيران إيذاء شعرة في رأس إلياس مطلقاً. فالفكرة بحد ذاتها منافية للعقل، ومثيرة للسخرية. لَعرفتَ ذلك لو التقيتهما لدقائق قليلة. إن علاقتهما مميَّزة. أعتقد أن هذا الأمر هو سبب تصرّف نيران بهذا السوء. لقد اعتادا اللعب معاً، وكان نيران يقرأ مجلات قصص هزلية تايلاندية أو كتباً لإلياس في الأمسيات. أخبرتُ سوني أنني أتمنى لو كان لي شقيق كبير لطيف مثله في صِغَري».

«كيف التقيتَ سوني؟».

«في مطعم. كانت مع صديقاتها من مصنع الشوكولا. وكنت أحضر حفلة شركتي السنوية. لم أكن أعرفها البتة. لقد دعتني للرقص، فرقصنا وتحدثنا؛ أخبرتني عن تايلاندا. ثم اتصلتُ بها بعد يومَين، وسألتُ عما إذا كانت تتذكرني. والتقينا ثانيةً. كانت منفتحة تماماً على كل شيء؛ على أودين وابنَيها وعملها في مصنع الشوكولا».

«ماذا بعد ذلك؟».

«بدأنا نتقابل بانتظام. سوني... إيجابية وسعيدة وحازمة ومَرِحة. وهي ترى دائماً الجانب البرّاق لكل شيء. ربما يكون ذلك بسبب الذهنية التايلاندية، لا أعرف. ومن ثم حدث الأمر؛ تلك الجريمة المُريعة».

«ولكنك كنت تشعر بالقليل من الخجل من علاقتكما، أليس كذلك؟».

في الواقع. «كنا نحن الاثنان، لم نشأ الاستعجال، وأعترف أنني كنت بحاجة للتفكير في الأمر. كان الأمر جديداً تماماً وغير متوقَّع بالنسبة إليّ».

«ألم تُخبر أحداً في العمل؟».

«أخبرت أصدقائي المقرَّبين فقط، وعائلتي مؤخراً؛ بعد أن قررت الانتقال إلى منزل سوني للعيش معاً. ولكن من الواضح أن وسيلة تسريب الأخبار

كانت تئزّ؛ لأنكم لم تحتاجوا إلى وقت طويل لاقتفاء أثري. طلبت من سوني الزواج بي، وناقشنا مسألة القيام بهذه الخطوة في أوائل هذا الصيف. ولكن، لا أعرف... فقد حدث هذا الكابوس».

«هل بإمكانك أن تتوقع المكان الذي يمكن لنيران أن يكون قد قصده؟».

«لا. كما قلت لك، كان مضطرباً طوال اليوم».

«هل ذكر شخصاً ما بصفة خاصة؟ شخصاً ما يشتبه بارتكابه الجريمة؟».

فنظر جوهان إلى إرلندور.

«تحدّث عن الثأر. فقد دخل في مشاجرة في المدرسة مع مدرّس قام بتهديده. لم يشأ نيران الإفصاح عن اسمه، ولكنه أحد الأسباب التي دفعت سوني إلى إخفائه. كانت خائفة عليه. بات ابنَها الوحيد الآن».

في تلك اللحظة، دخل فيروت المطبخ حاملاً قُصاصة ورق. وسلّمها لإرلندور.

«عثرتُ عليها في غرفة نيران». قال فيروت.

لقد مُزِّقت الورقة من دليل الهاتف عند اسم جارتان.

وشرع الهاتف بالرنين في جَيب إرلندور.

فأخرجه وضغط على زرّ الإجابة.

«آلو». قال.

«... آسفة، لا يريد ذلك. ليس بحاجة للتقدم بشكوى...». قال صوت مألوف ذلك ومن ثم أنهى المتصل المكالمة الهاتفية.

فرفع إرلندور نظره غير مصدِّق، وحدّق بالهاتف في يده. لقد عرف الصوت على الفور. كان قد سمعه من قَبل.

إنه صوت امرأة في سنّ غير محدَّدة، مع صوت أجشّ قليلاً بسبب التدخين ربما.

هو يعرف أنه لن ينسى أبداً ذلك الصوت الذي لازم ذاكرته أثناء اليقظة والنوم لأنه لم يُصغِ إليه بالشكل الملائم. في ذهنه، سيكون على الدوام صوت امرأة يتآكلها الذَّنْب بسبب فرارها من زوجها، وتظهر ميتة على شاطئ ريكجانس.

28

تدخلت والدة آغوست، وانتزعت الهاتف أثناء قيام إيلينبورغ بتسليمه للزوج ليتمكن من الاحتجاج لدى إرلندور على تصرّف ضابطَيه الأدنى مرتبة.

مُعيدةً الهاتف لإيلينبورغ، طلبت منها أن تعذر ثورة غضب زوجها. فلا حق له بانتقاد الشرطة بسبب قيامهم بمهامهم؛ ولا سيما في قضية حساسة مماثلة.

«لا بأس». قالت. «آسفة، لا يريد ذلك. ليس بحاجة للتقدم بشكوى».

تناولت إيلينبورغ الهاتف وقطعت الاتصال؛ محدّقةً بالزوج والزوجة بالتتابع. ومن ثم أعادت وضع الهاتف في حقيبتها. بعد قليل، شرع بالرنين، فنظرت إلى الرقم. إنه إرلندور.

استقل جارتان سيارة أجرة إلى منزله. كان في مقهى في وسط المدينة مع بعض الرفاق القدماء، فقد اعتادوا الالتقاء من وقت لآخر لتناول الشراب. كان قد ترك سيارته في المنزل، وتشاطر ثلاثة منهم سيارة أجرة قامت بإيصاله إلى منزله. لقد ساءت حالة الطقس إلى حد كبير في المساء، وأصبحت الرؤية معدومة عملياً. وناضلت مسّاحتا الزجاج الأمامي لسيارة الأجرة للتعاطي مع الثلج، وتمكنت السيارة بعد جهد من تفادي كومة ثلج على الطريق.

ترنّح جارتان قليلاً عندما ترجّل من سيارة الأجرة التي انطلقت ببطء، ولكنه قوّم وقفته. لقد سبق له أن قضى مع رفاقه ليالي عديدة مماثلة، ولكنهم اتفقوا على الالتقاء قبل ليلة، بخلاف ما اعتادوا القيام به؛ بسبب حالة الطقس.

كانت عاصفة ثلجية هوجاء قد هبّت، وقاد إرلندور سيارة الفورد بأقصى سرعة جرؤ على بلوغها في تلك الظروف. كان فيروت وجوهان معه، ونقلت الإذاعة خبر انعزال ضواحي ريكيافيك بأكملها بسبب الطقس العنيف. كان إرلندور قد طالب بتوجه سيارتَي شرطة إلى منزل جارتان، ولقد أمل أن تصلا في الوقت المناسب.

«المرأة الموجودة معكِ هي التي دأبت على الاتصال بي منذ الاعتداء على إلياس». قال إرلندور لإيلينبورغ لحظة إجابتها على الهاتف. «هي التي ظننتُ أنها المرأة التي انتحرت».

«حقاً!» قالت إيلينبورغ.

«هل والدة الفتى معك؟».

«أجل».

«واصلي الحديث معها، وسأحاول الوصول إليك».

«حسناً». قالت إيلينبورغ. «أين أنت؟».

«أنا في طريقي إليكم». قال إرلندور وأنهى الاتصال.

بحث جارتان عن المفاتيح في جَيبه؛ إذ تحب زوجته إبقاء المنزل مُقفَلاً في كل الأوقات، ولكنه لم يكن قلقاً في شأن اللصوص. عثر على المفاتيح، ولكنه كان على وشك سحبها من جَيبه عندما لاحظ شكلاً بشرياً ينبثق من ظل المنزل ويقطع عليه الطريق.

«من أنت؟». سأل جارتان.

وسمع صفّارات إنذار الشرطة الصادرة من بعيد.

رأى إرلندور الأنوار الزرقاء الوامضة لسيارتَي الشرطة عبر العاصفة الثلجية. كانتا تنعطفان إلى داخل الطريق المؤدي إلى منزل جارتان. ألقى نظرة سريعة على فيروت الجالس بجانبه، وفي مرآة الرؤية الخلفية رأى وجه جوهان القلق.

«من أنت؟». كرر جارتان.

لم يُجب الشكل البشري، ولم يتمكن من رؤية وجهه. دنت صفّارات الإنذار أكثر فأكثر، فأدار جارتان رأسه في اتجاهها. في تلك اللحظة بالذات، اندفع الشكل البشري نحوه، وشعر جارتان بألم حادّ أثناء التفاته مجدداً نحو مهاجمه. لقد رأى في توهّج مصابيح إنارة الشارع الشكل البشري الذي كان يعتمر قبعة بيسبول، وعلى وجهه لِفاع.

وسقط على ركبتَيه، مدركاً تدفّقَ شيء ما ساخن من بطنه، ورأى الثلج عند قدمَيه يصبح قاتماً بسبب الدماء.

فرفع يده ومدّها في اتجاه مهاجِمه، وأمسك اللِّفاع وانتزعه عن وجهه.

انزلقت سيارتا الشرطة على الثلج أثناء توقفهما أمام المنزل، وتجمّع أربعة ضباط شرطة وركضوا نحو جارتان الذي كان ينخفض ببطء على جانبه، ممسكاً اللِّفاع بقبضته المتشنّجة. دنت سيارة إرلندور وقفز مع فيروت وجوهان إلى الخارج. مرّ فيروت بجانب ضباط الشرطة الذين كانوا يشقون طريقهم في اتجاه الشكل البشري في الظلال.

«نيران!». صاح فيروت.

فرفع نيران رأسه عندما سمع الاسم.

ورأى فيروت جارتان مستلقياً وسط بِركة من الدماء.

صاح فيروت بشيء ما بالتايلاندية لنيران الذي وقف جامداً كما لو

أنه تحوّل إلى صخرة قرب جثة جارتان، ورمى سكينه على الثلج.

بعد نصف ساعة، قُرع جرس الباب في المنزل حيث كان سيغوردور أولي وإيلينبورغ جالسَين مع آغوست ووالدَيه. كان صمت مُربِك قد هيمن على المنزل لمدة من الزمن؛ بعد أن حاولت إيلينبورغ وسيغوردور أولي ملء الوقت بطرح أسئلة وقول ملاحظات حتى وصول إرلندور، ولكن الحديث انتهى تدريجياً. وعندما بلغ الأمر مرحلة التوقف التام عن الكلام، أعلنا أنهما ينتظران وصول محقق آخر يريد التحدث إلى العائلة؛ عِلماً أنهما لا يعرفان ما الذي يريد التحدث في شأنه. وازداد الجوّ في غرفة الجلوس توتراً. وعندما قُرع جرس الباب أخيراً، بلغ توترهم الذُّروة.

توجّه الوالد نحو الباب لإدخال إرلندور، ثم دخلا معاً إلى غرفة الجلوس. كانت الوالدة الجالسة بجانب ابنها على الأريكة قد غدت أكثر اضطراباً، فنهضت عندما رأت إرلندور. مبتسمةً بشكل اعتذاري، قالت إنها ستُعِدّ المزيد من القهوة. وفي طريقها إلى المطبخ، طلب منها إرلندور الانتظار قليلاً.

وسار نحوها، فتراجعت خطوتَين.

«لا بأس. يكاد الأمر ينتهي». قال إرلندور.

«ماذا؟ ينتهي!» قالت المرأة ناظرةً إلى زوجها طلَباً للمساعدة. كان جالساً بلا حراك، ولم يتفوّه بأية كلمة.

ونهض آغوست عن الأريكة.

«عرفتُ صوتكِ على الفور». قال إرلندور. «كنت تتصلين بي في الأيام القليلة الماضية، ويمكنني فهم السبب. أن تجدي نفسك في وضع مماثل ليس مُزاحاً».

«في وضع مماثل؟!» راوغت المرأة. «لا أعرف ما تتحدث عنه».

فتبادل سيغوردور أولي وإيلينبورغ نظرات سريعة.

«أعتقدتُ أنك شخصاً آخر في بادئ الأمر». قال إرلندور. «أنا سعيد بالعثور عليك».

«أمي؟ قال آغوست محدّقاً بوالدته.

«أفهم الآن - كما أعتقد - ما كنت تعنيه عندما قلت إنك لا تستطيعين العيش على هذا النحو». قال إرلندور. «ولكن ما لا أفهمه هو كيف ظننت أنه يمكنك الإفلات من خلال التظاهر بأن شيئاً لم يحدث».

كانت عينا المرأة مثبّتتَين على إرلندور.

«أردتِ المساعدة، ولهذا السبب اتصلتِ بي. حسناً، تلك المساعدة

موجودة هنا. لذلك، يمكنك البدء بالتصرف ككائن بشري محترم. يمكنك القيام بما أردتِ القيام به منذ البداية».

نظرت المرأة إلى زوجها الذي لم يكن قد حرّك ساكناً بعد. ومن ثم نظرت إلى إرلندور وسيغوردور أولي الذي لم يكن يملك أية فكرة عما يجري. أخيراً، نظرت إلى ابنها الذي شرع بالبكاء. وعندما رأت ذلك، اغرورقت عيناها بالدموع.

«لم تكن فكرة جيدة مطلقاً»، قال إرلندور.

وسالت الدموع على خدَّي المرأة.

«أمي!». همس ابنها مترجّياً.

«فعلنا ذلك لأجلهما». قالت بصوت منخفض. «لأجل ابنَينا؛ فما قاما به مثير للاشمئزاز ومروِّع، ولا يمكن إبطاله أبداً. كان علينا التفكير في المستقبل. كان علينا التفكير في مستقبلهما».

«ولكن، لم يكن هناك أي مستقبل، أليس كذلك؟». قال إرلندور. «باستثناء هذه الجريمة المُرعِبة».

والتفتت المرأة إلى ابنها مجدداً.

«لم يقصدا القيام بذلك. كانا يعبثان ليس إلا».

«أريد التحدث إلى محامٍ». قال زوجها. «لا تُضيفي أية كلمة أخرى».

«تصرّفا كغبيَّين لعينَين». تأوّهت المرأة. مخبّئةً وجهها بين يدَيها.

فجأةً، زال عنها التوتر كما لو أنه بات بإمكانها أخيراً البَوح بكل ما اضطرت لكتمانه طوال تلك الأيام؛ منذ مقتل إلياس.

«لماذا؟». صاحت متقدّمةً خطوة في اتجاه ابنها. «لماذا عليك التصرف دائماً كالأغبياء اللعينين؟ انظر إلى ما فعلته!».

ركض زوجها نحوها، وحاول التهدئة من رَوعها.

«انظر ما فعلته!» صاحت في وجه ابنها مجدداً.

وارتمت بين ذراعَي زوجها.

«ليساعدنا الله!». تأوّهت وانهارت على الأرض باكية.

29

تمّ اصطحاب هالور وآغوست إلى الاستجواب مباشَرةً، وعُهد بهما في وقت لاحق من تلك الليلة إلى رعاية وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال في ريكيافيك. وأجرت الشرطة أيضاً مقابلات مع أهالي الفتيَين، وطلبت إلقاء القبض عليهم. لقد لام أحدهم الآخر بسبب فكرة إخفاء حقيقة الجريمة التي ارتكبها الفتَيان، وقاموا بسرد روايات متضاربة حول من امتلك السكين في الواقع، وكذلك فعل ابناهم. وبعد ثلاثة أيام من الاستجواب، اعترف هالور أخيراً، وتمكّن المحققون تدريجياً من رسم صورة لكيفية وفاة إلياس.

لقد كذب كل الفتيان على الشرطة. رأى هالور أَنتون وهو يحمل السكين الذي كان قد سرقه دودي، وعرض مبادلته بلعبة حديثة. التقى الأربعة في منزل أَنتون حيث جرّب اللعبة التي أحضرها هالور معه، وناقشا مسألة المقايضة من دون التوصل إلى اتفاق. واعترف ثورفالدور وأَنتون بأنهما خدشا سيارة جارتان في صباح يوم الاعتداء على إلياس، وقررا بعد ذلك التخلص من السكين. وبعد التقائهما هالور في ملعب المدرسة، قررا تسليمه إيّاه.

تدبّر هالور أمر لقاء آغوست بعد المدرسة؛ كانا في مزاج غريب، ودخلا «سوبرماركت» حيث سرقا بعض الأسطوانات المُدمجة والسكاكر. إنه أمر يقومان به من حين لآخر؛ عِلماً أنهما يحصلان على مبلغ كبير من مصروف الجَيب من أهلهما. ولكن الأمر مختلف. لقاء الرَّكَلات؛ قال آغوست، ولم يتمكن من الشرح بشكل أفضل. كان مستوى الأَدرينالين مرتفعاً في دمهما عندما خرجا من «السوبرماركت» ورأيا إلياس أمامهما والحقيبة المدرسية الكبيرة على ظهره، ومعطفه مُنحرف على كتفَيه الصغيرتين.

ربما لفت انتباههما بسبب بشرته الداكنة، وربما يكون هذا الأمر غير ذي صلة بالموضوع. قال آغوست أثناء استجوابه عن هذا الأمر إنهما كانا سيفعلان الشيء نفسه وإن كان الفتى أبيض البشرة. فيما هزّ هالور كتفَيه ولم يتمكن من الإجابة عن السؤال نفسه. لم يتمكن في الواقع من شرح الحالة التي كانا فيها. كانا يشعران بالإثارة بعد السرقة، ومستعدَّين للقيام بأي شيء؛ كما قال. لم يكونا يعرفان الفتى الذي لفت انتباههما. لم يكونا يعرفان أن اسمه إلياس. لم يتذكر هالور رؤيته من قَبل؛ عِلماً أنه يرتاد المدرسة نفسها. ولم يكن لديهما أي سبب لتوطيد علاقتهما به. لم تتقاطع طريق إلياس مع طريقهما من قَبل، ولم يؤذهما بأيّ طريقة.

لقد التقيا إلياس حيث الطريق ضيق، والخمائلُ ذات علوّ شاهق. كان الغسق يحلّ والطقس بارداً، ولكنهما كانا في أعلى درجة من الإثارة. فسألاه عن اسمه، وعمّا إذا كان يحمل مالاً، وعمّا يفعله في أيسلندا بأية حال.

قال إلياس إنه لا يحمل مالاً، وحاول الإفلات، ولكن آغوست أمسك به. وأخرج هالور السكين لإخافته. لم يتعمّدا إيذاءه، بل كانا يعبثان معه. فهدده هالور بالسكين، ولوّح به في وجهه.

ناضل إلياس بذعر أكبر عندما رأى السكين، وبدأ ينادي طلَباً للمساعدة، فوضع آغوست يده على فمه، وصاح محذّراً هالور بأنه سيقوم بإفلاته عندما عضّ إلياس يده، مؤذياً إيّاه جداً لدرجة أنه أطلق صَيحة.

عندها، أمسك هالور بمعطف إلياس، وقبل أن يدري ماذا يفعل، طعنه بالسكين. عندها، توقف إلياس عن المقاومة، ولزم الصمت، ضاغطاً على معِدته بإحكام، وممدّداً على الطريق.

فتبادل هالور وآغوست النظرات، ومن ثم انطلقا راكضَين في الاتجاه المعاكس.

استقلا الحافلة إلى منزل آغوست وهما في حالة صدمة. كان والد آغوست في المنزل، فرويا له كل القصة بدون أي تردد. كانت يد هالور مغطاة بالدماء، وكان قد رمى السكين في طريقه إلى المنزل. قالا له إنهما قد طعنا فتى على الطريق بجانب المدرسة، وإنهما لم يكونا يقصدان ذلك. إنه مجرد حادث، فهما لم يقصدا إلحاق الأذى بالفتى مطلقاً. لقد حدث الأمر فحسب. فحدّق والد آغوست بهما مصعوقاً.

في ذلك الوقت، عادت والدة آغوست إلى المنزل، ولاحظت على الفور حدوث أمر خطير. وعندما سمعت بما فعله الفتَيان، أرادت الاتصال بالشرطة على الفور، فراوغ زوجها.

«هل رآكما أحد؟» سأل الفتَيَين.

فهزا رأسَيهما.

«لا، لم يرَنا أحد»، قال هالور.

«هل أنت واثق؟».

«أجل».

«أين السكين؟».

فوصف له هالور المكان الذي ألقى فيه السكين.

«انتظرا هنا». قال والد آغوست. «لا تفعلا أي شيء إلى أن أعود».

«ماذا ستفعل؟». تأوّهت زوجته.

فأخذها جانباً، بعيداً عن مدى سمَع الفتيَين، وقال لها:

«فكّري في الأمر. فكّري في مستقبل الفتيَين عندما أكون غائباً. اتصلي بشقيقتي، واطلبي منها القدوم وإحضار دُوري معها».

خرج، ثم عاد بعد خمس وأربعين دقيقة حاملاً سكين، ومعلناً أن الفتى ليس على الطريق، فتنفّسوا الصُّعداء، إذ ربما يكون بخير.

في تلك اللحظات، وصل والدا هالور وأُطلِعا على ما حدث. لم يصدّقا ما سمعاه في بادئ الأمر، حتى رأيا تعابير وجهي الفتيَين وشعرا بعجز والدَي آغوست أمام ما لا يمكن تخيُّله. وحين نظرا إلى ابنهما، عرفا على الفور أن ما جرى صحيح. لقد حدث أمر مُريع وغير مفهوم، ولن يكون أي شيء كما كان في السابق.

«لم نقصد القيام بذلك». قال هالور.

«لقد حدث الأمر فحسب»، أضاف آغوست.

لم يكُن لديهما ما يضيفانه.

«إذاً، من طعنه ليس آغوست، أليس كذلك؟». سألت والدة آغوست.

«الاثنان متورّطان». قال والد هالور بحزم. «كان ابنك يُمسك بالفتى».

«وابنك طعنه».

ودار شجار بينهما، وشاهد الفتيان ما يجري. أخيراً، تمكن الشقيق والشقيقة - والدة هالور ووالد آغوست - من تهدئة كلّ من الزوج والزوجة. واقترح والد آغوست عدم إبلاغ الشرطة.

وتشاجروا ثانيةً. في النهاية، خرج الوالدان للبحث عن إلياس. فإذا لم يجداه على الطريق، فذلك يعني ربما أنه بخير. وأثناء تنقّلهما بالسيارة في أنحاء الحيّ، لاحظا سيارات شرطة مركونة بجانب مجمّع الشقق السكنية. مرّا ببطء قرب المكان، ورأيا ضباط شرطة ببذلات رسمية في حديقة المجمّع مع عدد من سيارات الشرطة المزوَّدة بأجهزة اتصال لاسلكية، وأضواؤها الزرقاء تنعكس على المباني المحيطة في غسق الشتاء، فغادرا المكان.

انتظروا النشرة الإخبارية في منزل آغوست وهم يشعرون بمزيج من الأمل والخوف. ونقل الراديو خبر العثور على إلياس مقتولاً، وامتناع الشرطة عن البَوح بأية تفاصيل، ولكن الاعتداء ليس نتيجة استفزاز كما يبدو، ومن المحتمَل أن يكون ذا دافع عِرقي، وتبقى هوية الجاني مجهولة، ولا شهود بعد على ما جرى.

في النهاية، اتفقوا على الانتظار، وعلى عدم التقاء النسيبَين لفترة من الزمن، وتخلَّص والد هالور من السكين. قرّروا أن يتصرّفوا كما لو أن شيئاً

لم يحدث. لقد وقع الضرر، وقتل ابناهم فتى آخر، ولكنه كان حادثاً بالتأكيد وليس جريمة متعمَّدة. لقد بدأ الأمر برمّته بمُزاح غير مُؤذٍ؛ فهما لم يقصدا إيذاء الفتى. بالطبع، لن يتمكنوا أبداً من نسيان ما حدث، ولكن عليهم التفكير في مستقبل ابنَيهم، أقلّه في الوقت الحاضر.

شارك إرلندور في استجواب والدة آغوست. كانت تتردد إلى عيادة طبيب نفساني منذ اعتقالهم، وتتناول عقاقير مهدِّئة.

«بالطبع، لم يكن يُفترض بنا القيام بذلك. ولكننا لم نكن نفكر في أنفسنا، بل كنا نفكر في الفتيَين».

«كنتم تفكرون في أنفسكم بالطبع». قال إرلندور.

«لا، لم يكن ذلك واقعَ الحال».

«هل كنت تعتقدين حقاً أنك ستتمكنين من العيش مع هذا الإحساس الذي يُثقل ضميرك؟». سأل إرلندور.

«لا». قالت. «ليس أنا. لقد...».

«اتصلتِ بي». قال إرلندور. «كنتِ الأكثر ضعفاً بينهم».

«لا يمكنني وصف الأمر». قالت متأرجحةً على مقعدها. «كنت ذات ميول انتحارية. ما حدث أمر خاطئ. منذ الحادث، لم تمرّ دقيقة من دون أن تفكر في ذلك الفتى الصغير المسكين وفي عائلته. بالطبع، كان خطأً تقدير من قِبَلنا، زَلّةً أخلاقية، ولكن...». وكفّت عن الكلام.

«أعرف أنه لم يكن يُفترض بنا القيام بذلك. أعرف أننا أخطأنا، وحاولتُ إخبارك. ولكنك... تصرّفتَ بشكل غريب».

«أعرف». قال إرلندور. «ظننتُك شخصاً آخر».

«صدّقناهما عندما قالا إنه حادث؛ إذ يمكن لأمور مماثلة أن تحدث. ما كان بإمكاننا التصرف بطريقة مختلفة. وفي الأحوال الطبيعية، ما كنا لنحاول التغاضي عن جريمة قتل. قال زوجي إن أي والدَين سيفهمان سبب ما فعلناه، وسيفهّمان رد فعلنا».

«لا أعتقد ذلك». قال إرلندور. «أردتم لِما حدث أن يمرّ ويُنسى، وأن يختفي كما لو أن لا علاقة لكم به. لقد أضفتم إلى جريمة مُروّعة انتهاكاً لحُرمة القانون».

عندما انتهى كل شيء، وحصلت الشرطة على اعترافاتهم، واعتُبرت القضية مُقفَلة، جلس إرلندور مع هالور في غرفة المقابلات، حيث وُضِع في وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال. لقد تكلّما عن الحادث مطوَّلاً، وسأل إرلندور عن سبب اتخاذ قرارهما القرار بالاعتداء على إلياس، وعمّا دفعهما

إلى القيام بذلك..

«قمنا بذلك فحسب. في الواقع...». قال هالور.

«في الواقع ماذا؟».

«كان هناك».

«هل هذا هو السبب الوحيد؟».

«كنا نشعر بالملل».

30

حمل إرلندور الإناء بيدَيه؛ وهو وعاء خزَفيّ أخضر عاديّ مع غطاء مزخرَف يحتوي على رماد ماريون برايم. كان قد سُلِّم له في كيس ورقي بنّي. نظر إلى داخل المدفَن الصغير، ومن ثم انحنى ووضع الإناء داخله. شاهد رجل الدين ما يجري. كانا الشخصَين الوحيدَين في المقبرة بعد الظهر البارد ذاك من شهر كانون الثاني/ يناير.

كان الثلج الذي تساقط أثناء العاصفة الثلجية ليلة قيام نيران بمهاجمة جارتان قد ذاب معظمه في اليومَين الماطرَين التاليَين. وبعد انخفاض الزئبق ثانيةً، تجمّدت الأرض، وبلغ البَرد القارس الذي حملته ريح شمالية شديدة البرودة العظامَ.

وقف إرلندور فوق المدفن في البرد القارس مفكّر في ماريون وفي حياته وحيداً، وفي أسباب ذلك. وكالعادة، لم يتمكّن من إيجاد أية إجابات. لا إجابات نهائية تشرح سبب الوحدة التي عاشها ذلك الشخص طوال حياته، أو سبب وفاة شقيقه منذ تلك السنوات، أو سبب كون إرلندور على ما هو عليه، أو سبب تعرّض إلياس للطعن والموت. فالحياة مجموعةُ مصادفات عشوائية لا يمكن توقّعها تتحكم بمصائر الناس كعاصفة تهبّ من دون سابق إنذار، متسببةً بإصابات وموت.

فكر إرلندور في ماريون برايم، وقصتهما التي تشاطراها وبلغت نهايتها. لقد انتابه شعور بالخسارة والأسف، ولم يدرك انتهاء الأمر حتى وقف هناك بمفرده مع الإناء بين يدَيه. فكّر في علاقتهما، والخبرات التي تشاطراها، والقصة التي كانت جزءاً منه والتي ما كان ليتمكن من التعاطي معها بدونه. فتلك القصة هو بطلها.

قبل أن يقصد المقبرة، ذهب إرلندور لرؤية أندريه، وحاول مجدداً إقناعه بالكشف عن تفاصيل إضافية حول زوج أمه، غير أن أندريه كان عنيداً.

«ماذا ستفعل؟». سأل إرلندور.

«لا أعرف ما إذا كنت سأفعل أي شيء». قال أندريه.

ووقف عند باب شقته، محدّقاً بإرلندور ببرودة وكآبة.

«ماذا ستفعلون أنتم؟». سأل.

«لا سبب لدينا لنقوم بأي شيء ما لم تكن راغباً في قيامنا بعمل ما». قال إرلندور. «لا معلومات لدينا تُدينه. ولا نعرف شيئاً عن ذلك

الرجل. إذا كنت تعرف أين يُقيم فلماذا لا تخبرنا؟».

«لأي سبب؟». قال أندريه.

فنظر إليه إرلندور بصمت.

«هل كنت تشير إلى نفسك عندما قلتَ إنه قاتل؟».

لم يُجب إرلندور.

«هل أنت من قَتَلَه؟».

فأومأ أندريه برأسه أخيراً.

«هل ستفعل أي شيء حيال ذلك؟». سأل إرلندور.

فحدّق به أندريه للحظات طويلة من دون أن يُجيب، ومن ثم أغلق الباب في وجهه.

نجا جارتان من الاعتداء بالرغم من فقدانه كمية كبيرة من الدم، وتأرجحِه بين الحياة والموت لمدة من الزمن. لقد أخطأ السكين عضلة قلبه بمليمترات، ولكنه نُقل إلى طبيب قبل فوات الأوان بفضل تحرك الشرطة السريع. ووُضع نيران في رعاية وكالة الخدمات الاجتماعية للأطفال. كان مقتنعاً بأن جارتان قتل شقيقه. ومع مرور الوقت، امتلأ رأسه بأفكار الثأر. كان قد كلّم جوهان عن الثأر، وحاول هذا الأخير إقناعه بأن لا جدوى من ذلك. وأخبر نيران والدته بأنه مهدَّد من دون أن يُفصح عمّن يهدده. كان جارتان قد فقد السيطرة على نفسه، وهدّد بقتل نيران لأنه مقتنع بتورّطه في إلحاق الضرر بسيارته. وخشيت سوني على نيران، وطلبت من جوهان الاعتناء به لبضعة أيام ليكون بمأمنٍ من كل أذى.

بعد أيام عدة من جنازة إلياس، ذهب إرلندور لزيارة سوني، وجلسا في غرفة الفتى أثناء قيام فيروت الذي بقي مع شقيقته، بإعداد الشاي. وكان أودين وأفراد عائلته قد وقفوا إلى جانب عائلة سوني التي قدِمت من تايلاندا لتسير وراء إلياس إلى مثواه الأخير. لقد تمّ إحراق جثته، وسُلِّم الرماد إلى سوني في إناء.

«لم تبكي أثناء الجنازة!». قال إرلندور لسوني، وترجمت لها غودني الجالسة معهما ما قاله.

«لقد بكيتُ بما يكفي». قالت.

وترجمت غودني الكلمات مثبّتةً نظرها على إرلندور.

«لا أريد أن أقلق عليه كثيراً», قالت سوني.

تحدّثا عن المستقبل. لقد عبّر نيران عن رغبته في العودة إلى تايلاندا بعد أن قضى عقوبته، ولكن سوني لم تكن واثقة من أنه يعني ما يقوله.

كانت تعتزم البقاء في أيسلندا على غرار شقيقها. وبالطبع، هناك جوهان؛ قالت سوني إنه رجل صالح. كان متردداً في بادئ الأمر بالإعلان عن علاقته بها على الملأ لأنها من تايلاندا؛ فهذا النوع من الأمور جديد عليه، ولم يكن واثقاً من رد فعل عائلته، لذلك آثر التروّي باتخاذ قرار في هذا الشأن. لكن كل ذلك أصبح من الماضي الآن.

أخبر إرلندور سوني عن الفتيَين اللذَين كانا يعبثان بعد المدرسة حاملَين سكيناً، وكيف التقيا إلياس صُدفةً واعتديا عليه بدون سبب حقيقي. كانا يعتزمان اللعب معه، فأخافاه. «لا يمكن أبداً توقّع ما قد يكون أغبياء مغفَّلون مماثلون لهما قادرين على القيام به. كان إلياس سيّئ الحظ لأنّه صادفهما».

لم يكن بالإمكان قراءة تعابير وجه سوني. كانت تُصغي إلى شرح إرلندور لسبب فقدانها ابنها، وبدا على وجهها عدم فهم تام.

«لماذا إلياس؟». قالت.

«لأنه كان هناك». قال إرلندور. «لا وجود لسبب آخر».

وجلسا بصمت لمدة طويلة، حتى ذكر إرلندور العبارة التي كان قد عثر عليها على دفتر إلياس للتمارين الكتابية عن الأشجار والغابة، وسألها إن كانت تعرف ما الذي كان يدور في خلده عندما سأل عن عدد الأشجار المطلوبة لصنع غابة؟

لم تكن سوني تعرف ما يتحدث عنه. كان دفتر التمارين الكتابية على الطاولة، وأَراها ما كتبه إلياس. كم شجرة يتطلب الأمر لصنع غابة؟

فابتسمت سوني للمرة الأولى منذ مدة طويلة.

«اسمه التايلاندي آران». قالت.

«أجل، أخبرتني غودني بذلك. ماذا يعني آران؟».

«غابة». قالت سوني. «آران يعني غابة».

وقف إرلندور صامتاً بجانب مدفن ماريون برايم، ومن ثم استدار في اتجاه الريح التي لسعت وجهه، وعصفت بشعره، واخترقت ملابسه. وانتقل بأفكاره إلى كتبه في المنزل التي تروي قصصاً عن العذاب والموت في عواصف شتوية لا ترحم. تلك قصص يمكنه فهمها؛ فهي تُبقي جَمرات الأحاسيس القديمة، والأسف، والأسى، والخسارة متّقدةً في صدره. وأحنى رأسه في اتجاه الريح. وكما هو الحال في غالب الأحيان، تساءل عن كيفية مواصلة الناس حياتهم طوال مئات السنين في بلد يشهد هذا الطقس القاسي.

لقد أحكم الصَّقيع قبضته مع حلول المساء، بعد أن عصفت الريح القُطبية الباردة من البحر والجنوب فوق المنظر الطبيعي الشتوي الموحِش. لقد غاصت من جبل سكاردشيدي، مروراً بجبل إيجا، عاصفةً فوق الأراضي المنخفضة حيث المدينة الشتوية المتلألئة التي تترامى أطرافها على شواطئ العالم في أقصى الشمال. كانت الريح تُعوِل بين المباني وفي الشوارع الخالية، وبدت المدينة بلا حياة؛ كما لو أنها في قبضة وَباء ما. فقد لازم الناس منازلهم، مُقفِلين أبوابهم، ومُغلِقين نوافذهم، ومُسدِلين ستائرهم، وآملين في زوال البَرْد قريباً.

انتهى

---

[1] لوح طويل مرتكز على دعامة في وسطه، يجلس شخص على أحد طرفيه فيما يجلس الآخر على الطرف المقابل له؛ فيرتفع ويهبط بالتناوب.

[2] سطح منحدر أو عمودي توضع عليه الأشياء لتنزلق عليه إلى الأسفل.

[3] المِقرَعة أداة معدنية تغطي البراجم لوقايتها وتشديد اللكمة.

[4] حَلوى قاسية من السكَّر والزُّبدة.